قصة مدينة



قصة مدينة

القدس

تأليف
يحيى الفرحان



سلسلة المدن الفلسطينية ٦

تصدر عن
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
دائرة الثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية



قبة الصخرة ـ القدس
(أواخر القرن الماضي)

سكرتير التحرير ومنسق المشروع
حسين العودات

المحتوى

تصدير

اهتمت المؤتمرات الثقافية والندوات على مستوى الوزراء والمسؤولين والخبراء العرب، بالحفاظ على الثقافة العربية الفلسطينية والتراث الفلسطيني، وتجديدهما وتعريف الأجيال الناشئة بهما، وبمواجهة الغزو الثقافي الصهيوني، واعتمد المؤتمر العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ومجلسها التنفيذي، مخططاً متعدد الجوانب، متنوع الأساليب، للوصول إلى هذا الهدف. وقد تمت تهيئة الشروط المناسبة، لتنفيذ هذا المخطط، الذي يشمل اصدار دراسات علمية في اطار مشروع (سلسلة المدن الفلسطينية)، بالتعاون بين المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ودائرة الثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية، بهدف اعطاء فكرة جامعة عن هذه المدن، تتضمن واقعها الجغرافي، وطورها العمراني عبر العصور، وتاريخها، وأنشطتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ورصد التاريخ النضالي لسكانها، ليستفيد منها الطالب والعامل، والمثقف والمختص على حد سواء، ولتبقى وثيقة حية في ذاكرة الامة العربية.

وإن هذا المشروع، الذي يعتبر عملاً قومياً وثقافياً، يمثل جانباً من نشاط المنظمة في المجال الفلسطيني، ومساهمة في بناء الثقافة الفلسطينية، وتقوية عرى العلاقة بين الفلسطينيين ووطنهم. واني اشيد هنا بالجهود الطيبة التي تبذلها دائرة الثقافة بمنظمة التحرير، وبالعمل العلمي المسؤول الذي تقوم عليه هيئة التحرير لاصدار كتب هذه السلسلة القومية.

ومن الله التوفيق

الدكتور محيي الدين صابر

المدير العام

للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم



خارطة فلسطين

الفصل الأول

المدخل والإطار العام

تواجه المدن والريف والبادية في فلسطين المحتلة معركة حضارية من أضخم ما عرفت في أي وقت من تاريخها. وحتى الآن نحجم عن تسمية الأشياء بسمياتها الصحيحة، كما نتحرج فيما يبدو عما قد يحسبه بعضهم زجا بالعلم في السياسة، ومزجا للشخصية بالموضوعية، ويتمثل هذا الواقع في غياب المجابهة بالرد العلمي والموضوعي لتأكيد الهوية الحضارية الأصيلة للنظم الحضرية (المدن) والريفية (القرى) والبادية في الأراضي الفلسطينية المحتلة. ويأتي كتاب «مدينة القدس» لإيضاح خطأ وخطر مثل هذه النظرة، في الوقت الذي يجابهنا الكيان الصهيوني بتيار متدفق من البحوث التي تهدف إلى تزييف البنية الحضارية للنظم الحضرية والريفية والبدوية وبخاصة بعد حرب عامي ١٩٤٨ و١٩٦٧. وتركز تلك الدراسات على اخفاء الطابع الحضاري المميز للعمران الفلسطيني وباديته في الزمان والمكان واضفاء طابع خلاسي دخيل لا ينتمي إلى تراث المنطقة وحضارتها[١]، بل يتعارض حتى مع النبيمة الحضارية القديمة.

---

١ ـ من تلك الدراسات:

Smith, C.G., 1968, Israel after the Jun War, Geog. 23, 315- 19.

Amiran, D.H.K., A. Shachar, I. Kimhi, 1973, Urban Geography of Jerusalem. A Companion Volume of the Atlas of Jerusalem, Massada Pres, Jerusalem.

Gradus, Y., 1976, Factorial ecology in a «Controlled» Urban System :the Case of Metropolitan Haifaa,

Grossman, D. and Safrai, Z., 1980, Satellite Settlements in Western Samaria, Geog. Rev., 70, 446-61.

والحقيقة ان مدننا وريفنا وباديتنا تمر في مرحلة خطيرة من التصفية الحضارية، مما يفرض علينا دراسة جوانبها المختلفة وتحليلها للخروج بنتائج ونظرة إلى المستقبل. وسنرى ان دراسة المدينة المقدسة (القدس) على النحو الوارد في هذا الكتاب لن يخرج بنا عن دائرة العلم والموضوعية البحتة، ولن يشوه جيوبولتيكا مدينة القدس (أو أي مدينة فلسطينية اخرى)، بل العكس هو الصحيح تماماً.

والذي يجب تأكيده هنا هو أهمية البعد الجيوبولتيكي والتاريخي والحضاري مدخلاً لأي دراسة جادة للمدن الفلسطينية، وواقعها الراهن، والتغييرات التي فرضها عليها الاحتلال الصهيوني سواء في التركيب الداخلي أو في المظهر الخارجي، بهدف تغيير السمة الحضارية لها، وصياغته بما يتلائم وأهداف الفكر الصهيوني والمخططات الصهيونية في التهويد الكامل. فالتاريخ والحضارة كما قيل هما معمل المتخصص في الجيوبولتيكا، وهما كذلك مخزن المختص في الدراسات الاستراتيجية الذي لا ينضب. . كل منهما يستمد مادته ويجري عليها تجاربه. وبالنسبة للجيوبولتيكي بالذات، فان التاريخ إذا كرر نفسه، فهذا التكرار هو الجيوبولتيكا بحد ذاتها. وكما عبّر حمدان[1]، «فان الجيوبولتيكا هي الجذر الجبري للتاريخ، وعملية استقطاب له وتركيز. أكثر من هذا ليس التاريخ إلاّ جيوبولتيكا متحركة. . «وعلى هذا الاساس تقوم الدراسة الراهنة لمدينة القدس». . فهي دراسة في

-, 1981a, The relationship between settlement pattern and resource utilization: the case of North-eastern Samaria, Trans, Inst. Brit. Geogr., 6, 19-38.

- 1981b, The bunched settlement pattern- Western Samaria and the Hebron mountains. rans. Inst. Brit. Geogr., 6, 491-505.

-, 9182, Northern Samaria: A process- pattern analysis of rural settlement, Canadian Geographers, Vol. XXVI, 2, 110-127.

Shmueli, A., 1970, The Sedentarization of the Bedouin of the Judean Desert, Tel- Aviv, Gomeh (Heberw) pp. 52- 60.

- 1976, Bedouin rural Settlement in Eretz- Israel, in: Geography in Israel, Submitted to the 23 rd International Geographical Congress, Moscow, US.S.R.

١ ـ جمال حمدان، ١٩٦٧، شخصية مصر، دراسة في عبقرية المكان، الهلال، القاهرة، ١٩٦٨، استراتيجية الاستعمار والتحرير، الهلال، القاهرة، ص ٧ ـ ١١.

الجيوبولتيكا بأبعادها الحضارية والسياسية والتاريخية والمعاصرة، مضافا إليها البعد المكاني أو الجغرافي، حيث لا يمكن في هذا المجال فصل البعد الزمني عن البعد المكاني، لاسيما وان البعد التاريخي والسياسي لفلسطين والوطن العربي قديماً وحديثاً ما هو إلاّ محصلة بعدين اساسيين هما: الموقع والموضع، الموقع الاستراتيجي الخطير، والموضع بثرواته وموارده. مع سيادة البعد الأول منذ فجر التاريخ وحتى نهاية القرن التاسع عشر، تم تظافر البعد الأول (الموقع) والبعد الثاني (الموضع) منذ بداية القرن العشرين ومع تفجر الثروة النفطية. وقد كان احد ابعاد ظهور الكيان الصهيوني على أرض فلسطين تحقيق الهيمنة على الموقع والموضع للوطن العربي من خلال السيطرة على فلسطين قلب الوطن العربي، وعلى النواة النووية للإسلام والعقيدة (القدس - الخليل). ويؤكد هذا الاتجاه ان الصهيونية منذ انشائها كفكرة، وظهور الكيان الصهيوني في المحتل من أرضنا تخطط استراتيجيتها على أساس مجموعة من العوامل الجيوبولتيكية والجغرافية والتاريخية والحضارية والسياسية والاقتصادية والاستراتيجية.

ويحمّل الخوض في مثل هذه الدراسات الكاتب عبئا كبيراً، لما تتطلبه من خلفية متعمقة (وربما تفوق قدرة الكاتب والقارىء معاً) في العلوم الانسانية على المستويين النظري والتطبيقي، وبخاصة في التاريخ الحضاري، والاقتصادي، والاجتماعي، والسياسي، مع ضرورة توافر المهارة العلمية لاستقطابها واختزالها معاً وبتركيز حتى يتمكن الباحث من التعرف إلى شخصية المدينة المقدسة واقليمها في الماضي والحاضر والمستقبل، وبأبعادها المختلفة فلسطينياً وعربيا وإسلامياً.

ويجب أن لا يغيب عن الأذهان عند تناول المدينة المقدسة وأي مدينة فلسطينية اخرى بالدراسة، حقيقة الكيان الصهيوني - اسرائيل - علميا وموضوعيا والذي يمكن ايجازه فيما يلي:

تزامنت الحركة الصهيونية (أو الحملة الصليبية الجديدة) منذ بدايتها مع آخر موجة من موجات الاستعمار الاوروبي الحديث والتي استهدفت السيطرة على افريقيا المدارية، إلا أن تحقيق اهداف الحركة الصهيونية في انشاء الدولة اليهودية تزامن مع نهاية عصر الاستعمار بوجه عام. والصهيونية منذ بدايتها في الحقيقة حركة سياسة

(الصهيونية السياسية)، ولكنها تقنعت منذ اللحظة الأولى بالدين (الصهيونية العاطفية) لتخلق من رؤيا العودة إلى أرض الميعاد ايديولوجية تاريخية ودينية تجمع يهود الشتات حولها. وكان من المستحيل تحقيق هذا الحلم لولا مساعدة قوى الامبريالية العالمية. ومن هنا التقت الامبريالية العالمية مع الصهيونية لقاء تاريخياً على طريق واحد وهو طريق المصلحة الاستعمارية المتبادلة. فيكون الوطن اليهودي قاعدة تابعة وحليفاً مضموناً يخدم مصلحة الامبريالية وذلك ثمناً لخلقه وضماناً لبقائه[1].

وقد مر تكوين اسرائيل بثلاث مراحل هي: التغلغل، والغزو، والتوسع. فقد تغلغل المهاجرون بموجات تسلل ترتب عليها تكوين نواة من اقلية يهودية مع نهاية القرن التاسع عشر، وانتزاع موطىء قدم بسياسة شراء الأراضي المخطط لها مسبقاً. وبهذا تكونت نواة المجتمع اليهودي غير المشروع مع بداية القرن العشرين في فلسطين. أما مرحلة الغزو، فتم فيها الاغتصاب الشامل للأرض بعد تواطؤ بريطانيا مع الصهيونية وانسحابها من فلسطين عام ١٩٤٨. وبعد حرب مع الفلسطينيين تم طرد مليون فلسطيني خارج الأرض المحتلة، رافقها تدفق المهاجرين اليهود من الشتات ليتجمع آنذاك مليونا يهودي صهيوني يمثلون ١٣٪ من يهود العالم. وبهذا استطاعت الحركة الصهيونية بالعنف والدسيسة والخداع أن تحوّل التاريخ القزمي الممسوخ (لأن وجود اليهود في فلسطين تاريخياً لم يكن سوى جملة معترضة في تاريخها) إلى جغرافية، والزمان إلى مكان، والفكرة إلى دولة[2].

وانطلاقاً من أهمية المكان (أو المجال الحيوي بالمفهوم النازي والصهيوني) كمتغير استراتيجي في العقلية الصهيونية، صرّح بن جوريون بأن هذه الدولة ـ اسرائيل ـ ليست الهدف النهائي . . . كما انها لا تحل المشكلة لليهود بمساحتها، ولكنها مرحلة مهمة لتحقيق الأهداف الصهيونية العظمى[3] ـ دولة اسرائيل من الفرات إلى النيل ـ. وقد ترتب على ذلك السلب السريع لأراضي الفلاحين الفلسطينيين العرب في اسرائيل. حيث انخفضت حصة الفلاح الفلسطيني من

---

١ ـ جمال حمدان، ١٩٦٨، مرجع سابق، ص ٢٨٣ ـ ٢٨٦.

٢ ـ كامل زهيري، ١٩٦٨، نحو استراتيجية عربية جديدة، المصور: نحن العرب، العدد السنوي من التوعية العربية.

٣ ـ تهاني هلسة، ١٩٦٩، بن جوريون، سلسلة دراسات فلسطينية، بيروت، ص ٥١.

١٥,١ دونماً عام ١٩٤٥ إلى ٥,٥ دونماً عام ١٩٦٤ . وانخفض متوسط نصيب الفرد الفلسطيني العربي من الأراضي المزروعة من ٨,٤ دونماً عام ١٩٤٥ إلى ٢,٢ دونماً عام ١٩٦٤، بينما وصل متوسط حصة الفلاح الصهيوني ١٠,٨ دونماً عام ١٩٦٤[١].

وكنتيجة لحرب حزيران عام ١٩٦٧ ، اصبحت مساحة اسرائيل تعادل ثلاثة اضعاف مساحتها قبل الحرب، وبلغ عدد السكان العرب (في الضفة الغربية، والجولان، وغزة، وسيناء، بالإضافة إلى عرب فلسطين المحتلة منذ عام ١٩٤٨) ١,٤ مليون نسمة مقابل ٢,٤ مليون صهيوني[٢]. وقد رافق الانقلاب الديموغرافي في فلسطين بعد عام ١٩٦٧ ظهور استراتيجية جديدة في الاستيطان الصهيوني تتمثل في:

١ - ضم مدينة القدس العربية إلى القدس المحتلة عنوة لتوحيد المدينة المقدسة، مع الاسراع في تغيير التركيب الداخلي، والمظهر الخارجي للقدس العربية ولهوامشها التي تضم مناطق مخيمات لاجئي عام ١٩٤٨ . وكذلك الاسراع في بناء المستوطنات وفق نموذج يختلف عن نماذج الاستيطان في الأراضي المحتلة الأخرى (كما سيتضح لاحقاً)، بهدف تغيير المظهر الحضاري العربي والاسلامي للمدينة، ثم التهويد الكامل.

٢ - الاستمرار في الاستيلاء على الأراضي ومصادرتها، والموارد الطبيعية الاخرى (المياه، التربة، النبات الطبيعي)، والمواضع الطوبوغرافية الاستراتيجية في الأراضي المحتلة، وانشاء شبكة من المستوطنات الصهيونية وفق نظام تخطيطي يهدف إلى تحطيم شبكة المدن والقرى الفلسطينية، والقضاء على وظائفها الاقتصادية والاجتماعية. وكذلك ربط المدن والقرى الفلسطينية بالمدن والمستوطنات الصهيونية. وقد اتخذت شبكة الاستيطان انماطاً طولية وعرضية وانتشارية بهدف تطويق المراكز العمرانية الفلسطينية وعزلها بعضها عن البعض الأخر سواء في الضفة الغربية، أو الجليل، أو النقب.

---

١ - جالينا تكيتينا، ١٩٦٩ ، دولة اسرائيل، كتاب الهلال، ص ٢٠٧ - ٢٠٨.

٢ - Smith, C.G., 1968, Op. Cit., 315-319.

٣ ـ السيطرة على المواقع الاستراتيجية العسكرية ببناء مستوطنات على ذرى التلال والجبال الفلسطينية، وفي الأغوار لتقوم بدور الهجوم والعوائق البشرية اثناء الحرب، والدفاع عن مراكز الثقل العمراني الصهيوني في اقليم الساحل الفلسطيني. وكانت المحصلة النهائية لهذا النمط الاستيطاني الجديد سواء حول القدس أو في الضفة الغربية ما يلي:

أ ـ الغاء نقاط الضعف في الخارطة الاسرائيلية والتي كانت مهيمنة قبل عام ١٩٦٧.

ب ـ تهويد مدينة القدس، وتهويد الأراضي الخلاء شرقي جبال نابلس والقدس، وضرب العقيدة في مركزها أو نواتها النووية أي في أقليم القدس ـ الخليل. وتظهر انماط الاستيطان الآنفة الذكر في المنطقة وكأنها اصابع تشير وتؤكد «هنا يتواجد مقتل فلسطين».

وعند تحليل نمط الاستيطان الصهيوني في الأراضي المحتلة نجده يتلخص في التأكيد على ايجاد اقطاب حضرية (مدن) وصناعية ترتصف حولها نويات المراكز العمرانية الريفية. ويتخلل هذا النمط أو يتداخل مع شبكة العمران الريفي والحضري الفلسطيني، مع مراعاة ربط شبكة الاستيطان الصهيوني بكافة رتبها، والمراكز العمرانية الفلسطينية بالمتروبول المركزي المتمثل في القدس لأحكام السيطرة على عرب فلسطين في مدنهم وقراهم وباديتهم. وستؤكد هذه الدراسة التي تتناول مدينة القدس الوجه الحضاري الحقيقي للمدينة ببعديه العربي والاسلامي الذي يتعرض للتصفية المتسارعة سواء في هيكلها الداخلي أو في مظهرها الخارجي، وفي قلب المدينة وهوامشها.

الفصل الثاني

التاريخ والسمات الحضارية

أ ـ التفرّد التاريخي والحضاري للقدس :

تعد القدس ظاهرة حضارية فذة تتفرد فيها دون سواها من مدن العالم ، ويحار من الباحثين كل من يحاول استشفاف أسباب نشأة هذه المدينة المقدسة ، والتعرف إلى الخصائص الجغرافية الفريدة التي يتمتع بها كل من الموقع والموضع ، حتى وقع الاختيار عليهما دون سواهما ليكونا مقراً لواحدة من أقدم وأقدس المدن على ظهر الأرض . ولا بد أن يكون لمثل هذه الظاهرة الحضارية الفذة أسباب ومبررات هي سر خلودها واستمرارها آلاف السنين ، رغم كل ما حلّ بها من نكبات وحروب أدت إلى هدم المدينة وإعادة بنائها ثماني عشرة مرة في التاريخ[1] . ومن الغريب أنها كانت تخرج من كل محنة أعظم وأكبر من سائر أسلافها ، وكأنها تنمو وتزدهر وتزداد رسوخاً وأصالة كلما عظم مصابها وتفاقمت محنها . ولعل ذلك دليلاً على إصرار المدينة المقدسة على البقاء والاستمرارية ، وهو إصرار لم يسبق له مثيل . فمنذ أن قامت القدس الأولى «مدينة السلام» الكنعانية قبل نحو ٥٠٠٠ سنة وحتى اليوم[2] وهي وفلسطين محط أنظار البشرية ابتداء من عصر المحلية الحضارية (حيث نشأت الحضارات المستقرة الأولى في فلسطين ووادي النيل والرافدين) وحتى عصر الحضارة

---

١ ـ صلاح بحيري ، ١٩٧٣ ، جغرافية الأردن ، مطبعة الشرق ومكتبتها ، عمان ، ص ٢٢٨ ـ ٢٢٩ .

عارف العارف ، ١٩٥١ ، تاريخ القدس ، القاهر ، ص ١٨٥ .

٢ ـ مصطفى مراد الدباغ ، ١٩٧٥ ، بلادنا فلسطين ، الجزء التاسع ، القسم الثاني : في بيت المقدس ، بيروت ، ص ٥ .

العالمية (الحضارة العربية الإسلامية)، حيث تعد فلسطين والمدينة المقدسة من وجهة النظر الانثروبولوجية الاجتماعية بحق «بيئة الحضارة العالمية» ومهد المسيحية والقبلة الأولى في الإسلام، وملتقى الحضارات العالمية وهمزة الوصل في حركة المواصلات العالمية. وليس من قبيل الصدفة إن كانت الخرائط الكنسية الوسيطة تضع القدس في صرة العالم حيث تتقابل آسيا وأفريقيا وأوروبا. وتحتل القدس والخليل في الوقت الحاضر المركز الهندسي في خارطة توزيع سكان العالم الإسلامي، فلا عجب إذن أن تقع أكبر المعارك التي عرفها العرب والمسلمون فوق أرض فلسطين وليس بعيداً عن القدس، أو على مرمى الحجر من فلسطين (معارك حطين وعين جالوت، وأجنادين واليرموك)، هذا فضلاً عن عشرات المعارك الفاصلة في تاريخ المنطقة قبل الإسلام، سواء أكانت المعارك محلية أم أجنبية، وثنية أم صليبية[1]. ولا نبالغ إذا قلنا أنه ما من مدينة أو قرية في فلسطين إلاّ وشهدت ربوعها معركة تاريخية، تخرج منها المدينة المقدسة كعادتها متجلية بحضارتها الأصيلة. ومن هنا تعد القدس «فلته حضارية» فترة تسطع على صفحة (المشهد) الطبيعي والحضاري للأرض ولا نظير لها في المعمورة.

وأمام تلك المعطيات الحضارية للمدينة المقدسة، فإن اليهود الذين نزحوا عن بلاد العرب، وظلوا بعيدين عنها زهاء ألفي عام، أو الاوروبيين الذين تهوّدوا ويحاولون الآن الهيمنة على أرض العرب ومن خلال فلسطين وعاصمتها، فإنهم لن يكونوا قادرين على السيطرة على الموقع والموضع لفلسطين والعالم العربي، بل أنهم لا يصلحون للقيام بهذا الدور بحكم فلسفتهم وديانتهم الانطوائية، ووسائلهم في ممارسة حياة «الجيتو» والعزلة للتكيف مع مقتضيات وخصائص موقع وموضع القدس وفلسطين والعالم العربي. كذلك ليس بإمكانهم حمل رسالة الوصل بين الأمم والشعوب (وهي الرسالة التي حملتها المدينة المقدسة والعرب) وصلا يقوم على العطاء قبل الأخذ، وعلى البلاغ قبل الانطواء، وعلى الإيثار دون الأثرة. ومهما طال الزمان فإن إقامة سلطة صهيونية في القدس وفلسطين لن يتوافق مع مقتضيات البيئة

١ ـ يحيى فرحان وآخرون، ١٩٨٥، المجتمع العربي، وزارة التربية والتعليم وشؤون الشباب، مسقط، ص ٢٦ ـ ٣٨.

الحضـاريـة العـالميـة للمدينة المقدسة والتي هي سر خلودها واستمرارها. ومن هنا لا يعني استمـرار المـدينة المقدسة عبر التاريخ غير المدون، والتاريخ المكتوب، استمرار دولـة صهيـون، ولن تكـون إسـرائيل إلاّ ظاهرة مصطنعة لا يكتب لها التاريخ امتداد البقاء، لأنها ضد طبيعة الزمان والمكان الفريدين للقدس وفلسطين[1].

ب ـ القدس: اسم عربي مستمر عبر العصور:

القـدس هي المـدينـة المقدسة التي يقدسها أتباع الديانات السماوية الثلاث: اليهـود والنصـارى والمسلمـون. فهي قبلة لهم ومصـدر وحي ورمـز لطمـوحـاتهم. وتتجلى أحـداث القـدس التـاريخيـة في الأسماء العربية المتعددة التي أطلقت عليها. وأقـدم تلك الأسـماء الاسم العـربي الكنعـاني «مـدينـة السـلام» إذ عنـدمـا عمـر الكنعـانيـون بيت المقـدس قبل (٥٠٠٠) سنة دعوها بهذا الاسم نسبة إلى «سالم» أو «شـالم/شـاليم» إلـه السـلام عندهم. وقد انتقل هذا الاسم إلى الأمم القديمة عن طريق العرّافين الذين ذكروه بـ «أوروسالم» بمعنى مدينة السلام، ثم حرّف فيما بعد إلى «يروشالايم» و «هيروسوليما» و «جيروزالم» وغيرها[2].

وقد وردت المدينة باسم «روشاليموم» في الكتابات المصرية المعروفة بنصوص اللعنة التي يرجع تاريخها إلى القرنين السادس عشر والثامن عشر قبل الميلاد، وتذكر أسماء ملوك كنعانيين وعموريين من خصوم المصريين الذين كانوا يحكمون دولة المدينة (أورشليم). وبـين مراسـلات تل العـمارنـة ست رسائل بعث بها «عبد ـ خيبا» ملك أورشليم في القرن الـرابع عشر قبل الميلاد إلى فرعون مصر «أخناتون»، الذي كانت فلسطـين تحت سيطـرتـه، وهو في هذه الرسائل يشكو من قلة عدد الحامية المصرية في المـدينـة ويحـذر من غارات جماعات البدو (الخابيرو) أو (العبيرو) واستفحال خطرهم على البلاد[3].

١ـ يحيى فرحان وآخرون، ١٩٨٥، المرجع السابق، ص ٣٨.

٢ ـ مصطفى مراد الدباغ، ١٩٧٥، المرجع السابق، ص ٥.

٣ ـ الموسوعة الفلسطينية، ١٩٨٤، المجلد الثالث، ص ٥١٠.

وقد ورد في التوراة اسم «أورشليم» التي تلفظ بالعبرية «يروشالايم» أكثر من ٦٨٠ مرة، وهذه الكلمة مشتقة من الاسم الكنعاني العربي الأصلي. وتطلق التوراة كذلك على المدينة أسماء اخرى كثيرة هي: «شاليم» و«مدينة الله»، و«مدينة القدس» و«مدينة العدل»، و«مدينة السلام» وهي جميعاً نفس الاسم الكنعاني العربي. كما تذكر أحياناً باسم «يبوس» أو«مدينة اليبوسين» نسبة إلى اليبوسيين من بطون العرب الأوائل في الجزيرة العربية، وهم من سكان القدس الأصليين الذين نزحوا من جزيرة العرب مع من نزح من القبائل الكنعانية قبل ٤٥٠٠ سنة ليستقروا في التلال المشرفة على المدينة القديمة.

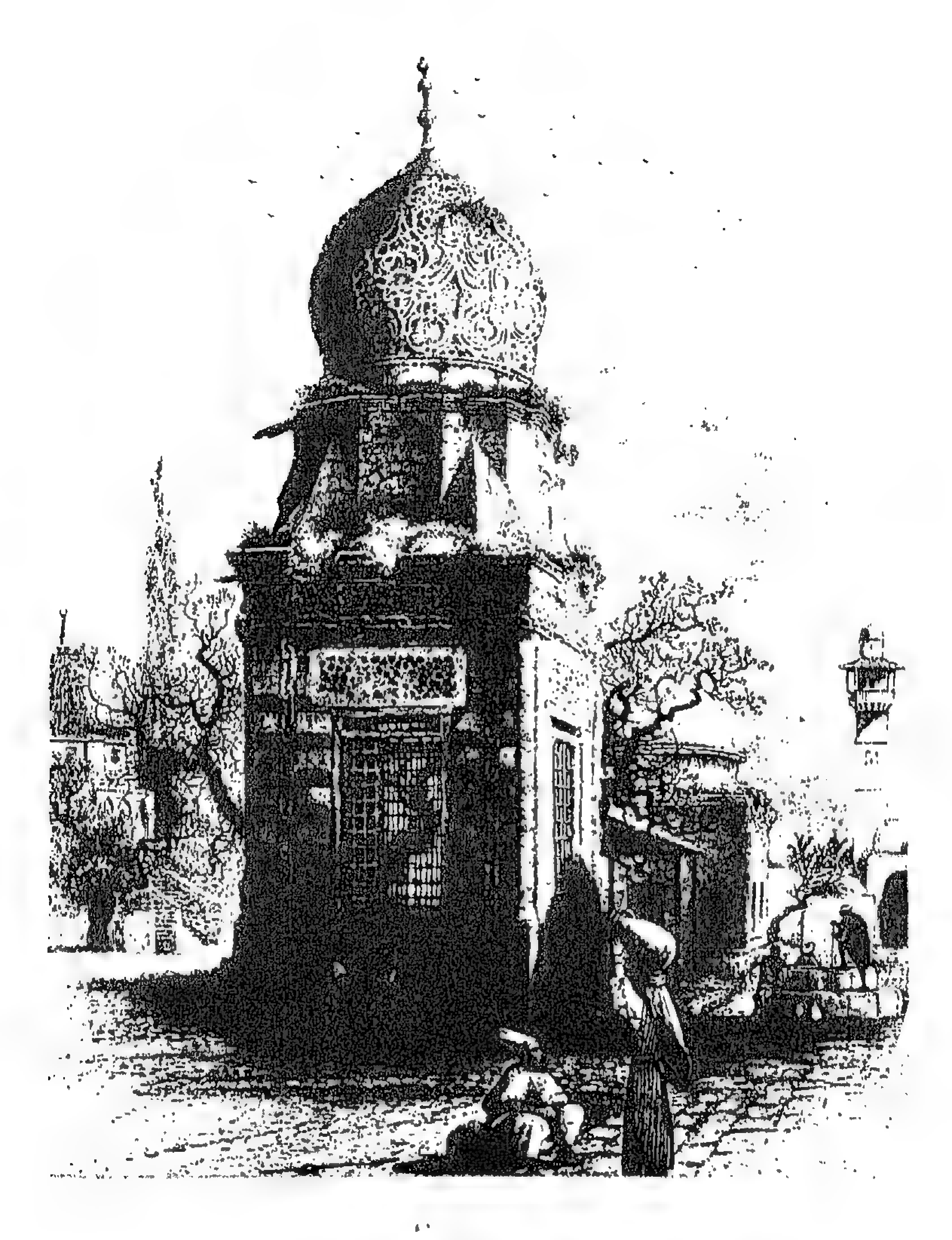
واستمرت المدينة المقدسة تحمل الاسم الكنعاني العربي منذ ٣٠٠٠ سنة ق.م (سواء مدينة السلام، أومدينة يبوس أو أورشليم أو القدس أو بيت المقدس) وحتى الوقت الحالي. وعندما تمكن داود بن عيسى اليهودي من الاستيلاء على يبوس (نحو ٩٩٧ أو ١٠٠٠ ق.م) غيّر اسمها الكنعاني العربي إلى «مدينة داود» ولم يستمر النفوذ السياسي لليهود على القدس أكثر من ٧٣ سنة[١]، وانتهى اسم «مدينة داود» بانتهاء نفوذ اليهود ليعود إليها اسمها الكنعاني أورشليم أو القدس أو بيت المقدس في عهد الرومان لتنقطع صلة اليهود بالقدس وفلسطين مدة ثمانية عشر قرناً متواصلة. ولم يسكن القدس بعد عام ١٣٥م يهودي واحد. واستمر هذا الوضع حتى عام ١٨٥٥ حينما نجح «منتغوري» في الحصول على فرمان من السلطان العثماني سمح بموجبه لليهود بشراء أول قطعة أرض في القدس حيث أقيم عليها حي سكني يهودي في فلسطين وفي القدس بالذات. وبالرغم من ذلك فإن عدد اليهود في فلسطين عام ١٨٥٦ لم يتجاوز (١١٠٠٠) نسمة[٢].

وتجدر الإشارة إلى أن هدريان الروماني قد غيّر اسم مدينة القدس إلى اسم (إيليا). ولم يدم هذا الاسم اكثر من ٨٩ سنة (أي من ١٣٥م - ٢٢٤م) فقط. ويعني هذا أن اسم المدينة المقدسة بقي اسماً كنعانياً عربياً طوال التاريخ غير المدوّن والتاريخ

---

١ - مصطفى مراد الدباغ، ١٩٧٥، مرجع سابق، ص ٣٢ - ٣٨.

٢ - أمين عبد الله محمود، ١٩٧٨، التوسع الاستعماري العربي وفكرة اليهودية (١٧٩٨ - ١٩١٧)، دراسات، المجلد ٥، العدد١، ص ٢٣.



المكتـوب للمـدينة والذي يزيد على خمسة آلاف سنة. وطوال هذه الحقبة التاريخية لم يغـيّر اسم المـدينـة إلاّ فترة لا تزيد على ١٦٢ سنة تمثل فترة سيطرة اليهود وجزءاً من فترة السيطـرة الـرومـانيـة على المـدينـة. وسيظل اسم المدينة المقدسة عربياً كنعانياً بالرغم من رحيل العرب المؤقت عن القدس، فهذا ما أثبتته أحداث التاريخ طوال آلاف السنين.

جـ ـ موجز تاريخ القدس عبر العصور:

تعد القدس (مدينة السلام) من أقدم مدن الأرض في العصر التاريخي. فهي أقدم من بابل ونينوى، ولا يسبقها في القدم، على ما يبدو، إلاّ «اون» (أو هليوبوليس بشمال القاهرة والتي اسماها العرب «عين شمس»). وترجع نشأة المدينة إلى ٣٠٠٠ق.م[1]. وقد سكنها اليبوسيون، إحدى القبائل الكنعانية من العرب الأوائل الذين نزحوا من الجزيرة العربية مع من نزح من القبائل الكنعانية حوالي سنة ٢٥٠٠ ق.م. واحتلوا التلال المشرفة على المدينة القديمة. وقد ورد اسم يبوس في الكتابات المصرية الهير وغليفية باسم «يابثي» و«يابتي» وهو تحريف للاسم الكنعاني. وقد بنى اليبوسيون قلعة حصينة على الرابية الجنوبية الشرقية من يبوس، سميت حصن يبوس، الذي يعد أقدم بناء في مدينة القدس، أقيمت حوله الأسوار وبرج عال في أحد أطرافه، للسيطرة على المنطقة المحيطة بيبوس للدفاع عنها، وحمايتها من غارات العبرانيين والمصريين بزعامة ملكهم سالم اليبوسي. وعرف حصن يبوس فيما بعد بحصن صهيون، ويعرف الجبل الذي أقيم عليه الحصن بالاكمة، أو هضبة أوفل، وأحياناً بجبل صهيون. وقد أنشأ السلوقيون في موضع حصن يبوس قلعة منيعة عرفت باسم «قلعة عكرا» أو «أكرا».

ومن الطبيعي أن يختار اليبوسيون هذا الموضع لبناء حصنهم لأنه يتمتع بميزات استراتيجية طبيعية. فقد حبت الطبيعة هذا الموقع بأهم ما يحتاج إليه السكان، وهو الماء. ففي جوار الحصن شرقاً نبع غزير في وادي قدرون عرف باسم جيحون (نبع العذراء)، وقد حفر اليبوسيون نفقاً تحت الجبل لنقل مياه النبع إلى داخل الحصن. وهذا النفق نفسه هو الذي كراه الملك حزقيا (٧١٥ ـ ٦٧٦ق.م.) ومده من اتجاهه الشمالي إلى جهة الغرب وأنشأ في نهايته الجنوبية بركة صارت تعرف بركة سلوام (سلوان)[2].

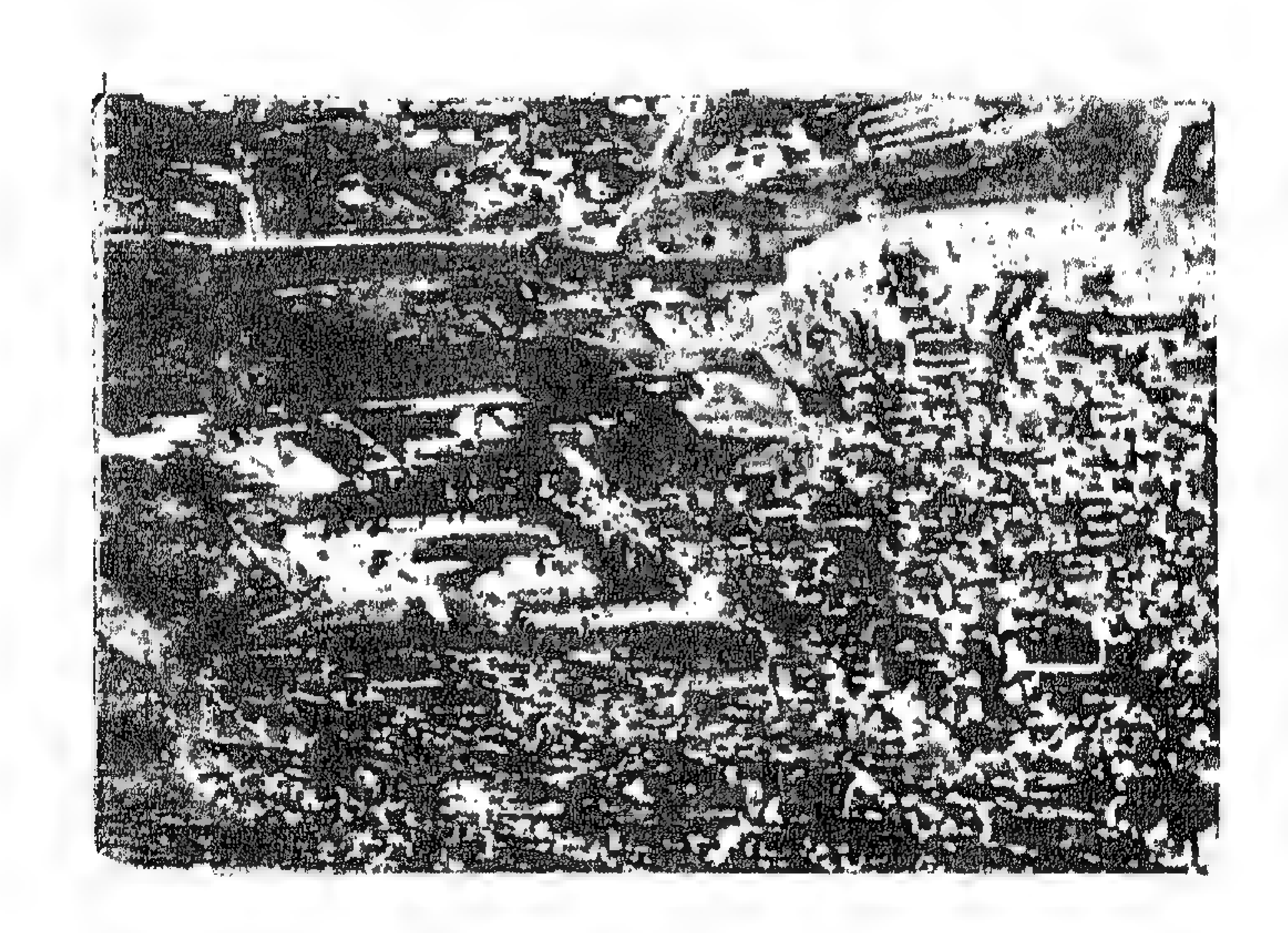
---

١ ـ مصطفى مراد الدباغ، ١٩٧٥، مرجع سابق، ص ٢٢ ـ ٢٤.

٢ ـ الموسوعة الفلسطينية، ١٩٨٤، المجلد الثالث، ص ٥١٠ ـ ٥١٤.

بقي حصن يبوس بيد اليبوسيين بعد مجيء الموسويين زهاء ثلاثة قرون لعجز الأخيرين عن اقتحامه، حتى تولى ملكهم «داود» فجمع أنصاره كلهم وذهب معهم إلى يبوس وقال لهم: من يحتل حصن اليبوسيين يكون رأساً وقائداً. فاقتحمه يوآب بعد مقاومة يبوسية ضارية فصار رأساً.

وقد كشفت التنقيبات الأثرية التي قامت بها الباحثة الانكليزية كاثلين م. كينيون سنة ١٩٦١ في طبقات العصر البرونزي القديم من أكمة أوفل بالقدس عن بقايا السور الأول الذي بناه اليبوسيون على جبل صهيون وأبرزت قسماً من أسس الأبنية وتمديدات جر المياه إلى الحصن من عين جيحون. وكذلك كشفت الحفريات عن بعض القبور وأواني الخزف من العهد البرونزي القديم حتى العهد الحديث.



استيلاء اليهود على القدس:

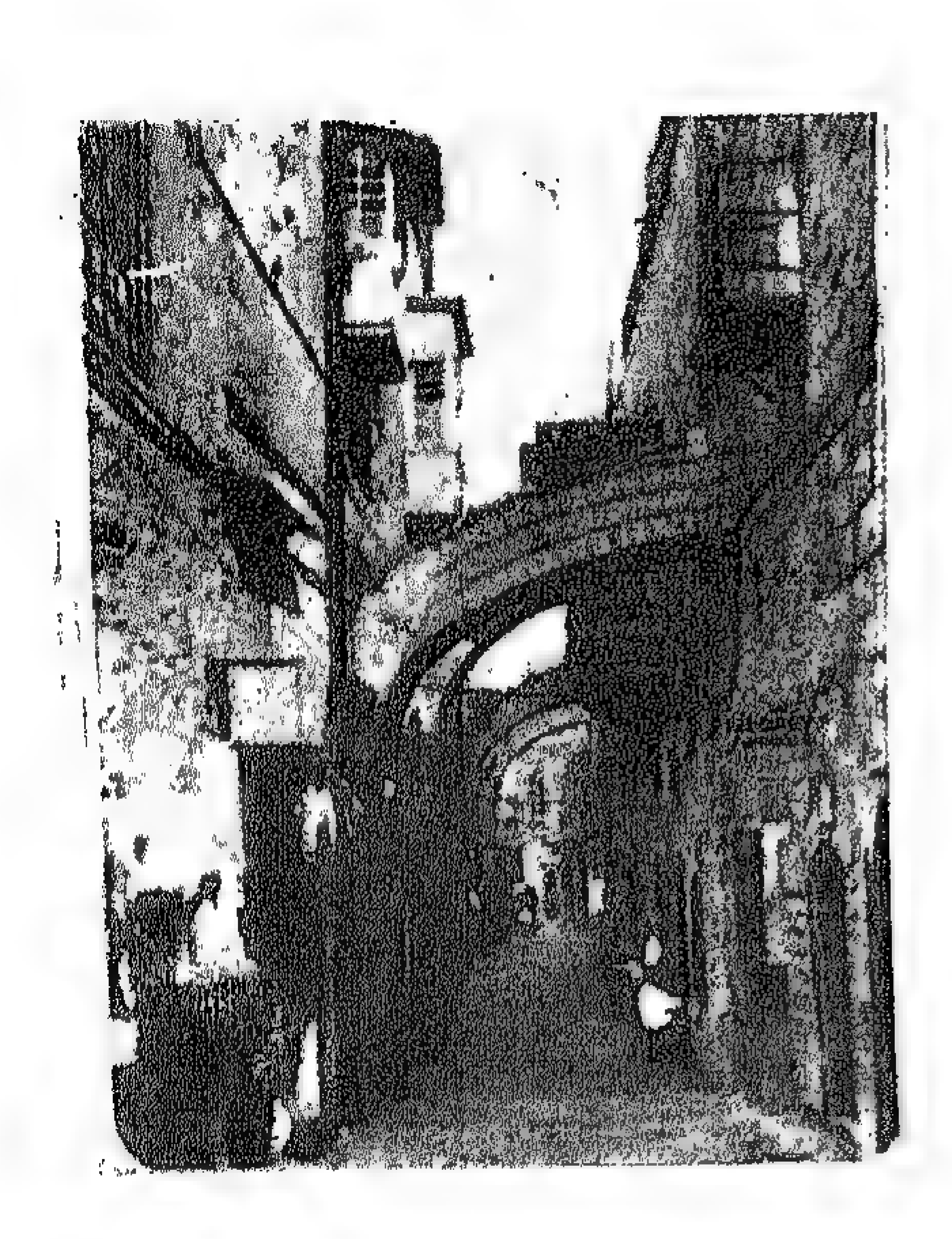
وهكذا لم يستطع اليهود الاستيلاء على حصن صهيون إلا في عهد داود الذي اتخذ أورشليم عاصمة له وأطلق على الحصن اسم «مدينة داود». وكان أكثر سكان المدينة في عهده من اليبوسيين والكنعانيين والعمريين والفلسطينيين. وقد ازدهرت المدينة في عهد خليفته سليمان الذي شيد الهيكل بمساعدة المعماريين الفنيقيين.

الحكم الفارسي:

استمرت سيطرة اليهود على أورشليم من عهد داود حوالي سنة ١٠٠٠ ق. م. إلى أن فتحها نبوخذ نصر (بختنصر) في سنة ٥٨٦ ق. م. ودمرها ونقل السكان اليهود إلى بابل (السبي البابلي). وبعد أن استولى الفرس على سورية وفلسطين سمح الملك قورش سنة ٥٣٨ ق. م. لمن أراد من الأسرى اليهود بالرجوع إلى أورشليم وأمر بإعادة بناء الهيكل.

الاسكندر المقدوني:

ظلت البلاد تحت الحكم الفارسي إلى أن فتحها الاسكندر المقدوني سنة ٣٣٢ ق. م. وتأرجحت السيطرة على أورشليم في عهد خلفائه البطالمة والسلوقيين. وقد تأثر السكان في هذا العهد الهلينستي بالحضارة الإغريقية، وقام الملك السلوقي انطيوخوس الرابع حوالي سنة ١٦٥ ق. م. بتدمير الهيكل وأرغم اليهود على اعتناق الوثنية اليونانية. وكانت نتيجة ذلك أن اندلعت ثورة المكابين ونجح اليهود في نيل الاستقلال بأورشليم تحت حكم الحاسمونيين من سنة ١٣٥ ق. م. حتى سنة ٧٦ ق. م.



بداية طريق الآلام.

الرومان:

بعد فترة من الفوضى استولى الرومان على سورية وفلسطين ودخل القائد الروماني بومبي أورشليم في سنة ٦٣ ق. م. وقد سمح الرومان لليهود بشيء من

الحكم الذاتي ونصبوا في سنة ٣٧ ق. م. هيرودس الأدومي الذي اعتنق اليهودية ملكاً على الجليل وبلاد يهوذا فظل يحكمها باسم الرومان حتى السنة الرابعة الميلادية.

وفي عهد الإمبراطور نيرون بدأت ثورة اليهود على الرومان، فقام القائد تيتوس في سنة ٧٠ م باحتلال أورشليم وحرق الهيكل وفتك باليهود.



صعود السيد المسيح.

ولما قامت ثورة اليهود من جدد بقيادة باركوخبا سنة ١٣٢م، أسرع الإمبراطور هادريانوس إلى إخمادها سنة ١٣٥م، وخرب أورشليم وأسس مكانها مستعمرة رومانية يحرم على اليهود دخولها أطلق عليها اسم «إيليا كابيتولوينا». ولما اعتنق الإمبراطور قسطنطين المسيحية أعاد إلى المدينة اسم أورشليم وقامت والدته هيلانة ببناء الكنائس فيها.

الفتح الاسلامي:

احتلت مدينة بيت المقدس في الدعوة الإسلامية منذ البداية مكاناً هاماً. فقد أشير إليها عدة مرات في القرآن الكريم وفي الحديث النبوي، وكانت قبلة الإسلام الأولى وإليها كان إسراء النبي محمد عليه الصلاة والسلام ومنها كان عروجه.

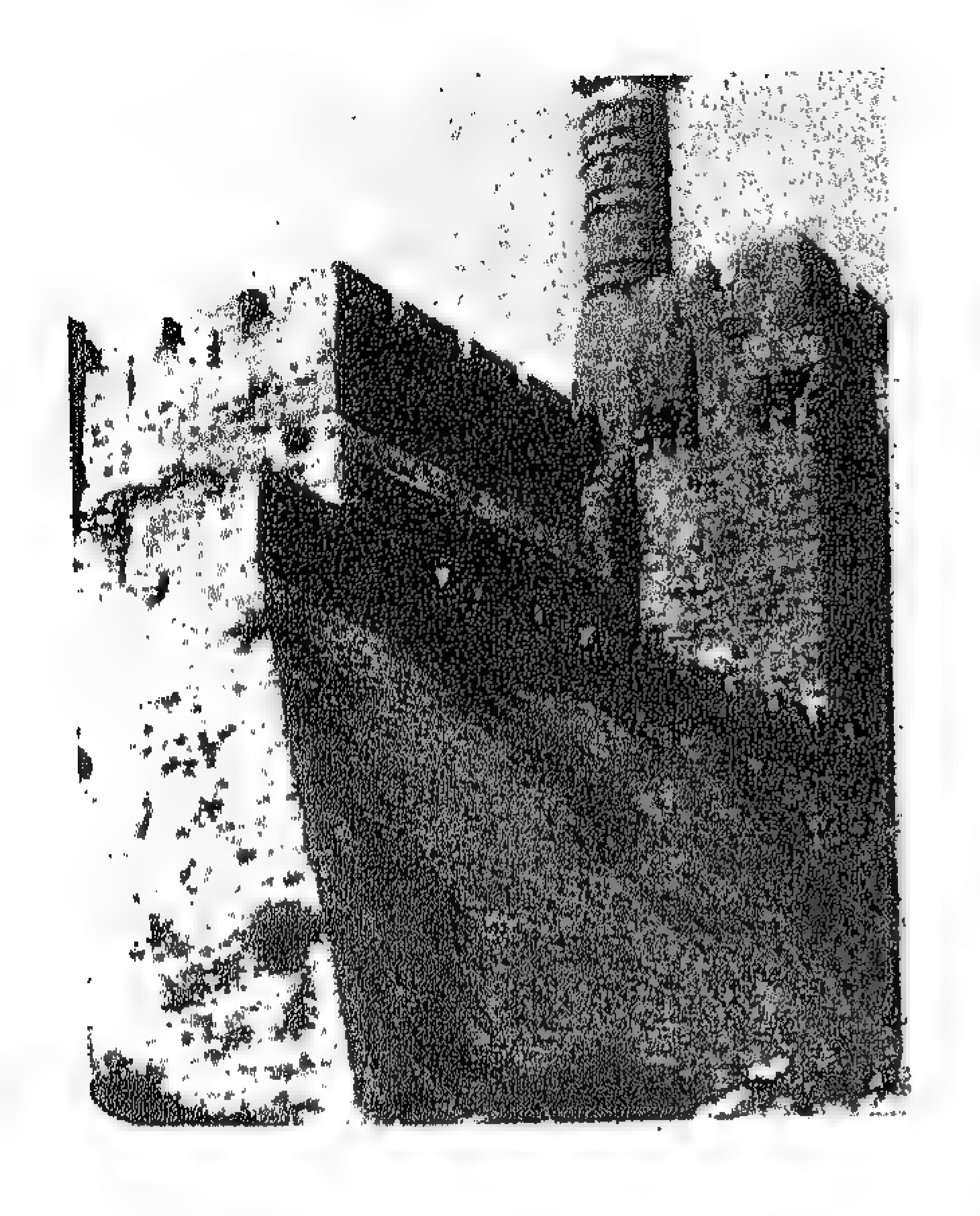
بعد هزيمة الروم في معركة اليرموك أصبح الطريق مفتوحاً إلى بيت المقدس. وطلب أبو عبيدة بن الجراح من الخليفة أن يأتي إلى المدينة لأن سكانها يأبون التسليم إلا إذا حضر شخصياً لتسلم المدينة. وقد ذهب عمر إلى بيت المقدس سنة ١٥هـ/٦٣٦م وأعطى الأمان لأهلها وتعهد لهم بأن تصان أرواحهم وأموالهم وكنائسهم وبألا يسمح لليهود بالعيش بينهم. ومنح عمر سكان المدينة الحرية الدينية مقابل دفع الجزية، ورفض أن يصلي في كنيسة القيامة لئلا تتخذ صلاته سابقة لمن

يأتي بعده. وذهب إلى موقع المسجد الأقصى فأزال بيده ما كان على الصخرة من أقذار وبنى مسجداً في الزاوية الجنوبية من ساحة الحرم. ومع عمر بن الخطاب، وبعده، وفد إلى القدس عدد كبير من الصحابة والتابعين وأخذ العنصر العربي ينمو وينتشر بسرعة وعاد إلى المدينة طابعها العربي. وتميز الحكم العربي الاسلامي بالتسامح الديني، واحتفظ المسيحيون بكنائسهم وبحرية أداء شعائرهم الدينية.

الأمويون والعباسيون:

بنى عبد الملك بن مروان قبة الصخرة المشرفة سنة ٧٢ هـ/٦٩١م، وأقام الوليد بن عبد الملك المسجد الأقصى بعد ذلك بسنوات قلائل (حوالي سنة ٩٠ هـ).

وقد أولى خلفاء بني أمية المدينة المقدسة اهتماماً كبيراً، وبويع منهم فيها معاوية بن أبي سفيان سنة ٤٠هـ/٦٠٠م وسليمان بن عبد الملك سنة ٩٦هـ/٧١٤م، وقاموا ببناء قصور لهم اكتشفت آثارها حديثاً في جنوب المسجد الأقصى وجنوبه الغربي.



برج القلعة.

وواصل الخلفاء العباسيون الاهتمام بالقدس فزارها منهم المنصور (١٣٦ - ١٥٨هـ/٧٥٤ - ٧٧٥م) والمهدي (١٥٨ - ١٦٩هـ/٧٧٥ - ٧٨٥م) والمأمون (١٩٨ - ٢١٨هـ/٨١٣ - ٨٣٣م) عند عودته من زيارة مصر. وقد جرت في عهد الخلفاء الثلاثة تغيرات وتجديدات في المسجد الأقصى وقبة الصخرة بعد الخراب الذي نتج عن الزلازل المتكررة.

وفي عصر العباسيين وصف الحاج المسيحي برنارد الحكيم أوضاع القدس وما حولها فقال: «إن المسلمين والمسيحيين فيها على تفاهم تام والأمن العام مستتب».

الطولونيون والإخشيديون :

وعندما بدأ الضعف يدب في السلطة المركزية ببغداد دخلت القدس وفلسطين في حوزة الطولونيين (سنة ٢٦٥ - ٢٩٢هـ / ٨٧٨ - ٩٠٥م)، وتلاهم في حكمها الإخشيديون سنة (٣٢٧ - ٣٥٩هـ / ٩٣٩ - ٩٦٩م). وكان للقدس منزلة خاصة عند الإخشيديين بدليل أن ملوكهم جميعاً دفنوا فيها بناء على وصاياهم.

الفاطميون والسلاجقة :

وفي سنة ٣٥٩هـ / ٩٦٩م استولى الفاطميون على القدس. وقد تميز حكم الحاكم بأمر الله (٣٨٦ - ٤١١هـ / ٩٩٦ - ١٠٢٠م) بالتعصب الديني واضطهاد النصارى فهدم كنيسة القيامة وغيرها من الكنائس وأوقع بالمسيحية شتى أنواع الاضطهاد. ولكن ذلك لم يصبهم وحدهم، فلم يكن المسلمون من رعاياه أفضل حالاً بكثير.

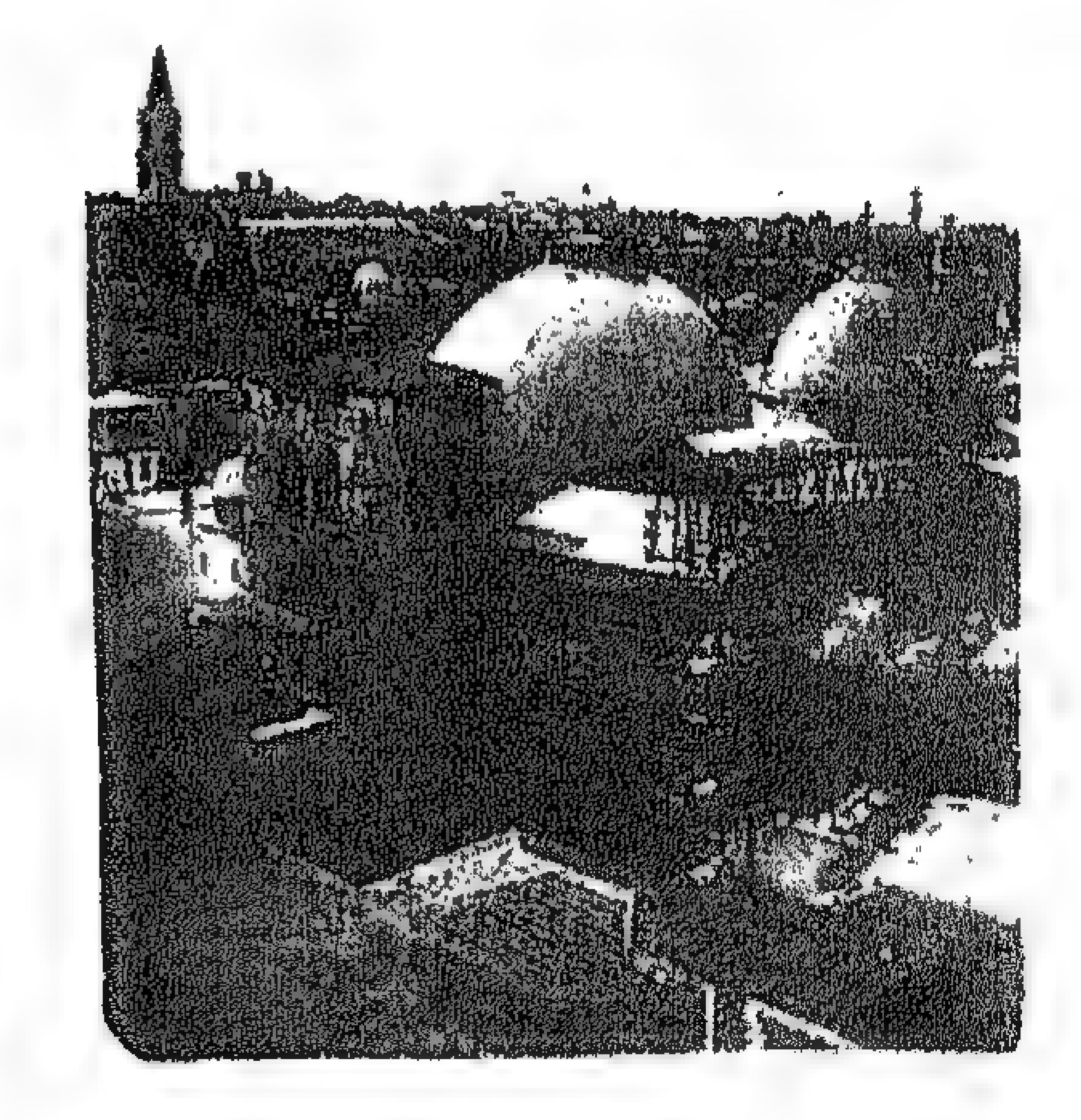
ومما يذكر أن الفاطميين أسسوا في عهد الحاكم دار علم في القدس لنشر الدعوة الفاطمية، وأقاموا مستشفى في المدينة. ووضع السلاجقة حداً لحكم الفاطميين (٤٦٣ هـ / ١٠٧٠م) وعادت الخطبة في القدس للخليفة العباسي. وفي سنة ٤٨٩هـ / ١٠٩٦م استولى الخليفة الفاطمي المستعلي على القدس لثلاث سنوات فقط.

الاحتلال الصليبي :

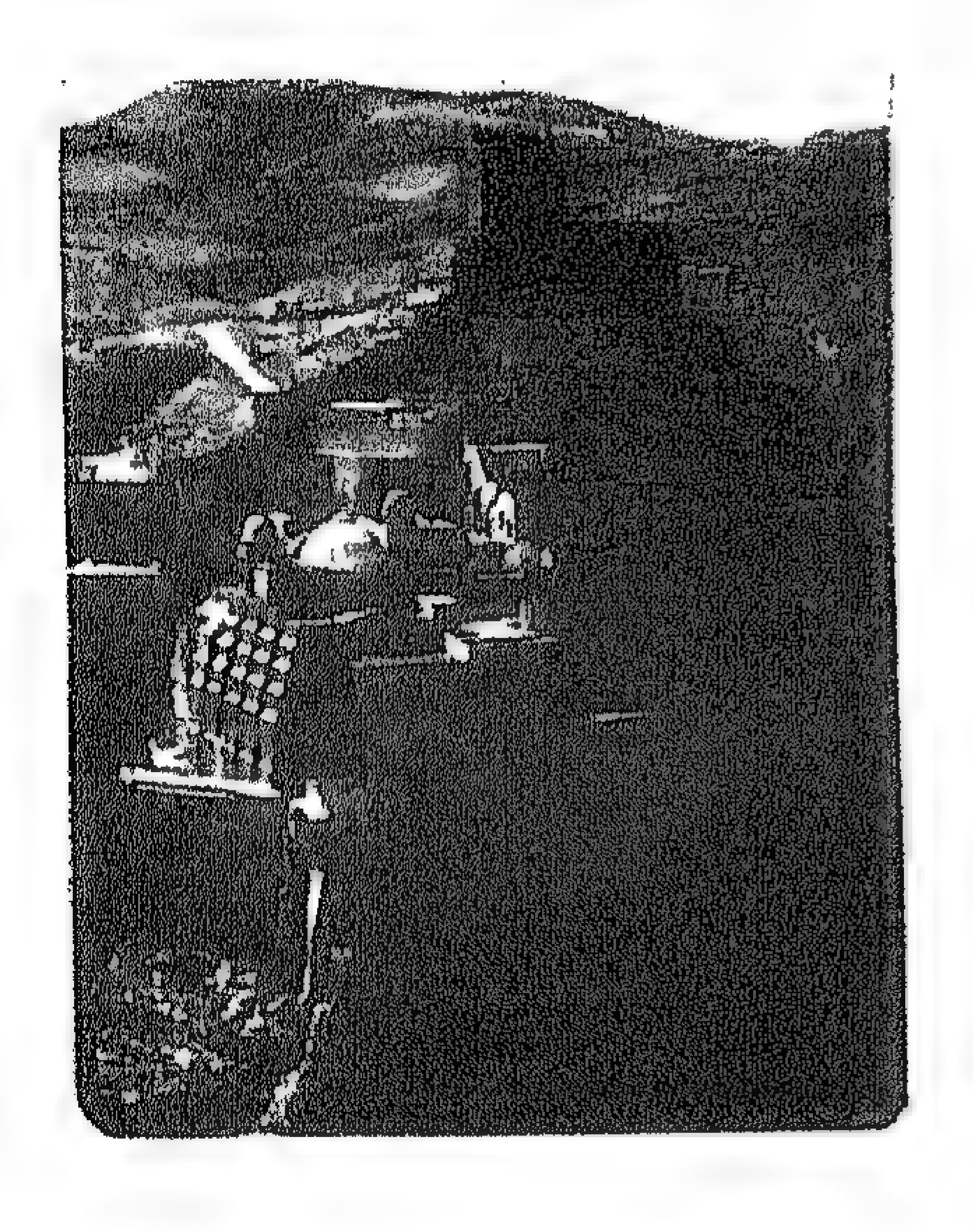
احتل الفرنجة القدس سنة ٤٩٢هـ / ١٠٩٩م واحتفلوا بانتصارهم بارتكاب مذبحة رهيبة خصوصاً في منطقة الحرم الشريف. وذكر أن عدد ضحاياهم بلغ سبعين ألفاً، الأمر الذي يتناقض تناقضاً صارخاً مع تسامح عمر بن الخطاب عندما دخل المدينة. ونهب الصليبيون ما كان في الصخرة والأقصى من كنوز ووضعوا صليباً

على قبة الصخرة، وحولوا الأقصى إلى مقر لفرسان الداوية، وجعلوا القدس عاصمة لمملكتهم اللاتينية، ونصبوا بطريركاً لاتينياً للمدينة بدلاً من البطريرك الأرثوذكسي. وأقام الفرنجة عدداً من المباني الدينية الجديدة، وعمروا كنيسة القيامة وكنيسة القديس حنا وغيرهما، وأقاموا نزلاً يتسع لألف شخص من الحجاج المسيحيين القادمين من الخارج.

لم يبق حكم الصليبيين في القدس أكثر من ٨٨ سنة فانهارت مملكتهم. وقد حلت بهم الضربة القاصمة بعد معركة حطين ٥٨٣هـ /١١٨٧م. وبعدها دخل صلاح الدين الأيوبي القدس صلحاً، وسمح للفرنجة بمغادرتها بعد دفع جزية بسيطة عن كل شخص. وامتازت معاملة صلاح الدين بالإنسانية فأعفى كثيرين من دفع الجزية وسمح للمسيحيين الشرقيين بالبقاء في المدينة.



قبة كنيسة القيامه.



دير مارسابا

وقد أزال صلاح الدين الصليب عن قبة الصخرة، ووضع فيها المصاحف، وعين لها الأئمة، ووضع في المسجد الأقصى المنبر الذي كان قد أمر نور الدين محمود بن زنكي بصنعه، ودشن إنشاءات إسلامية كثيرة في القدس أهمها مدرسة للشافعية

(الصلاحية) وخانقاه للصوفية ومستشفى كبير (البيمارستان). وأشرف بنفسه على تلك الإنشاءات، بل شارك بيديه في بناء سور القدس وتحصينه، وعقد في المدينة مجالس العلم.

تولى حكم القدس بعد صلاح الدين ابنه الملك الأفضل، الذي وقف المنطقة الواقعة إلى الجنوب الشرقي من الحرم على المغاربة، حماية لمنطقة البراق المقدسة، وأنشأ فيها مدرسة. وممن حكم القدس من الأيوبيين بعد الأفضل الملك المعظم عيسى بن محمد بن أيوب، الذي اجرى تعميرات في كل من المسجد الأقصى والصخرة وأنشأ ثلاث مدارس للحنفية (وكان الحنفي الوحيد من الأسرة الايوبية). ولكن المعظم عاد فدمر أسوار القدس خوفاً من استيلاء الصليبيين عليها، وخرب المدينة فاضطر أهلها إلى الهجرة في اسوأ الظروف.

وتلا المعظم بعد فترة وجيزة أخوه الملك الكامل، الذي عقد اتفاقاً مع الامبراطور فردريك الثاني ملك الفرنجة، سلّمه بموجبه القدس ما عدا الحرم الشريف. وسلّمت المدينة وسط مظاهر الحزن والسخط والاستنكار سنة ٦٢٦هـ/١٢٩٠م. وبقيت في أيديهم حتى ٦٣٧هـ/١٢٣٩م عندما استردها الملك الناصر داود ابن أخي الكامل. ثم عادت إلى الإسلام نهائياً سنة ٦٤٢هـ/١٢٤٤م عندما استردها الخوارزمية للملك نجم الدين ايوب ملك مصر.

المماليك:

دخلت القدس في حوزة المماليك في سنة ٦٥١هـ/١٢٥٣م وبقيت كذلك حتى ٩٢٢هـ/١٥١٦م. وفي عصر المماليك حظيت المدينة باهتمام ملحوظ وقام سلاطينهم: الظاهر بيبرس (ت ٦٧٦هـ/١٢٧٧م) وسيف الدين قلاوون (حكم من ٦٧٩ - ٦٨٩هـ/١٢٨٠ - ١٢٩٠م) والناصر محمد بن قلاوون (ت ٧٤١هـ/١٣٤٠م) والأشرف قايتباي (حكم من ٨٩٣ - ٩٠٢هـ/١٤٨٦ - ١٤٩٦م) وغيرهم بزيارات عدة للقدس، وأقاموا منشآت دينية ومدنية مختلفة فيها كانت آية في العمارة، وأجروا تعميرات كثيرة في قبة الصخرة والمسجد الأقصى. ومن المنشآت التي أقامها المماليك زهاء خمسين مدرسة وسبعة ربط وعشرات الزوايا.

وفي سنة ٧٧٧هـ جعلوا القدس بيابه مستقلة تابعة للسلطان في القاهرة مباشرة بعد أن كانت تابعة لنيابة دمشق. ومن آثار المماليك في القدس أنهم سحبوا المياه من عين العروب إلى الحرم الشريف. ومن أشهر المدارس التي أنشأوها المدرسة السلطانية الأشرفية والمدرسة التنكزية.

وغدت القدس زمن المماليك مركزاً من أهم المراكز العلمية في العالم الإسلامي كله، فكان يفد إليها الدارسون والمدرسون من مختلف الأقطار. وقد اكتشفت في الحرم القدسي سنة ١٩٧٤م وبعده وثائق مملوكية تلقي المزيد من الضوء على تاريخ المدينة.

العثمانيون:

وفي سنة ٩٢٢هـ /١٥١٦م وضع السلطان سليم العثماني حداً لحكم المماليك في بلاد الشام إثر انتصاره في معركة مرج دابق. وفي السنة التالية احتل القدس. ولما توفي السلطان سليم خلفه ابنه سليمان القانوني (٩٢٧هـ / ١٥٢٠م) الذي اهتم بالقدس اهتماماً خاصاً، وأقام فيها منشآت كثيرة منها سور القدس الذي دامت عمارته خمسة اعوام، وتكية خاصكي سلطان، ومساجد وأسلبة. وعمر كذلك قبة الصخرة.

انتشرت زمن العثمانيين في القدس التكايا والزوايا ومؤسسات الصوفية الأخرى. ولكن بدءاً من القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي أخذت مدارس القدس التي أنشأها المماليك والأيوبيون تضمحل بسبب اضمحلال العقارات الموقوفة عليها. وقد وصلت حالة الشعب العلمية في هذا القرن إلى أدنى مستوى على الرغم من ظهور عدد من علماء الدين البارزين.

وفي سنة ١٨٣١ - ١٨٤٠م كانت القدس تحت حكم ابراهيم بن محمد علي حاكم مصر الذي احتل سورية كلها إثر خلاف نشب مع الدولة العثمانية. وقد شهدت فترة الحكم المري شيئاً من تحديث الادارة ونشر روح التسامح، ولكن فرض التجنيد الإجباري والضرائب الكثيرة وجمع السلاح من الأهالي وإزالة نفوذ المشايخ والعائلات الإقطاعية، أدت إلى ثورة ضد هذا الحكم دعمته الدولة العثمانية

واستطاع المصريون إخمادها بصعوبة. ولكن ابراهيم باشا اضطر إلى ترك البلاد سنة ١٨٤٠م تحت ضغط الدول العظمى.

تميز الحكم العثماني منذ القرن السابع عشر بالخلافات بين الطوائف المسيحية المختلفة ونزاعها على النفوذ على الأماكن المقدسة. وكان من نتائج هذه الخلافات حرب القرم سنة ١٨٥٣ بين روسيا التي ادعت حماية الأرثوذكس وفرنسا وإنكلترا اللتين ادعتا حماية اللاتين. وفي أعقاب هذه الحرب أدخلت الدولة العثمانية بعض الإجراءات الإصلاحية التي تقضي بالمساواة بين جميع الرعايا العثمانيين، وأخذت تسمح بتعيين قناصل لإنكلترا وفرنسا وغيرهما من الدول الغربية. وبدأ التغلغل الاستعماري في البلاد وجر معه ازدياد الهجرة اليهودية وتفاقم عدد اليهود في القدس تدريجياً.

ومع نهاية الحرب العالمية الأولى (١٩١٧م)، قضي على الحكم العثماني الذي امتد على بيت المقدس ٤٠٠ سنة (١٥١٧ ـ ١٩١٧). وقد أخذت الأحداث تتوالى بسرعة في النصف الثاني من عام ١٩١٧. ففي التاسع من شهر كانون الأول دخلت القوات البريطانية مدينة القدس لتمهد الطريق بعد يومين لدخول الجنرال اللنبي قائد القوات البريطانية العاصمة الفلسطينية. وفي نفس الفترة التي كانت القوات البريطانية تقتحم فلسطين كانت المفاوضات قائمة على قدم وساق بين الساسة البريطانيين وزعماء الحركة الصهيونية حيث تمخضت في الثاني من تشرين الثاني من نفس العام (١٩١٧) عن صدور ما يسمى «بوعد بلفور» (نسبة إلى بلفور وزير الخارجية البريطاني آنذاك) الذي ينص على تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين. وبالرغم من أن الوعد استبدل تعبير دولة بتعبير وطن إلا أنه كان واضحاً بأن الدولة ستظهر إلى حيز الوجود في نهاية المطاف. ولقد كان وعد بلفور اعتراف دولي بالصهيونية السياسية ومشاريعها الاستيطانية[1].

وتجدر الإشارة إلى أن العامل الجوهري في إصدار وعد بلفور هو مصلحة الامبريالية البريطانية التي دفعتها للتحالف مع الحركة الصهيونية وتسخيرها لخدمة اهدافها ومصالحها في المشرق العربي، وللمحافظة على خطوط مواصلات الإمبراطورية مع مستعمراتها شرقي السويس، وبتعبير أدق استخدم الساسة

---

١ ـ أمين عبد الله محمود، ١٩٧٨، مرجع سابق، ص ٣٧.

البريطانيون الصهاينة وسيلة لخدمة مآرب الامبراطورية التي كانوا في صدد بنائها وتثبيت دعائمها.

وخلاصة القول إن فكرة الدولة اليهودية وتوطين اليهود في فلسطين كانت بمثابة امتداد لسياسة التوسع الإمبريالي الغربي بعد الثورة الصناعية، لتصبح فيما بعد أداة من ادواته في المشرق العربي تؤمن مصالحه وتحرس مواقعه. وكانت بريطانيا هي التي فازت بهذه الأداة حتى عام ١٩١٧، وبقيت محافظة عليها حتى قيام الدولة عام ١٩٤٨ [1] برحيل الانجليز عن القدس وفلسطين في ١٤ أيار من نفس العام. وفي نفس اليوم تمكن اليهود من احتلال المسكوبية. وفي ٣/٤/١٩٤٩ وقعت اتفاقية الهدنة بين الأردن والاعداء فقسمت مدينة القدس إلى الأقسام التالية [2]:

آ ـ القدس المحتلة (القطاع اليهودي) ومساحته ٤٠٦٥ فداناً أي ما يعادل ٨٤٪ من مساحة القدس.

ب ـ القدس العربية (القطاع العربي) ومساحته ٥٥٥ فداناً أي ما يعادل ١١,٥٪ من مساحة القدس.

جـ ـ قطاع هيئة الأمم المتحدة والأراضي الحرام ومساحتها ٢١٤ فداناً أي ما يعادل ٤,٩٪ من مساحة القدس وتشمل ما كان مقراً للمندوب السامي البريطاني على جبل المكبر. وقد شغلته فيما بعد هيئة الرقابة الدولية على الهدنة، ومنطقة مستشفى هداسا والجامعة العبرية على جبل سزبس، وقطعة أرض تفصل القطاعين الإسرائيلي والعربي من المدينة. وكانت بوابة مندلبوم تصل بين القطاعين.

وبقيت معظم الأماكن الإسلامية والمسيحية المقدسة في القطاع العربي الذي كان يحتوي المدينة القديمة بأجمعها.

وفي حزيران من عام ١٩٦٧ استولى الصهاينة على القطاع العربي من القدس يوم الأربعاء الموافق ٧ حزيران. وفي اليوم التالي أي الخميس تم احتلال كل الضفة الغربية من الاردن، لتبدأ مرحلة جيوبولتيكية جديدة لبيت المقدس، وهي مرحلة التصفية الحضارية والتهويد.

---

٢ ـ أمين عبد الله محمود، المرجع السابق، ص ٣٨.

٣ ـ مصطفى مراد الدباغ، ١٩٧٦، مرجع سابق، ص ٣٠١ ـ ٣٠٢.

الفصل الثالث

البيئة الجغرافية

آ ـ الموقع والموضع :

شيدت النواة الأولى للقدس أو المدينة اليبوسية في موضع طوبوغرافي من جبال القـدس، يمثـل رابية أرضية بارزة بين منحدرات سحيقة على الفاصل المائي الذي يفـرق أودية الغـور عن أودية البحر المتوسط[1] وبخاصة وادي الصرار. ويمثل هذا الموضع سرجاً أرضياً (فجوة) يمتد بين كتلتي جبال نابلس في الشمال، وجبال الخليل في الجنوب. وتقع المدينة على خط طول ٣٥ درجة و١٣ دقيقة شرقاً، ودائرة عرض ٣١ درجة و٥٢ دقيقة شمالاً. ويرتفع وسط المدينة ٧٥٠م عن سطح البحر المتوسط، ونحـو ١٥٠م عن سطح البحر الميت. ومن الناحية الجغرافية فإن الموضع الطبوغرافي للمـدينـة مشرف ومسيطـر، ومشهـدي ومثير. ويمثل هذا الموقع الحد الفاصل بين الأراضي الجافة المجدبة باتجاه الغور (برية القدس) شرقاً، والأراضي الرطبة المنزرعة طوال التـاريـخ غربـاً. وبعـد بضعـة كيلومترات شرقي القدس، أي باتجاه البرية، تقـترب المـدينـة من الحـافة الصدعية المطلة على غور الأردن. وتتضمن تلك الحافة مواضع طوبوغرافية ممتازة للدفاع العسكري والسيطرة العسكرية. ونظراً لعظم تعقد الـوضـع الطـوبوغرافي هنا بالمقارنة مع الجزء الشرقي المقابل (الحافة الصدعية للضفة الشرقية) فانه يعطي فرصة أكبر للدفاع بعمق[2].

ومن هنـا فقـد اختـير موقـع القـدس الجغـرافي لأنه يجمع بين ميزة الاعتصام

---

١ ـ صلاح بحيري، ١٩٧٣، مرجع سابق، ص ٢٢٩.

٢ ـ Harris, 1980, Op. cit., p. 7-8.

والانغلاق وما يعطيه من حماية للمدينة، وميزة الانفتاح وما يعطيه من إمكانيه الاتصال بالمناطق المجاورة. ليكون هذا الموقع نقطة نشوء الديانتين اليهودية والمسيحية ومركز إشعاع لهما. وجاء الإسلام بعدئذ ليربط بين مكة والقدس روحياً ومادياً[1].

وفوق ذلك كله فإن خصائص الموقع الجغرافي والموضع للمدينة المقدسة أهلتها لأن تصبح المدينة المركزية في فلسطين، وعقد اتصال في بلاد الشام، وإذا كانت فلسطين عقدة الاتصال بين المشرق العربي ومغربه والمعبر البري الأساسي بين الشرق والغرب، فإن مدينة القدس تمثل البؤرة التي تتجمع عندها أوبالقرب منها خطوط الاتصال بين الشرق والغرب والشمال والجنوب.

ومن المغالطات المرفوضة ما ذهب إليه سميث Smith[2] وكارمون Karmon[3] في أن المدينة المقدسة لا تحظى بموقع جغرافي يؤهلها للمكانة المرموقة التي احتلتها عبر التاريخ ولا تزال. ويزيد على ذلك سميث بقوله أن مدينة القدس تقوم على شبه فراغ مادي (جغرافي) استعاضت عنه بمنزلتها الروحية التي جذبت الناس إليها حتى أصبح الحجيج والسياحة أهم مواردها. ويرى في البيئة الجغرافية المتواضعة (حسب رأيه) للمدينة المقدسة تكراراً للبيئة الجغرافية لمدينة مكة المكرمة. وفي الحقيقة إن المقارنة هنا مرفوضة علمياً، فالفرق واضح بين البيئتين من الناحية الجغرافية، وكلاهما تتفرد بخصائص جغرافية متميزة. وبالرغم من وقوع مكة بواد غير ذي زرع اي في شبه الجزيرة في الماضي والحاضر والذي جعلها تتميز عن غيرها من المواقع. بينما تقع القدس فوق أراض رطبة (المعدل السنوي ٥٥١ ملليمتر سنوياً)، وبالرغم من ارتفاع معدل المطر السنوي فوق القدس، إلا أنها تقع أيضاً على الحد الفاصل بين البرية أو القفار وبين الأراضي المنزرعة وكأنها تنتمي إلى بيئات فلسطين جميعها (شكل ١).

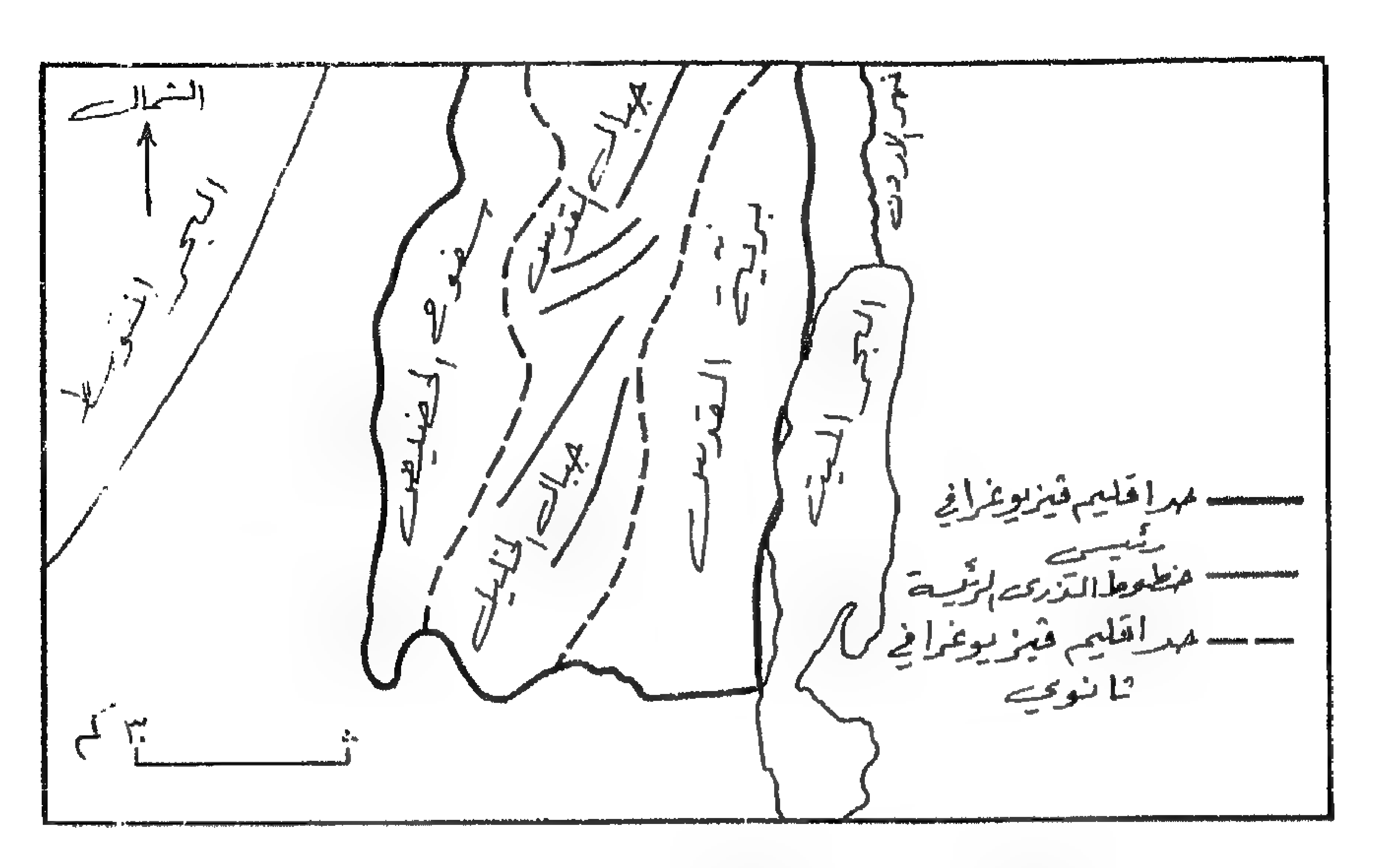
ولا شك أن تلك المغالطات الجغرافية التي تقلل من شأن أقدس مدينتين

١- الموسوعة الفلسطينية، مرجع سابق، ٥٠٨.

٢- Smith, G.A., 1907, The Historical Geography of the Holy Land, London, p. 317-319.

٣- Karmon, Y., 1971, Israel: A Regional Geography, London, p. 249.

عربيتين وإسلاميتين، ليست إلا جزءاً من الجيوبولوتيكا المزيفة التي صورت أقدس المواقع والمواضع العربية والإسلامية وكأنها أراضٍ جرداء مقفرة لم يكن لها قيمة عبر التاريخ.

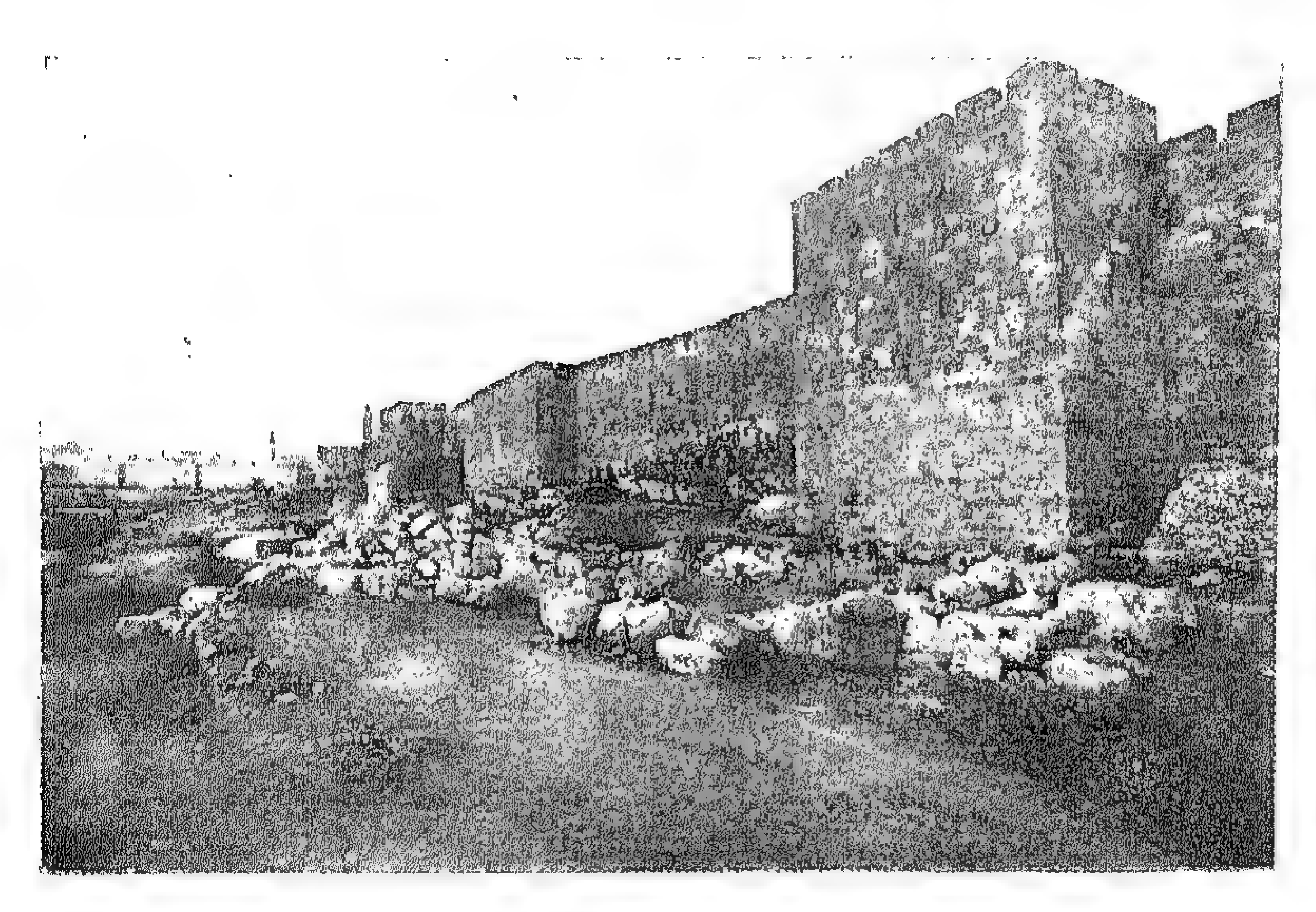


شكل ـ ١ ـ الأقاليم الفيزيوغرافية لمنطقة القدس. «عن اورني وايفرات، ١٩٧١».

تبتعد القدس مسافة ٢٢ كم عن البحر الميت، و٥٢ كم عن البحر المتوسط. وأطول الطرق المعبدة التي تربط بين القدس وكل من العواصم العربية المجاورة هي التالية: القدس ـ عمان ٨٨ كم، القدس ـ دمشق ٢٩٠ كم، القدس ـ بيروت ٣٨٨ كم، القدس ـ القاهرة ٥٢٨ كم. وهناك خط للسكة الحديدية يربط القدس بيافا. وترتبط القدس بالعالم الخارجي جواً عن طريق مطار كلندية الواقع إلى الشمال منها على طريق رام الله.

ولا يقل موضع المدينة أهمية عن موقعها، فهو موضع ديني لمدينة مقدسة، وموضع دفاعي يجمع بين الطهارة والقدسية للمكان وسهولة الدفاع عنه والتمسك به. وقد تعاقبت كثير من الأمم على هذا المكان منذ فجر التاريخ وحتى اليوم. وشهد هذا الموضع معارك كثيرة أسفرت عن تعاقب بناء وهدم المدينة. وقد نشأت

النواة الأولى لمدينة القدس على تلال الضهور (الطور أو تل أوفل) المطلة على بلدة سلوان إلى الجنوب الشرقي من المسجد الأقصى. وقد اختير هذا الموضع الدفاعي لتوفير أسباب الحماية والأمن لها. وأسهمت مياه عين أم الدرج في الجانب الشرقي من الضهور في توفير المياه للسكان. ويحيط وادي جهنم (قدرون) بالمدينة القديمة من الناحية الشرقية، في حين يحيط وادي الربابة (هنّوم) بها من الجهة الجنوبية، ووادي الزبل من الجهة الغربية (شكل ٢). وقد كونت هذه الأودية الثلاثة خطوطاً دفاعية طبيعية جعلت اقتحام القدس القديمة أمراً صعباً إلاّ من الجهتين الشمالية والشمالية الغربية. وقد لاحظ جميع المؤرخين أن جميع الجيوش التي فتحت القدس قديماً وحديثاً دخلتها من الشمال(١).

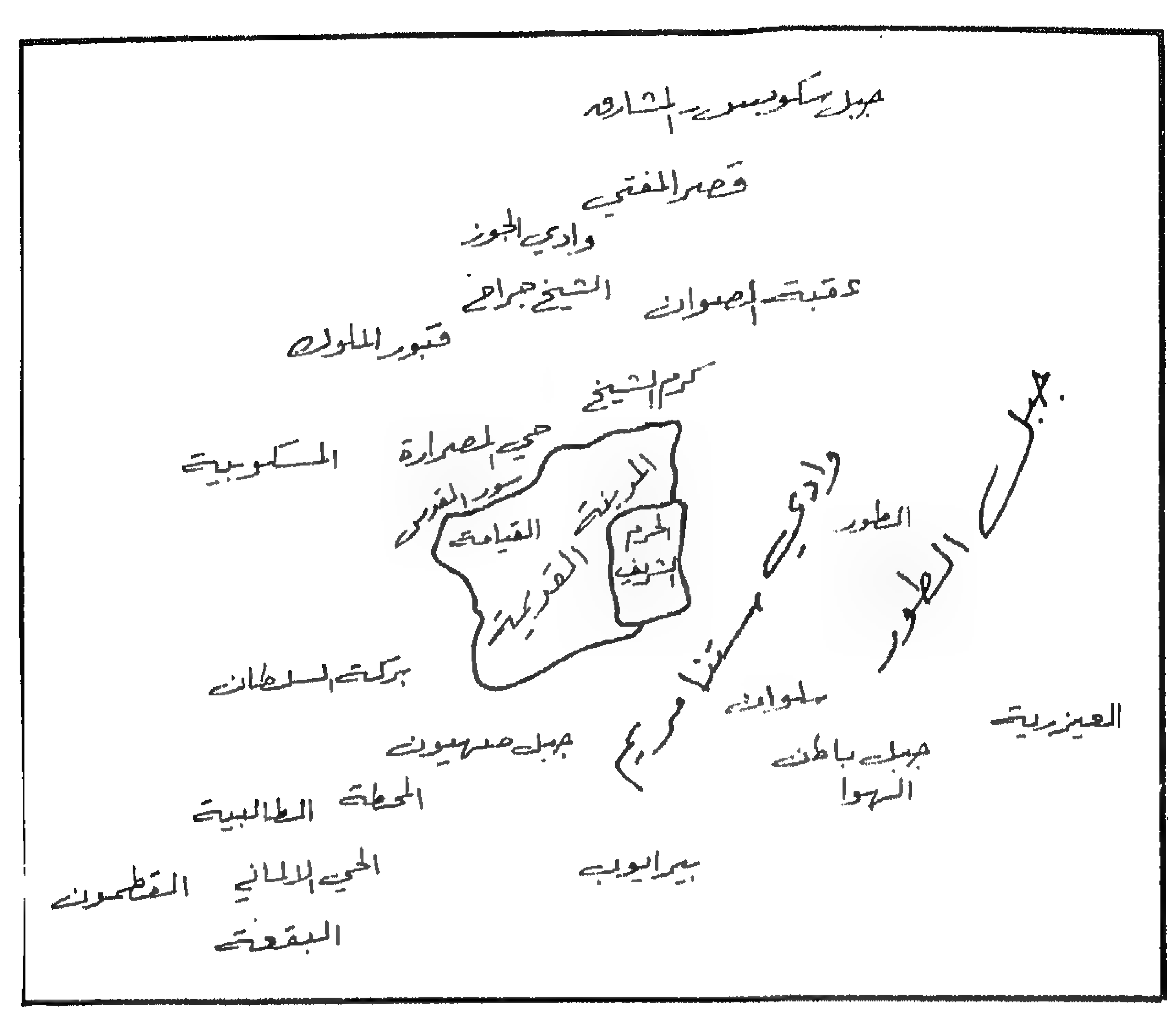


جانب من سور القدس

وقد هجرت النواة الأولى للمدينة بمرور الزمن وحلت محلها نواة رئيسة تقوم على تلال أخرى غير تلال الطور، مثل مرتفع بيت الزيتون (بزيتا) في الشمال الشرقي للمدينة بين باب الساهرة وباب حطة، ومرتفع ساحة الحرم (مدريا) في الشرق، ومرتفع صهيون في الجنوب الغربي، وهي المرتفعات التي تقع داخل السور

١ - الموسوعة الفلسطينية، مرجع سابق، ص ٥٠٩.

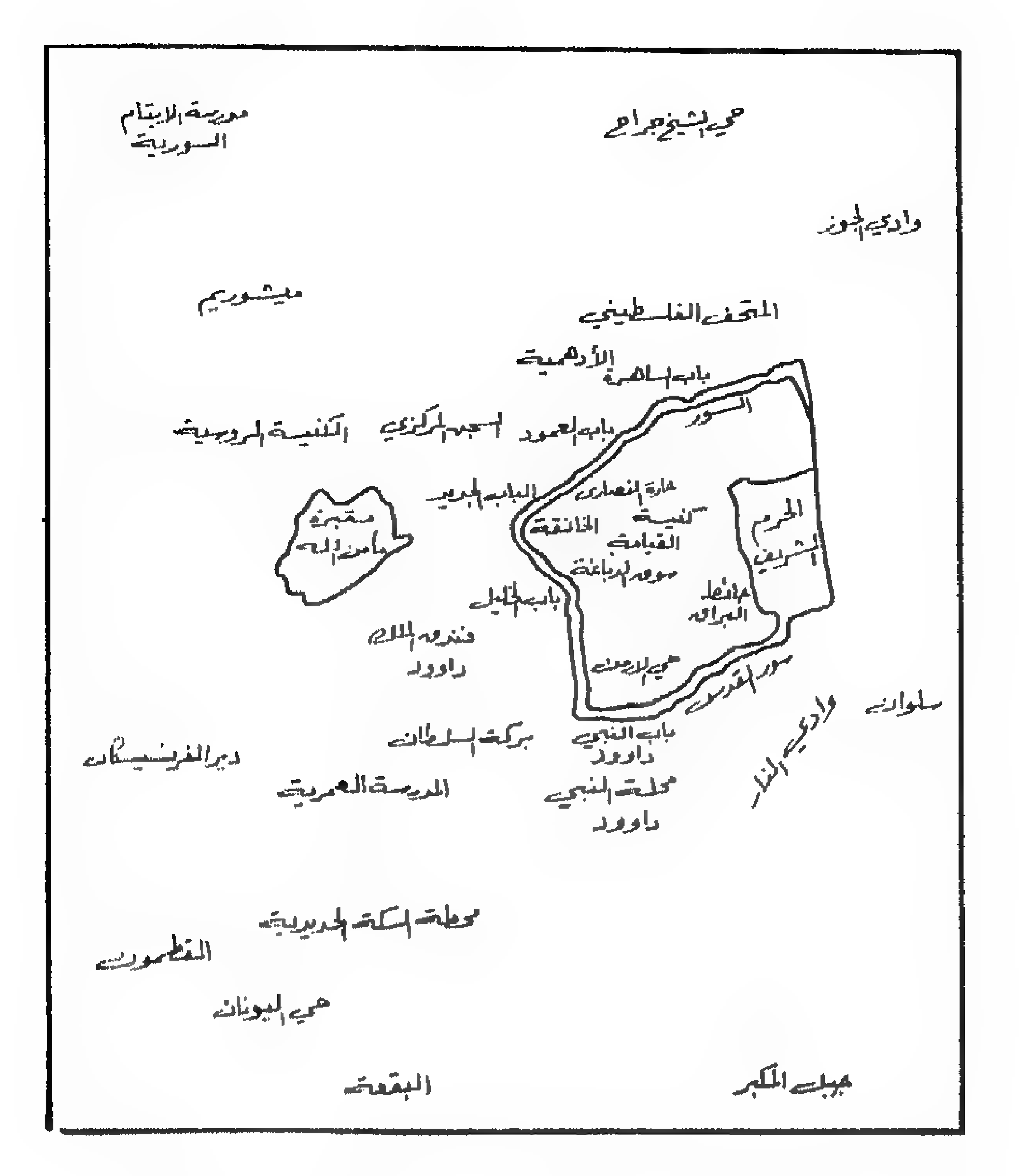
فيما يعرف اليوم «بالقدس القديمة». وقد شيّد السلطان العثماني سليمان القانوني عام ١٥٤٢م سوراً عظيماً يحيط بالقدس ويبلغ محيطه أربعة كيلومترات وله سبعة أبواب هى (شكل ٣)



شكل ـ ٢ ـ القدس في أواخر العهد العثماني.

«عن الدباغ، ١٩٧٦»

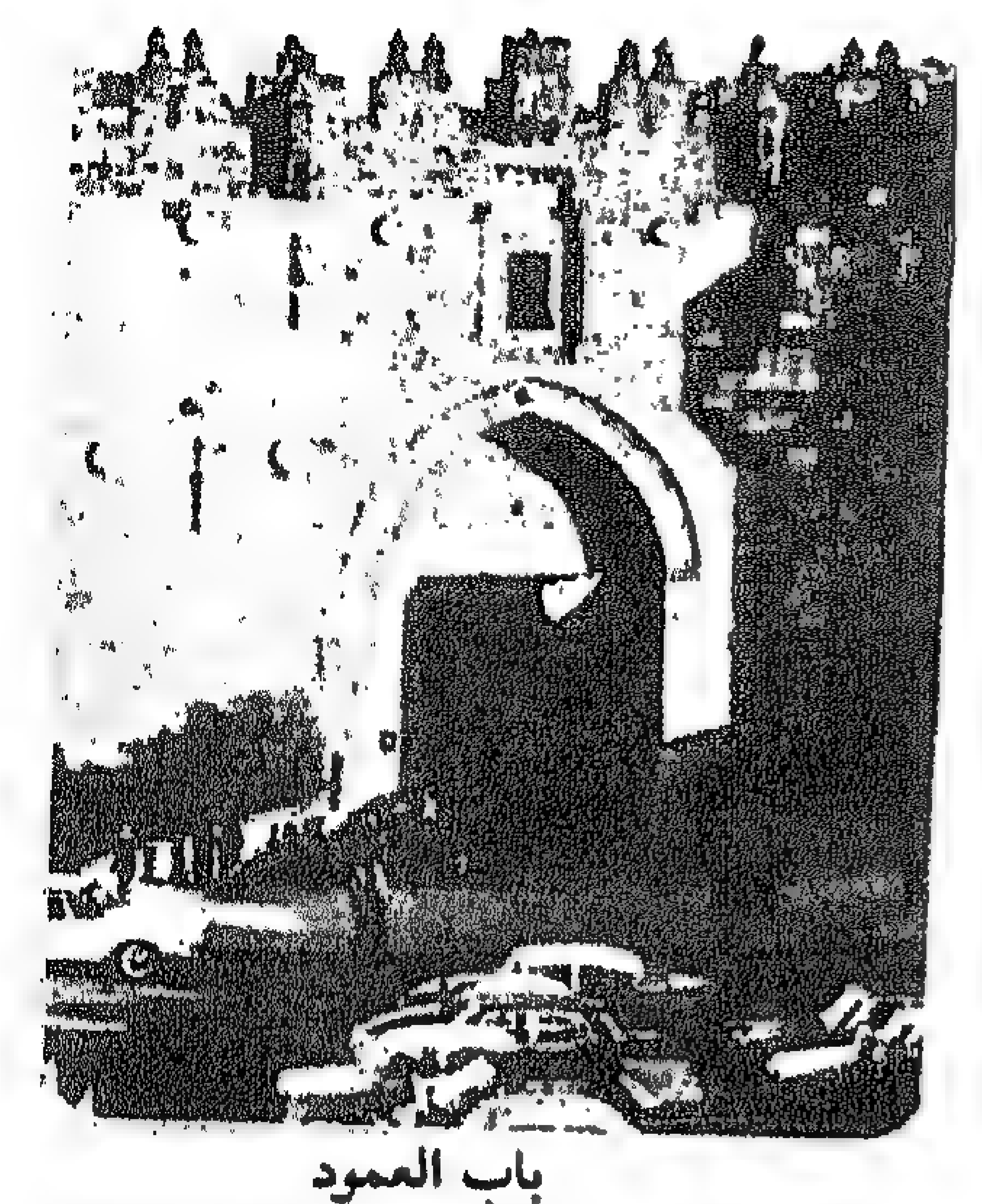
١ ـ باب العمود
٢ ـ باب الساهرة
٣ ـ باب الأسباط
٤ ـ باب المغاربة
٥ ـ باب النبي داود
٦ ـ باب الخليل
٧ ـ باب الجديد



شكل - ٣ - القدس قبل التقسيم. «عن الدباغ، ١٩٧٦».

باب العمود: ويعرف في الخارج باسم باب دمشق ويقع في منتصف الحائط الشمالي لسور القدس تقريباً، ويعود تاريخه إلى عهد السلطان سليمان القانوني العثماني. وتعلو هذا الباب قوس مستديرة قائمة بين برجين. ويؤدي بممر متعرج إلى داخل المدينة. وقد أقيم فوق أنقاض باب يرقى إلى العهد الصليبي. ووجدت أثناء حفريات سنة ١٩٣٦ وسنة ١٩٦٦ بقايا بابين يعود أحدهما إلى زمن الإمبراطور هادريانوس الذي أسس مدينة إيليا كبيتولينا بين سنتي ١٣٣ و١٣٧م على أنقاض المدينة التي دمرها الإمبراطور طيطلوس. والثاني هو الذي بناه هيرودوس أغريباس في منتصف القرن الأول الميلادي. وكتب فوق باب هادريانوس اسم المدينة الجديدة. والباب قوس ضخمة يرتكز على دعامتين من الحجارة القديمة المنحوتة والمزودة بإطار أنعم نحتاً. وقد

أضيف عمـود داخـل البـاب في أيـام الامبراطور هادريانوس نفسه. ويظهر العمـود في خريطـة الفسيفساء التي عثر عليها في كنيسة البيزنطية في مأدبا.



باب العمود

وقد بقي هذا العمود حتى الفتح الإسـلامي، ولـذلـك سمى العـرب الباب باب العمود وكان يدعى من قبل باب دمشق لأنه مخرج القوافل إليها.

٢ ـ باب السـاهـرة: المعـروف عنـد الغـربيـين باسم باب هيرودوس. وهو مثل سابقه يقع إلى الجانب الشمالي من سور القـدس على بعد نصف كيلومتر شرقي باب العمـود. وبـاب السـاهـرة بسيط بني ضمن برج مربع، وهو يرقى إلى عهد السلطان سليمان العثماني.



باب الساهرة

٣ ـ باب الأسبـاط: أوكما يسميـه الغـربيون باب القديس أسطفان، يقع في الحـائـط الشـرقي، وهـو مثـل باب السـاهرة في شكله، ويعود تاريخه أيضاً إلى عهد السلطان سليمان نفسه.

٤ و ٥ ـ باب المغاربة، وباب النبي داود: في الحائط الجنوبي لسور القدس، وباب المغاربة أصغر أبواب القدس. وهو قوس قائمة ضمن برج مربع. وأما باب النبي داود الـذي يعـرفه الأجانب باسم باب صهيون فهو باب كبير منفرج يؤدي إلى ساحـة داخـل السـور. وقـد أنشيء في عهـد السلطـان سليمان عندما أعاد بناء سور المدينة.

٦ ـ باب الخليل: وهو الذي يسميه الغربيون باب يافا، ويقع في الحائط الغربي.

٧ ـ الباب الجديد: فتح في الجانب الشمالي للسور على مسافة كيلومتر تقريباً غربي باب العمود. وهو حديث العهد يعود إلى أيام زيارة الإمبراطور الالماني غليوم الثاني لمدينة القدس سنة ١٨٩٨م.

وأبرز الأبواب الأربعة المغلقة باب الرحمة الذي يسميه الأجانب الباب الذهبي لجماله ورونقه. ويقع على بعد ٢٠٠ م جنوبي باب الأسباط في الحائط الشرقي للسور. ويعود هذا الباب إلى العصر الأموي. وهو باب مزدوج تعلوه قوسان ويؤدي إلى باحة مسقوفة بعقود ترتكز على أقواس قائمة فوق أعمدة

باب الخليل

كورنثية ضخمة. وقد أغلق هذا الباب في أيام العثمانيين بسبب خرافة سرت بين الناس آنذاك مآلها أن الفرنجة سيعودون ويحتلون مدينة القدس عن طريق هذا الباب. وهو من أجمل أبواب المدينة ويؤدي مباشرة إلى داخل الحرم.

والأبواب الثلاثة المغلقة الأخرى تقع في الحائط الجنوبي من السور قرب الزاوية الجنوبية الشرقية وتؤدي جميعها إلى داخل الحرم مباشرة. وأولها ابتداء من زاوية السور الباب الواحد وتعلوه قوس. وثانيها الباب المثلث وهو مؤلف من ثلاثة أبواب تعلو كلا منها قوس. والثالث المدرج وهو من بابين يعلو كلاً منهما سور. وتشير الأدلة إلى أن هذه الأبواب الثلاثة أنشئت في العهد الأموي عندما بنى الخليفة عبد الملك بن مروان قبة الصخرة.

إن ما عثر عليه من آثار أبواب قديمة تحت باب العمود يدل على أن تحت الأبواب الحالية أبواباً أخرى قديمة ترقى إلى عهود سابقة[1]

ومع تزايد عدد سكان المدينة باستمرار، لم يعد موضع المدينة القديم يستوعب

---

١ ـ الموسوعة الفلسطينية، مرجع سابق، ص ٥١٧ ـ ٥١٩.

السكان والمباني السكنية داخل السور، فانتشر العمران خارج السور في جميع الجهات، وظهرت الأحياء الحديثة التي تعرف بالقدس الجديدة، إضافة إلى الضواحي التي التحقت بالمدينة وكانت في القديم قرى تابعة لها. ولا تنمو المدينة عمرانياً بنفس المعدلات في جميع الاتجاهات بسبب العوائق الطوبوغرافية التي تتحكم في معدلات الامتداد العمراني ومساحات الأراضي المبنية. ومن أهم القرى التي التحقت بالمدينة وأصبحت جزءاً منها قرى شعفاط، وبيت حنينا، وسلوان، وعين كارم (شكل ٤)، كما زحف العمران على الجبال المجاورة، وأقيمت عليها أحياء جميلة مثل حي المشارف على جبل المشارف شمالي المدينة، وحي القطمون على جبل القطمون، وحي المكبر على جبل المكبر جنوبي المدينة[1].

ب ـ التكوين الجيولوجي وأشكال سطح الأرض والتضاريس:

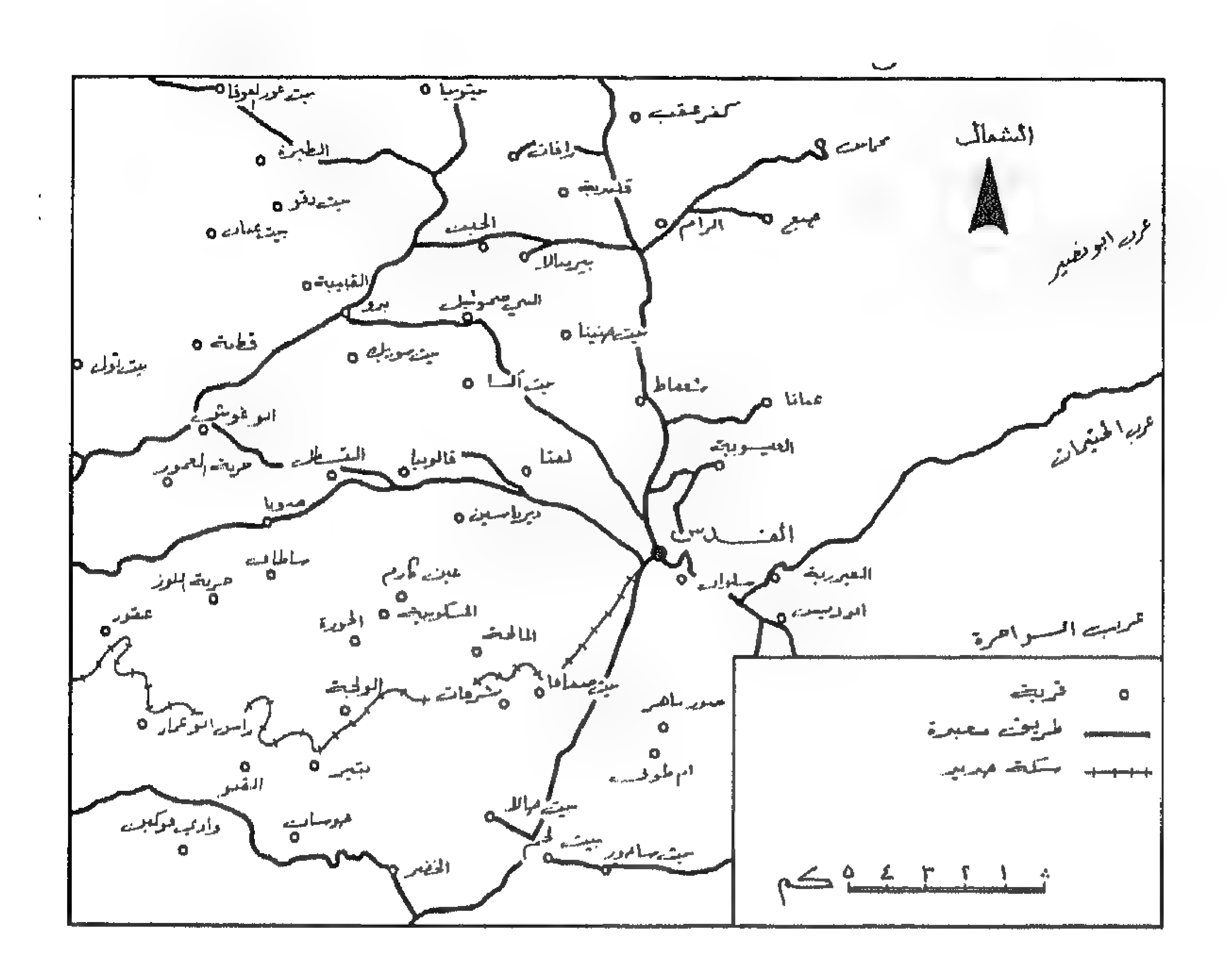
تعد جبال القدس نجداً نافراً يتكون من عدد من الطيات المحدبة والصدوع. وتشكل منطقة القدس الفجوة بين محدب الخليل الإقليمي في الجنوب، وطيات نابلس في الشمال، حيث يزيد ارتفاع جبال الخليل ونابلس عن جبال القدس بين ١٠٠ ـ ٢٠٠ متراً. وقد سهلت الفجوة الأرضية التي تشغلها المدينة المقدسة الاتصال بين البحر والداخل قديماً وحديثاً. من جهة ثانية سهلت مناطق تقسيم المياه (التي تفصل بين الأودية الغورية والأودية والأنهار التي تصب في البحر المتوسط) والتي تشغلها منطقة القدس عمليات العبور بين الشمال والجنوب. ويعد الوضع الطوبوغرافي الأنف الذكر سر مركزية القدس وأهميتها التاريخية.

وقد تعرضت الطيات الصخرية في الجانب الشرقي للقدس إلى التصدع بعدة من الصدوع السلمية، التي ترتب عليها ظهور عدة من الحافات الصدعية، حيث تهبط الأرض تباعاً من منسوب ٨٠٠ متر فوق سطح البحر إلى دون سطح البحر في الغور.

---

١ ـ الموسوعة الفلسطينية، مصدر سابق، ص ٥٠٩.

أمـا الأشكـال الأرضيـة في الجانب الغربي فتشمل في سفوح الحضيض والتي يطلق عليهـا اسم «الشقيلة»، إذ تهبـط الأرض تدريجيـاً باتجـاه السـاحـل. ولا يزيد ارتفاع سفوح الحضيض عن ٣٠٠ متراً فوق سطح البحر.

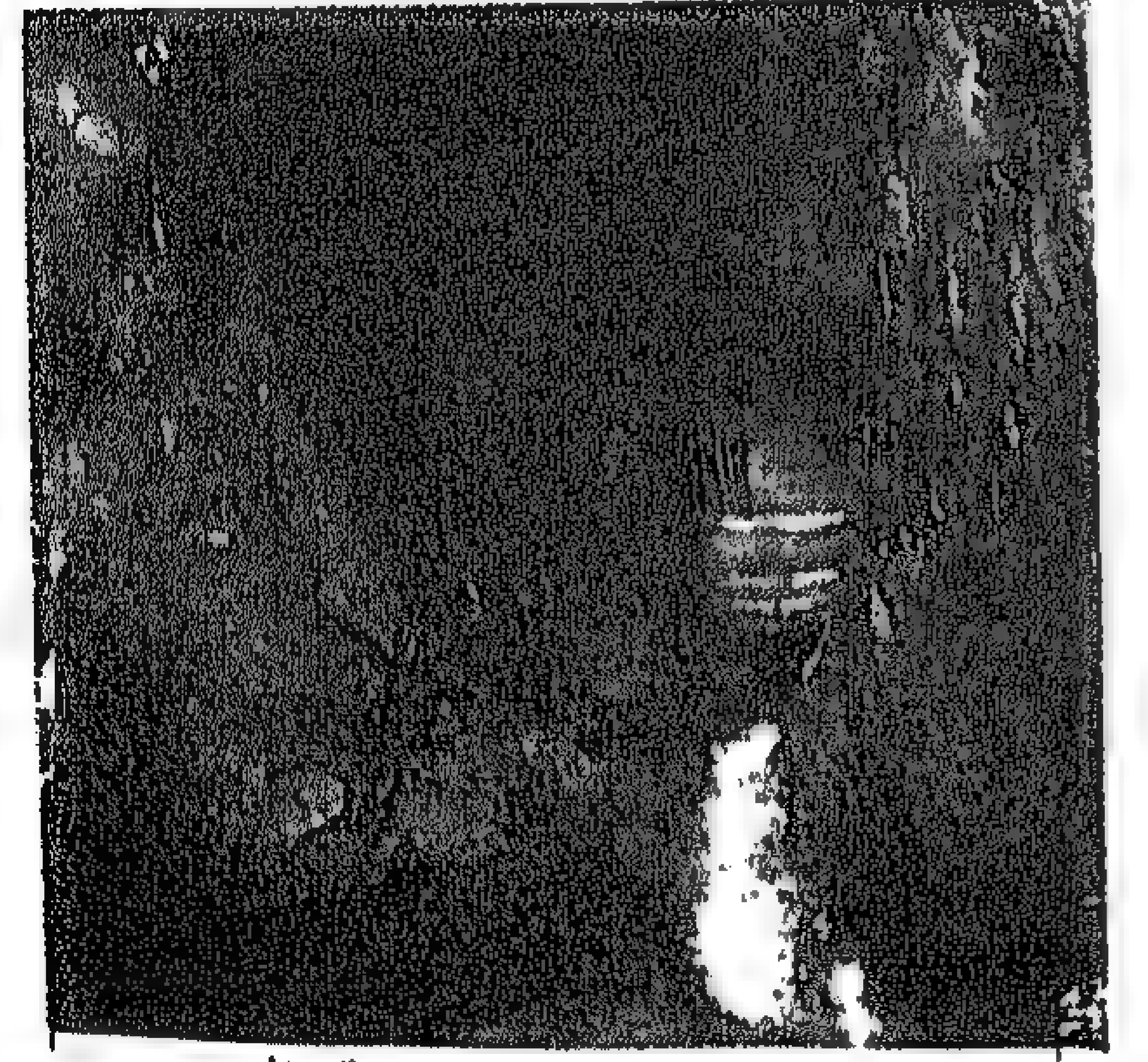


شكل ـ ٤ ـ القرى العربية وطرق المواصلات في منطقة القدس حتى عام ١٩٤٨.

ويطغي على التكوينات الصخرية هنا الكلس والدولومايت (شكل ٥) الذي يرجـع إلى العصـر الكـريتـاسي الأعلى (السينوماني والتوروني)، ويتخلل طبقاتها، تكـوينـات الطبـاشـير والمـارل. وتعـد طبقـات الكلس والدولومايت من التكوينات الصلبة المقاومة لعمليات التعرية. إلا أنها تتأثر بالإذابة الكيميائية على نطاق واسع. وتشكل طبقات الطباشير والمارل بالرغم من تأثرها بالإذابة الكيميائية، تكوينات لينة سهلة الحت. ولـذلـك تتعرض التكـويـنـات الخصرية بمجموعها وبسبب تفاوت

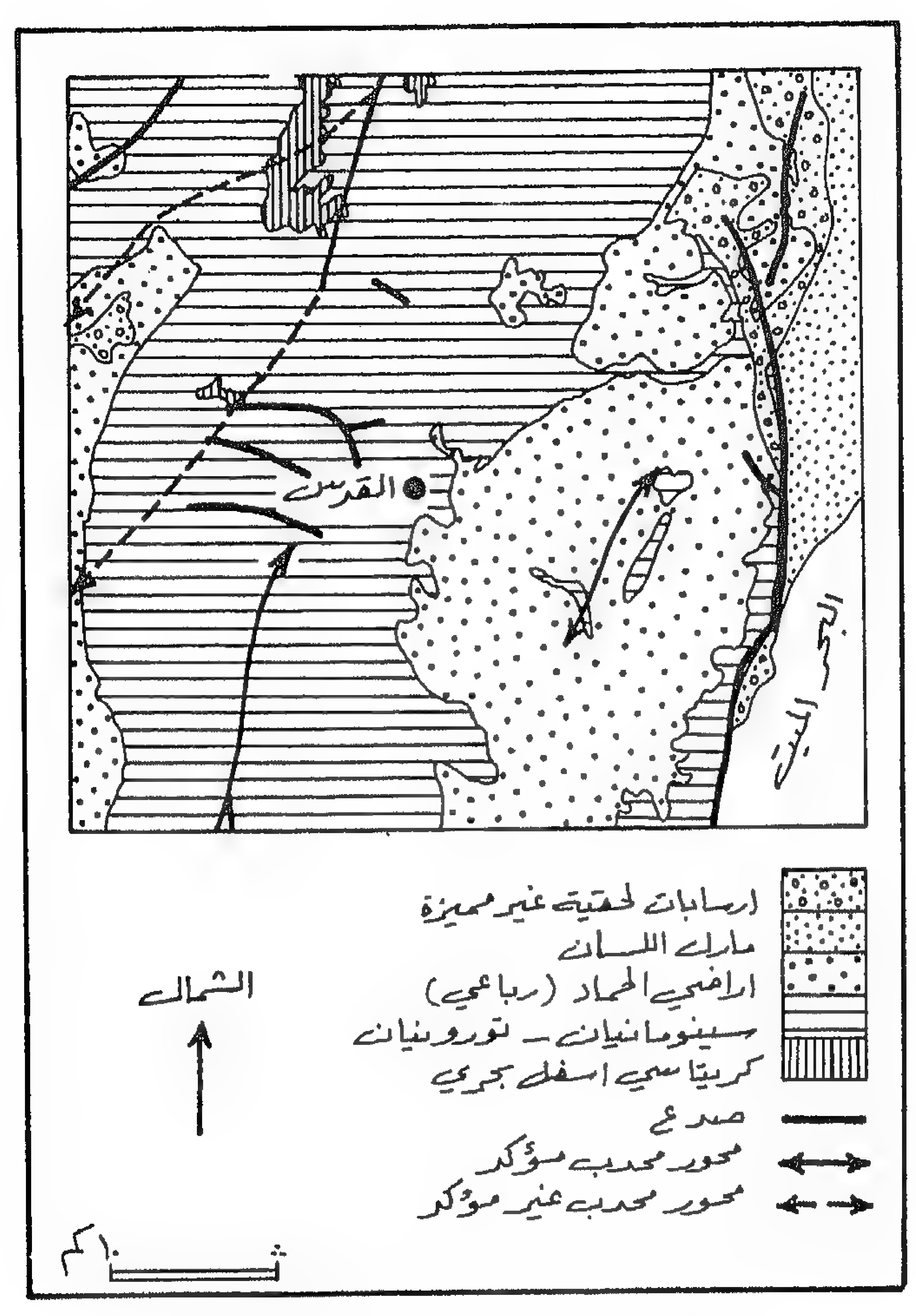
صلاتها إلى التجوية المتغايرة التي أعطت السفوح المظهر السلمي[١]. ولذلك استغل هذا الوضع في إنشاء المصاطب الزراعية لحماية التربة من الانجراف، وقيام زراعة مطرية ومروية منذ القدم، حيث تزرع تلك السفوح بالكرمة والزيتون والحبوب واللوزيات والخضروات.

وأثناء دورة التعرية المائية تعرضت جبال القدس إلى التقطع بفعل الأودية المتجهة إلى البحر مثل وادي الصرار ونهر روبين، والأودية المتجهة إلى الغور مثل وادي النار ووادي القطط وغيرهما. وأثناء الحركات التكونية في البيستوسين تجدد النشاط الحتي لشبكات التصريف المائي، مما زاد في تقطع الحافات الصدعية المطلة على الغور، وتزايد وعورتها. وكذلك تمزيق جبال القدس المواجهة للساحل مما اعطاها المظهر الجبلي والتلالي، مثل جبل الزيتون وجبل المشارف (سوكبس) شرقي المدينة المقدسة، وجبل المكبر جنوبها. وقد انجرفت كميات كبيرة من التربة من السفوح وتوضعت في بطون الأودية وروافدها، بحيث وفّرت تلك الترب مناطق زراعية استغلت منذ فجر التاريخ.


نفق عين سلوان جنوب ـ شرق القدس.

هذا وقد عمقت المجاري المائية أوديتها دون مستوى الطبقات الحاملة للمياه، مما أدى إلى تفجّر الينابيع على جانبي جبال القدس. وقد استغلت مياه تلك الينابيع في الأغراض المنزلية وزراعة الحدائق في القرى والزراعة المروية على سفوح الجبال منذ قدم التاريخ. وقد نشطت عمليات التجوية الكيمْيائية خلال العصر المطير (البليستوسين)، مما أدى إلى تكوّن الجوبات (الدولينات) الكارستية واتصالها معاً، مما نتج عنها سهل الجيب بين القدس ورام الله والذي شيد عليه مطار قلندية. ويؤكد توافق مستويات القمم (الذري) لجبال منطقة القدس على أنها تشكل بقايا سطح تحاتّي قديم.

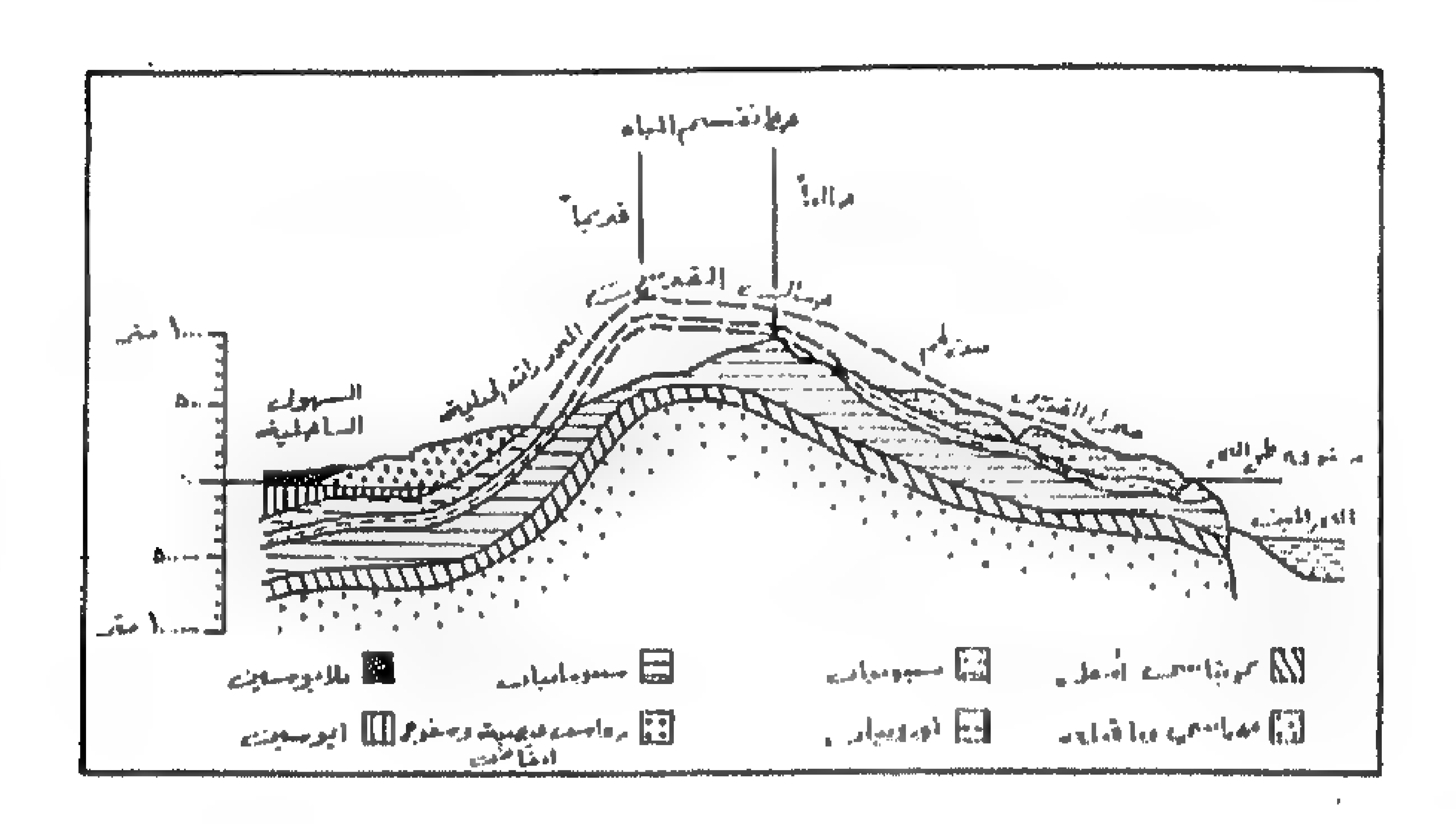
١ ـ Orni and Efrat, 1971, Op. Cit.,p. 53-66 .



شكل ـ ٥ ـ الوضع الجيولوجي والتكتوني لمنطقة القدس.

وقد أدى النحت التراجعي الصاعد، لحوض وادي الصرار ونهر روبين، في منطقة القدس، بسبب وفرة الأمطار في العصر المطير والوقت الحالي، إلى تراجع الفاصل المائي الأصلي (الذي يفصل بين الأودية الغورية وأودية البحر المتوسط) بمعدل ١٠ ـ ١٢ كيلومتر شرقاً (شكل ٦) على حساب أحواض الأودية الغورية التي تقطع الحافة الصدعية وتنصرف إلى الغور، مع بقاء الفاصل المائي الجوفي في

موضعه[1]. إلا آن توسع حوض التصريف السطحي لوادي الصرار ونهر روبين، أعطى الخزان المائي الجوفي الشرقي مساحة تغذية سطحية أكبر من مساحة تغذية الخزان الجوفي الغربي. ولذلك تتوافر الينابيع بكثرة في برية القدس (مثل عين القلط وغيرها)، كما أن مياهها أغزر وأوفر من نظيراته على السفوح الغربية وسفوح الحضيض. وقد استفاد الصهاينة من هذه الحقيقة الجيومورفولوجية والمناخية، وقاموا بعد الاحتلال بتركيز الاستيطان في المناطق التي تتلقى الأمطار الوفيرة بهدف السيطرة



شكل ـ ٦ ـ زحزحة خط تقسيم المياه باتجاه الشرق في جبال القدس «عن اورني وايفرت، ١٩٧١»

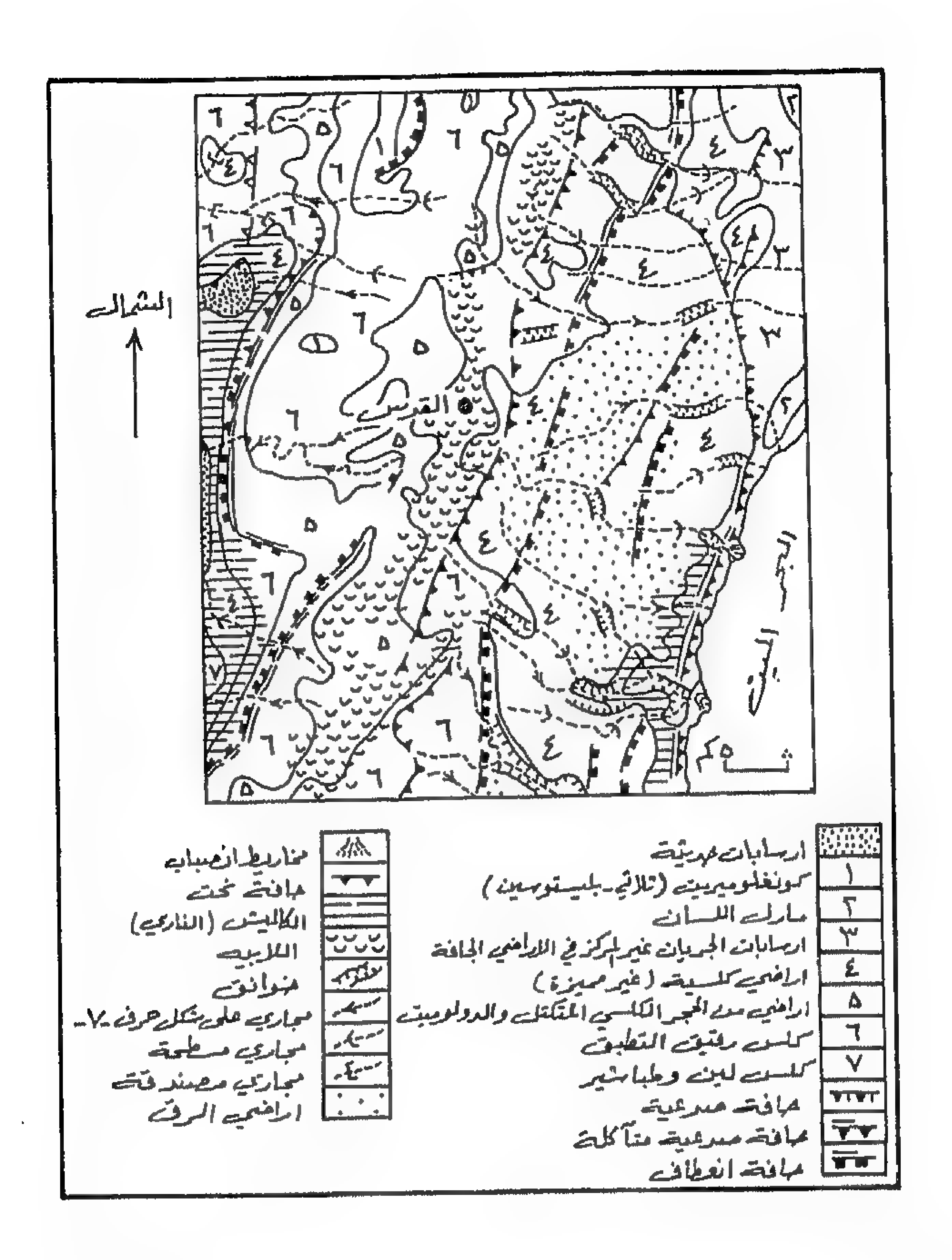
على الموارد المائية السطحية، وكذلك قاموا بحفر الآبار بكثرة في برية القدس (أي على مناطق الخزان المائي الجوفي الشرقي) مما أدى إلى تدهور الموارد المائية الجوفية وجفاف عدد كبير من آبار العرب في تلك المنطقة، وفي الأغوار الغربية. ويعد هذا الوضع نموذجاً من نماذج استنزاف الموارد الطبيعية واستغلالها لصالحهم، وحرمان العرب من استغلال مواردهم، وتدميرهم اقتصادياً لدفعهم إلى هجرة الأرض.

جـ ـ المناخ:

يصنف مناخ مدينة القدس من النوع المتوسطي الجبلي، إذ ترتفع معدلات

---

١ ـ Orni and Efrat, 1971, Op. Cit, 60-63.



شكل ـ ٧ ـ خارطة جيومورفولوجية لمنطقة القدس. «عن دوق نير، ١٩٧٨»

الأمطار السنوية والرطوبة في مدينة القدس، وبسبب ارتفاعها عما يجاورها من الوحدات الأرضية مثل سفوح الخضيض الغربية التي تنحدر باتجاه الساحل الفلسطيني، وأراضي البرية الواقعة في ظل المطر (جدول ١)، والتي تنحدر باتجاه غور الاردن. كذلك يقل معدل المطر السنوي في القدس عن معدلات الأمطار السنوية في جبال الجليل (يصل مثلاً المعدل السنوي للمطر في مدينة الناصرة ٧٢٨ ملليمترا) نظراً لموقع جبال الجليل في شمالي فلسطين وزيادة ارتفاعها عن مستوى سطح البحر.

وتصل درجات الحرارة أدناها في شهر كانون الثاني (٩,٧ درجة مئوية)، وأقصاها في شهر آب (١٧° مئوية). أما المعدل السنوي للحرارة لمنطقة القدس، فتصل أدناها في أعالي الجبال، وأقصاها في سفوح البرية. أما المعدل السنوي للحرارة في سفوح الحضيض فيتراوح بين ١٩° و ٢٠° مئوية. وقد تنخفض درجات الحرارة في الشتاء إلى ما دون الصفر ولذلك تتساقط الثلوج في أعالي الجبال. ويبلغ المعدل السنوي للمطر في مدينة القدس ٥٥١ ملليمتراً[١]. ويسقط أعلى معدل شهري للمطر في كانون الثاني (١٥٣) ملليمتر) وأقل معدل شهري في أيار (٢,٧ ملليمتر). ويتراوح معدل المطر السنوي على سفوح الحضيض الغربية بين ٤٥٠ - ٥٠٠ ملليمتراً، ويهبط إلى معدل يتراوح بين ٢٠٠ و ٣٥٠ ملليمتراً في برية القدس على أعالي السفوح المطلة على الغور. وترتفع معدلات التبخر في القدس إلى ١٦٠٠ ملليمتراً في أشهر الصيف، وتهبط إلى ٥٥٠ ملليمتراً في الشتاء. وذلك تكون الموازنة المائية إيجابية في الشتاء مما يساعد على تكوين الجريان السطحي والفيضانات في الأودية التي تصب في البحر المتوسط، وكذلك الأودية المتجهة إلى الغور. ولكن الجريان السطحي لا يستمر طوال السنة نظراً لارتفاع نفاذية الصخور الكلسية، وتسرب المياه لتغذية الخزانات الجوفية، التي تنبثق منها الينابيع سواء في سفوح الحضيض الغربية، أو سفوح وبطون الأودية الشرقية في البرية.

ويتركز نحو ٧٠٪ من المطر السنوي في القدس في فصل الشتاء الحقيقي (كانون ١، كانون ٢، شباط)، ولا يزيد عدد الأيام الممطرة عن ٦٠ يوماً في السنة، مما يؤكد طبيعة التركيز الواضحة في توزيع الامطار. ويمتاز نظام هطول الأمطار على القدس بعدم انتظامه. فالفترات الممتدة من عام ١٨٥٤ إلى عام ١٨٧٣، ومن عام ١٩٢٤ إلى



القدس في الشتاء

١ - Orni and Efrat., 1971, Op. Cit., p. 163-164.

عام ١٩٣٦ فترات جفـاف، وكـان عام ١٩٥٠/١٩٥١ من أكثر الأعوام جفافاً منذ بداية رصد كميات الأمطار في القدس عام ١٨٤٦ م حتى الوقت الحاضر[١].

جدول (١) المتوسطات الشهرية للمطر والحرارة والرطوبة النسبية لمدينة القدس

العنصر المناخيّ	كانون ٢	شباط	آذار	نيسان	أيار
المطر (ملليمتر)	١٥٣	١٤٣,٣	٦٨,٠	٢٢,٨	٢,٧
الحرارة (درجة مئوية)	٩,٧	١١,٦	١٣,٨	١٧,٧	٢١,٣
الرطوبة النسبية (٪)	٧٢	٥٨	٤٧	٣٨	٥٤

حزيران	تموز	آب	أيلول	تشرين ١	تشرين ٢	كانون ١
-	-	-	٠,٨	٩,٢	٦١,٨	٨٩,٤
٢٣,٧	٢٤,٤	٢٥	٢٣,٩	٢١,٨	١٧,٢	١٢,٣
٤٥	٥٣	٤٩	٦٠	٦١	٤٢	٦٣

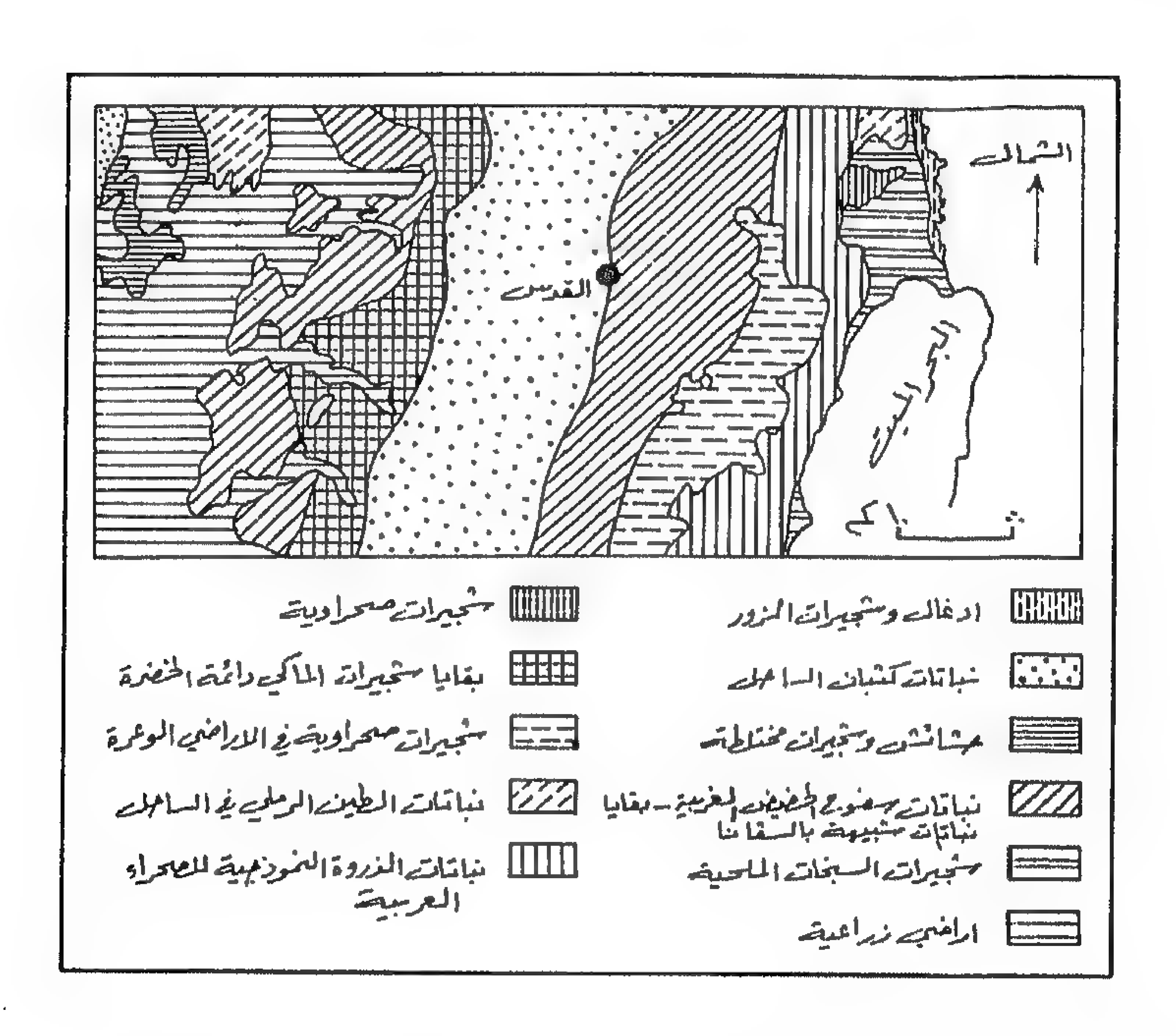
المعدل السنوي للمطر = ٥٥١ ملليمتر (عن اورني وايفرا، ١٩٧١)

د ـ التربة والنبات الطبيعي:

تتبـاين الـتربـة وخصـائصهـا في منطقة القدس حسب الصخر الأصلي الذي اشتقت منـه. فحيث يسـود الكلس ترتفـع مركبـات كربونات الكالسيوم في التربة، وحيث يسود الدولومايت ترتفع مركبات المغنيسيوم إضافة إلى كربونات الكالسيوم في

١ ـ الموسوعة الفلسطينية، مرجع سابق، ص ٥١٠، ٥٢٩.

مرتفعة لا تتفجر بجوانبها الينابيع . وأقرب نبع لها هو عين أم الدرج بالقرب من سلوان . ولذلك اعتمدت القدس من عهودها الغابرة على جمع مياه الأمطار في برك وآبار، وعلى الينابيع (العيون) القليلة القريبة منها مثل نبع عين أم الدرج وبئر أيوب، لتوفير الموارد المائية. والبرك هي صهاريج أرضية تساق إليها مياه الأمطار لخزنها . وإلى جوار البرك المنزلية والآبار، توجد برك عامة ظل بعضها كمعالم حضارية بارزة منذ آلاف السنين مثل بركة حاملا وبركة السلطان وبركة حزقيا وغيرها



شكل ـ ٨ ـ النبات الطبيعي في منطقة القدس. «عن اطلس تيوبنجن، ١٩٨١»

إلا أن نمو السكان المضطرد كان يستدعي الاستعانة بموارد مائية إضافية ، مما دفع الرومان لجلب مياه العيون النائية في قنوات مائية شيدت في الصخر. وقد استمر استعمال هذه الأقنية وترميمها على يد العرب والمماليك والأتراك والإنجليز. وقد

التربة. ويظهر في المنطقة نموذجاً مميزاً للتربة المتوسطية الحمراء (Terra Rossa). وتشكل السليكا حوالي ٥٠٪ من مكونات التربة، و ١٠ ـ ١٥٪ من الحديد والالمنيوم. ويعطي الحديد التربة لونها الأحمر. هذا وتذوب مركبات الكالسيوم في مياه الأمطار وتغسل باتجاه السفوح الدنيا، أو تتسرب مع المياه في الشقوق. وتبقى مواد السيليكا والحديد والألمنيوم وتتجمع على شكل مواد صخرية للتحول إلى تربة حية لاحقاً، ويحتاج تكون ١ سم من التربة المتوسطية الحمراء إلى ١٠٠٠ سنة تقريباً.

وتسود تربة الرندزينا (Rendzina) ذات اللون الكستنائي (اللون البني المصفّر، أو الأبيض الرمادي) على سفوح الحضيض الغربية حيث تظهر الصخور الطباشيرية وتعد هذه التربة غنية بالكالسيوم والمواد العضوية. ولذلك فهي خصبة الحراثة. ونظراً لقلة تعرضها في سفوح الحضيض لعمليات التعرية المائية والانجراف فإنها سميكة نسبياً. وتغلب الأراضي الحجرية على تربة برية القدس وسفوح الحافات الصدعية. ولذلك تستغل هذه الأراضي في الرعي منذ عهد طويل[1]

أما النباتات الطبيعية في المنطقة (شكل ٨)، فتعد نموذجاً لأحراج البحر المتوسط، بأشجارها دائمة الخضرة كالبلوط والبطم الفلسطيني وذلك حيث ترتفع مناسيب الأرض عن ٣٠٠ متر فوق مستوى سطح البحر. وفي الأراضي التي يقل منسوبها عن ذلك مثل سفوح الحضيض، أو برية القدس، تسود أشجار الخروب وشجيرات كثيفة من اللبيد Rockrose والحفير Leaved sage، والنباتات الشوكية مثل البلان Lurnet[2].

هـ ـ الموارد المائية ومشكلة المياه:

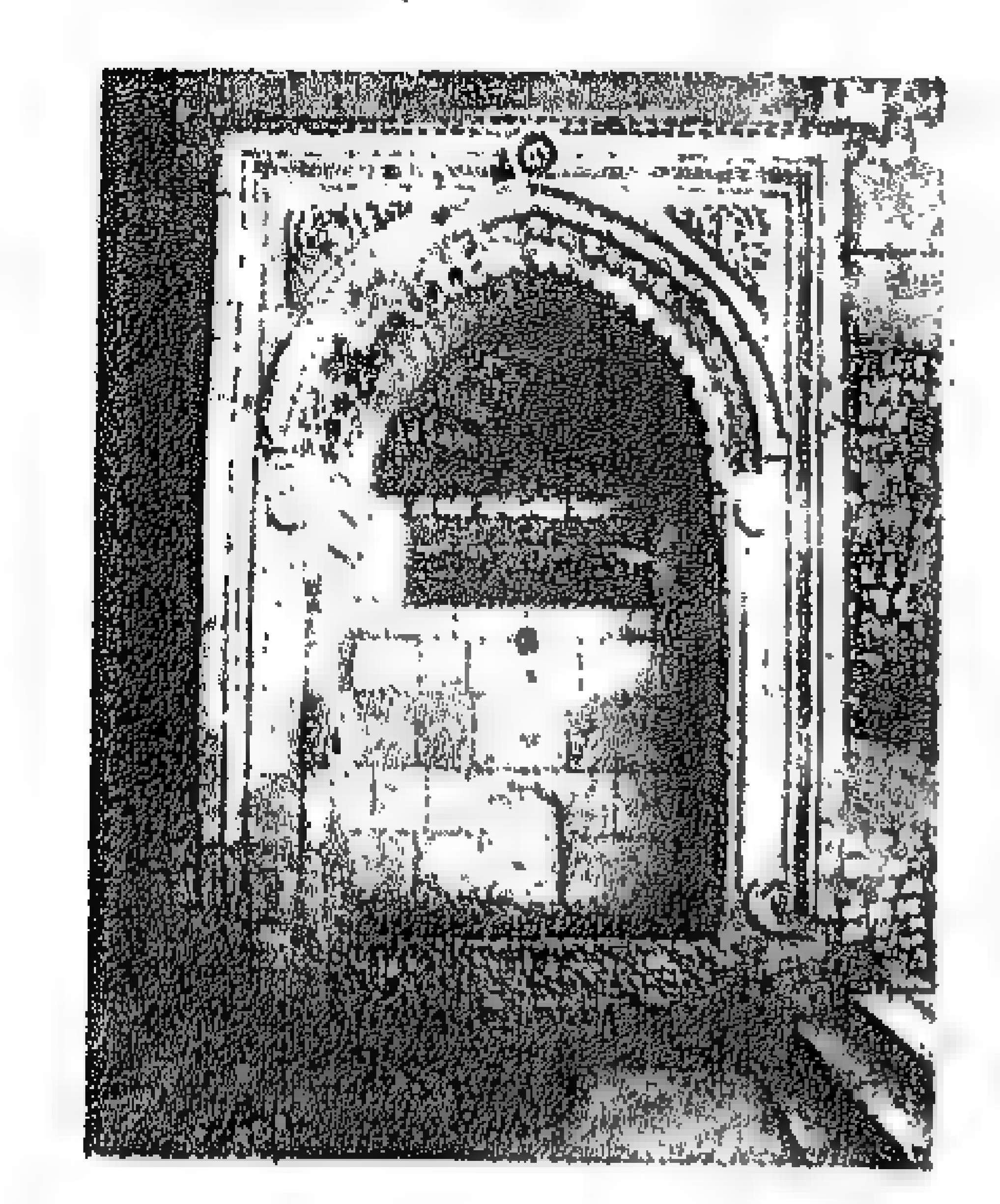
تواجه المدينة المقدسة مشكلة التزود بالمياه منذ القدم، نظراً لوقوعها على تلال

---

١ ـ Orni and Efrat, 1971, Op. Cit., p. 57-58.

٢ ـ Orni and Efrat., 1971, Op. Cit., p. 167-169.

جلب الإنجليز أثناء الانتداب مياه العروب إلى القدس في أنابيب. وظلت القدس تستقي الماء عن طريق برك سليمان حتى عام ١٩٢٦. وبعدها سحب الماء من عين فارة على بعد ١٤ كيلومتراً إلى الشمال الشرقي من القدس. وفي عام ١٩٣١ أخذت المدينة تتزود بمياه عين الغوار (على بعد ستة كيلومترات من عين فارة إلى الشرق)، وعين القلط في الوادي نفسه (بلغ معدل تصريفه السنوي ٦ مليون متر مكعب) عام ١٩٣٤. وفي عام ١٩٣٥ تحولت المدينة إلى التزود بالمياه من نبع ريش وهو رأس العين (على بعد ٥٠ كيلومتراً إلى الشمال الغربي من القدس). وقد بلغ معدل تصريفه اليومي عام ١٩٤٥ ١,٧ مليون جالون. واستمر هذا الوضع حتى عام ١٩٤٨ عندما أغلق الأنبوب، وبعد تقسيم المدينة تم ربط القدس المحتلة بشبكة الماء الإسرائيلية من خلال أنبوبين. وبعد ضم الصهاينة القدس العربية عقب حزيران ١٩٦٧، قاموا بحفر تسعة آبار في منطقة القدس لتزويد المستوطنات اليهودية المحيطة بالقدس العربية بالمياه، وكذلك تم ربط القدس العربية بشبكة المياه الإسرائيلية[1].



سبيل باب السلسلة



سبيل قيطباي

١ - صلاح بحيري، ١٩٧٣، مرجع سابق، ص ٢٣١ - ٢٣٢.
عارف العارف، ١٩٥١، تاريخ القدس، القاهرة، ص ١٨٥.
مصطفى الدباغ، ١٩٧٦، مرجع سابق، ص ١٨٨.
Orni and Efrat, 1971, Op. Cit., P. 324.

الفصل الرابع

الطابع الاسلامي العالمي للمدينة المقدسة

آ ـ المركز العلمي الاسلامي للقدس :

كما حاول الصهاينة التقليل من أهمية البيئة الجغرافية والموقع الجغرافي أو (المكان) للمدينة المقدسة، وكما حاولوا أيضاً تزييف الحقائق فيما يتعلق بالمعمور الفلسطيني لإظهار فلسطين «أرضا بلا شعب»، حاولوا أيضاً التقليل من مكانة بيت المقدس في الإسلام كمركز هام للعلوم الإسلامية تشد إليه الرحال من جميع البلدان. ولذلك يدّعي تيدي كوليك أن (القدس لم تصبح أبداً مركزاً لعلم الدين الإسلامي). كما يدّعي ع. سيفان أيضاً (أن القدس لم تحظ بمكانة عالية في وعي العالم الإسلامي)[1].

والحقيقة أن المدينة المقدسة كانت مركز إشعاع للعلم الإسلامي يسطع على بلدان المسلمين. ففيها ولد وعاش المئات من علماء الإسلام. واستقبلت المدينة المئات بل الآلاف من علماء المسلمين الذين قدموا من بلدان عديدة من المشرق والمغرب، وعلّموا وتعلّموا في المسجد الأقصى ومدارس بيت المقدس.

وقد استعان الأستاذ كامل العسلي[2]، بمنهج إحصائي للتحقق من الطابع الإسلامي العالمي للعلماء الذين أمّوا مدينة القدس وعاشوا فيها زمناً طويلاً أو قصيراً. واختار عينة عشوائية تضم ثمانين عالماً من العلماء الذين عاشوا في القدس

---

١ ـ كامل العسلي، ١٩٨٥، الطابع الاسلامي الدولي للعلماء الذين أموا القدس وعاشوا فيها، مجلة القدس الشريف.

٢ ـ كامل العسلي، ١٩٨٥، المرجع السابق، ص ٤٠ ـ ٥٠.

وعملوا فيها خلال خمسة قرون (من أوائل القرن الخامس الهجري وحتى أواخر القرن التاسع) وتعمّد ألّا يكون بين هؤلاء العملاء الثمانين أي عالم من أهل القدس وفلسطين بمفهومها الجغرافي الحديث. وتمثلت العينة:

٩ علماء من القرن الخامس الهجري.

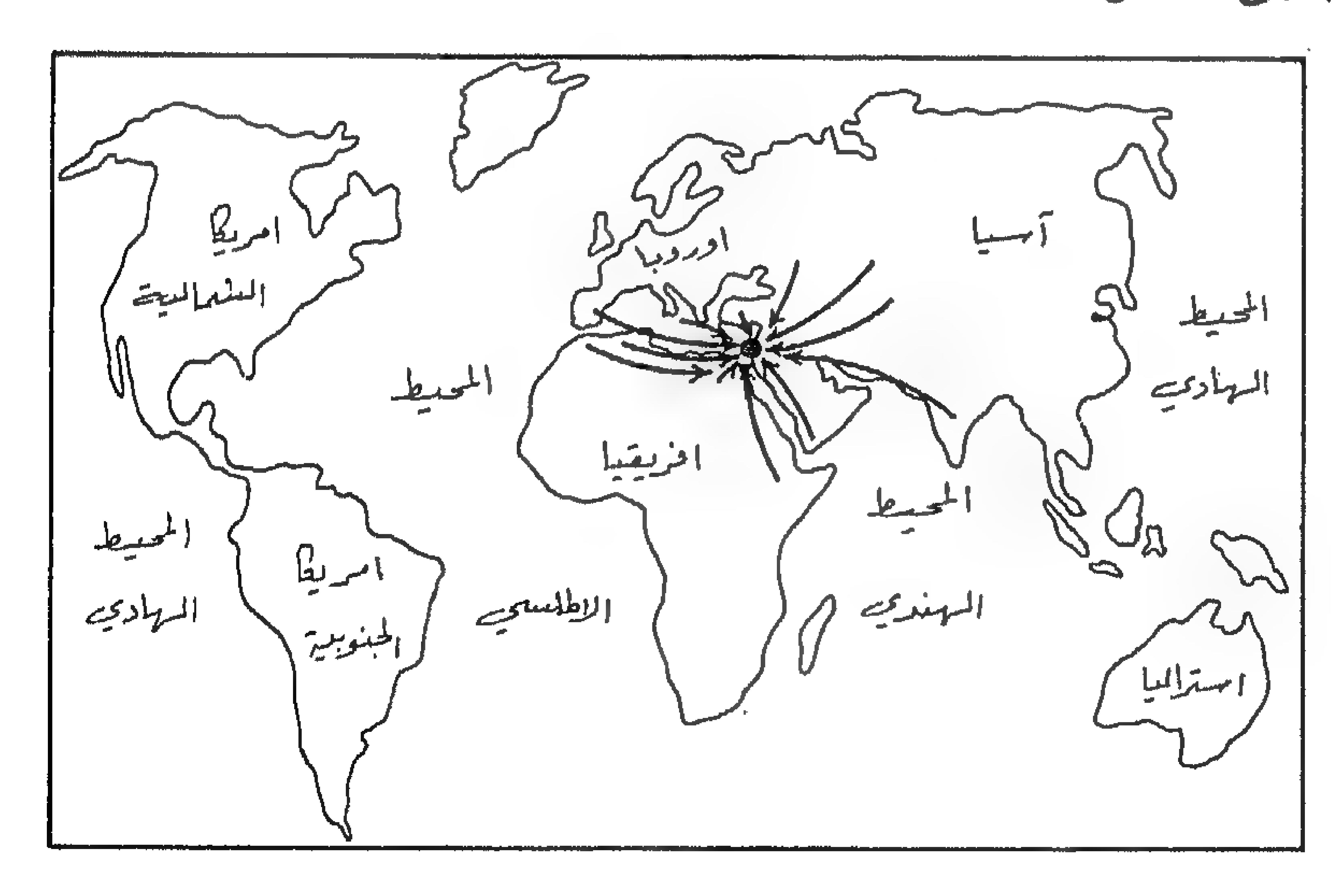
١٤ عالماً من القرن السادس.

٩ علماء من القرن السابع

٢٢ عالماً من القرن الثامن.

٢٥ عالماً من القرن التاسع.

وقام بتحليل المعلومات الواردة في العينة، وبخاصة فيما يتعلق بأسماء المدن والبلدان التي قدم منها هؤلاء العلماء إلى القدس، وذلك للتحقق من مدى إقبال علماء المسلمين على القدس وقصدهم إياها بوصفها مركزاً علمياً يدّرسون ويدرسون ويجتمعون للمناظرة فيه. وتبين الجداول (٢ ـ ٦) العينة المختارة من العلماء والمدن والبلدان التي جاءوا منها وسنوات وفاتهم. كما يبين الشكل ـ ٩ ـ البلدان التي قدموا منها إلى القدس.



شكل ـ ٩ ـ توزيع عينة من علماء المسلمين الذين وفدوا الى القدس من البلدان الاسلامية المختلفة في القرون الخامس والسادس والسابع والثامن والتاسع الهجرية.

جدول ـ ٢ ـ من علماء القرن الخامس

اسم العالم	المدينة والبلاد.
محمد بن الكازروني	كازرون، مدينة بفارس بين البحر وشيراز (في خراسان القديمة) وايران اليوم.
الصاغاني	صاغان، قرية بمرو خراسان القديمة في جمهورية تركمانستان السوفييتية اليوم.
الزنجاني	زنجان، مدينة شمالي ايران عند بحر قزوين (خراسان القديمة).
اسماعيل بن علي الحسن الاستراباذي	استراباد، فارس/ايران (اسمها القديم جرجان).
احمد بن عقيل الشهرزوري	شهرزور/كردستان.
بن احمد الشيرازي	
عبد الجابر بن احمد بن يوسف الرازي	الريّ، مدينة قديمة جنوبي شرقي طهران فارس/ايران.
ابو الفرج عبد الواحد	شيراز /فارس ايران اليوم.
ابراهيم الجرجاني	جرجان، اقليم بفارس في شرقي ايران، على بعد ٤٠ كم شرقي بحر قزوين/اسمها القديم استراباذ.
ابو الحسن البصري	البصرة، العراق.

جدول ـ ٣ ـ من علماء القرن السادس الهجري

الاسم	المدينة والبلاد.
محمد بن الوليد الطرطوشي	طرطوشة ـ الأندلس.
أبو بكر محمد بن احمد الشاشي	شاش ما وراء النهر، طشقند اليوم عاصمة جمهورية اوزبكستان السوفييتية حالياً.
أبو حامد محمد بن محمد الغزالي	طوس، من مدن خراسان قديماً، وتقع اليوم في جمهورية اوزبكستان.
محمد بن علي بن ابو بكر بن العربي	الكوفة ـ العراق اشبيلية، الاندلس.
أبو عبد الله الديباجي العثماني	مكة، الحجاز/ السعودية.
درباس الهكاري	قرية الهكارية قرب الموصل بالعراق.
ضياء الدين بن عيسى الهكاري	الهكارية بالعراق.
أبو عبد الله محمد بن ابراهيم القرشي الهاشمي	الجزيرة الخضراء بالأندلس.
مجد الدين طاهر بن جهبل	حلب /سوريا.
محمد بن حسن بن موسى البلاسغوني	بلاسغون، ثغر عظيم من ثغور الترك وراء نهر سيحون وقرب كاشغر تركستان قديماً جمهورية اوزبكستان اليوم.
ياسين بن سهل القابسي الخشاب	قابس، تونس.
أبو بكر الجرجاني، محمد بن احمد	جرجان، من عمل نيسابور بفارس/ ايران اليوم. اسمها القديم استراباذ.
أبو الحسن علي بن محمد المعافري المالقي	مالقة/ الأندلس..

جدول ـ ٤ ـ من علماء القرن السابع

الاسم	المدينة والبلاد.
برهان الدين ابراهيم بن سعد الله بن جماعة	حماة/سوريا.
علوان بن ابراهيم	رندة (حصن) الاندلس.
أبوعبد الله محمد العبدري	بلاد حاحة (وحاحة قبيلة بربرية) المغرب.
عبد الرحيم بن عمر الباجربقي	باجـريق (قـرية من قرى بين النهرين، وأيضاً اقليم شرقي دجلة قاعدته الرئيسية كركوك) العراق.
شهاب الدين محمد بن خليل الخويي	خوى، مدينة في اذربيجان/ ايران.
محمد بن سليمان بن الحسن البلخي (ابن النقيب)	بلخ، خراسان سابقاً ـ اليوم قرية صغيرة في افغانستان.
أبو المنصور بن أبي الفضل بن علي الصوري (رشيد الدين الصوري)	صور/ لبنان.
عبد الرحيم محمد بن الحسين بن عساكر	دمشق /سوريا.
تقي الدين أبوعمرو عثمان بن الصلاح	شهرزور، كردستان.

جدول ـ ٥ ـ من علماء القرن الثامن

الاسم	المدينة والبلاد.
عز الدين أبو محمد عبد العزيز العجمي الاردبيلي	اردبيل / اذربيجان ايران.
عبد اللهبن خليل الاسد	اسد اباد (مدينة بفارس قرب همذان) ايران.
محمد بهاء الدين نقشبند الجاري	بخارى (من بلاد ماوراء النهر) اوزبكستان السوفيتية اليوم.
سراج الدين أبو حفص عمر الزيلعي	زيلع، بلاد الحبشة (اثيوبيا).
ابراهيم بن عمر الجعبري	جعبر (قلعة على الفرات بين بالس والرقة) سوريا.
أبو بكر بن علي، عبد الله الشيباني الموصلي	الموصل / العراق
ابراهيم الهدمة	كردستان (وهي مقسمة اليوم بين ايران والعراق وتركية).
ابو الفتح عبد الله بن محمد بن احمد بن مرزوق التلمساني	تلمسان / الجزائر.
شمس الدين محمد بن احمد القرمي	مدينة القرم، في شبه جزيرة القرم / تركستان القديمة، اوكرانيا، الاتحاد السوفيتي.
شهاب الدين بادارين، عبد الله القونوي	قونية، بلاد الروم / تركيا اليوم.
تقي الدين اسماعيل بن علي القرقشندي	قرقشنده، مصر.
صالح بن محمد بن صالح الصلخدي	صلخد، من أعمال دمشق سوريا.

عمر بن عبد الله المصمودي	المغرب .
عبد الله الهندي	الهند .
خير الدين أبو المواهب	بابرت (في أرمينيا سابقاً) تركيا .
خليل بن مقبل العلقمي	علقمة جزيرة صقلية/ ايطاليا اليوم .
محمد بن عطا الله الرازي الهروي	هراة، افغانستان اليوم .
صلاح الدين ابو سعيد خليل كيكدي العلاتي	دمشق، سوريا .
عبد الله بن علي بن سليمان الجمال الغرناطي	غرناطة الاندلس .
محمد بن علي بن محمد بن بن محمد مثبت الخولاني الاندلسي	احدى قرى الاندلس .
محمد بن جابر الوادي آشي	وادي آش (قرية شرقي غرناطة) الاندلس .
عثمان الحطاب	القاهرة/ مصر.
الشيخ الختني.	ختن (بضم الخاء وفتح التاء) مدينة في تركستان بلاد ما وراء النهر/ جمهورية أوزيكستان (في الاتحاد السوفيتي اليوم) .

جدول ـ ٦ ـ من علماء القرن التاسع

الاسم	المدينة والبلاد.
خليفة بن مسعود المغربي الجابري المالكي	بلاد قبيلة بني جابر، المغرب.
عبد المؤمن بن عمر الرهاوي الحلبي	الرها (بالجزيرة قرب الموصل) اسمها اليوم اورفة ـ تركيا.
عمر بن عبد الله البلخي	بلخ (خراسان) في افغانستان اليوم.
شمس الدين محمد بن علي ابن الازرق	غرناطة/ الاندلس.
شهاب الدين احمد المعروف الرومي	بلاد الروم، تركيا اليوم.
شمس الدين محمد بن محسن اليمني	بلاد اليمن.
شمس الدين أبو اللطف محمد بن علي الحصكفي	حصن كيفا، ولاية ماردين بتركيا اليوم.
سراج الدين مسافر بن زكريا	بلاد الروم، تركيا اليوم
علاء الدين ابو الحسن، علي ابن صدر الدين الاردبيلي	اردبيل، بلاد فارس / ايران اليوم.
ابراهيم بن محمد بن مبارك السبرتي	سبرت، مدينة قديمة في افريقيا (لعلها صبراطة الحديثة) ليبيا اليوم.
سعد الدين سعد الله بن حسن الفارسي	(فارس) ـ ايران اليوم.
زين الدين عبد السلام بن أبي بكر الكركي	الكرك، الاردن اليوم.

محمد فولاد بن عبد الله المغربي	المغرب.
الحسن بن حامد التبريزي	تبريز، فارس / ايران اليوم.
موفق الدين الياس بن سعيد بن علي الكاشغري	كاشغر، قرب سمرقند وسط بلاد الترك/ جمهورية ازبكستان اليوم.
عبد الواحد بن جبارة المغربي	المغرب.
عز الدين بن داود بن عثمان بن عبد السلام القدسي	قرية كفر الماء عجلون / الاردن اليوم.
شمس الدين محمد بن حمزة الفناري	بورصة، تركيا.
عبد الله بن احمد بن عبد الله المراكشي	مدينة مراكش، المغرب.
ابو الصفا ابراهيم بن علي الاسعردي	أسعرد (اليوم سعرت) تركيا.
شمس الدين محمد العسقلاني	القاهرة، مصر.
زين الدين أبو بكر بن عمر القمني	قمن، ريف مصر.
محمد بن الدين القرقشندي	قرقشندة، مصر.
ابو البقاء احمد الزبيري	الصعيد، مصر.
ابو العباس احمد بن الهاشم	القاهرة، مصر.

وقد ظهر من الدراسة ان العلماء الذين جاءوا إلى القدس من اثنين وعشرين قطراً (بالمفهوم الحديث للأقطار) ومن عدد من المدن يتراوح بين ستين وسبعين مدينة في هذه الأقطار (ولم يكن ممكناً تحديد اسماء المدن التي جاء منها العلماء في بعض

الحالات). ويعد هذا العدد كافيا تماماً لاظهار المكانة السامية التي كانت تحظى بها المدينة المقدسة في وعي العالم الاسلامي، ولبيان منزلتها الرفيعة مقصداً لعلماء المسلمين من كل حدب وصوب ومن كل فج عميق.

وتجدر الإشارة إلى انه من الممكن زيادة عدد العلماء الذين جاءوا إلى القدس في القرون الخمسة الآنفة الذكر، وكذلك زيادة عدد الاقطار والمدن، وزيادة عدد القرون أيضاً. ولكن تبقى العينة المختارة دليلاً واضحاً على مكانة القدس عند علماء المسلمين، بوصفها مركزاً علمياً كبيراً، وكذلك توضيح الطابع الاسلامي الشامل للعلماء الذين كانوا يقصدونها لمكانة المدينة العلمية. ولم يتبع هؤلاء العلماء بعد ذلك كله أي أجر، وفي هذا الميدان كانت تتجلى عظمة هؤلاء العلماء. وبه استحقوا الخلود على الزمان رحمهم الله.

وبنفس القدر الذي كانت فيه القدس مقصد علماء المسلمين من كل حدب وصوب، كانت تمثل المدينة بحد ذاتها خلية علمية تعج بالعلماء المقدسيين من أهل البلاد، ولتأكيد دور العلماء المقدسيين في العلم الإسلامي، أورد الاستاذ مصطفى الدباغ[1] قائمة بالتراجم المقدسية (بعضهم وليس جميعهم) من القرن العاشر والحادي عشر والثاني عشر من الهجرة، وتضم مئة وثلاثين عالماً مقدسياً ممن ولدوا ونشأوا في القدس، ودرسوا في المسجد الاقصى، ومدارس بيت المقدس والأزهر واستنبول وغيرها. وقد ارتحل عدد منهم إلى الديار الاسلامية للتدريس ونشر الوعي الاسلامي. وتوفي هؤلاء العلماء أما في بيت المقدس أو في المدن الاسلامية الاخرى مثل دمشق أو استنبول أو المدينة المنورة وغيرها.

ب ـ المكتبات ودور العلم.

يعد دخول صلاح الدين الايوبي «مدينة القدس» سنة ٥٨٣ هـ /١١٨٧م بداية مميزة للحياة العلمية التي عمت الديار الشامية وبخاصة فلسطين. فقد اعاد بناء ما خرّبه المغول والتتار والصليبيون من دور علم، وما أحرقوه من خزائن كتب، وما

---

١ ـ مصطفى مراد الدباغ ١٩٧٦، مرجع سابق، ص ٩٥ ـ ١٣٣.

هدموه من مدارس وجوامع ومنشآت حضارية تمثل الوجه الناصع للحضارة العربية الاسلامية[1]. ولكي تستمر المدينة المقدسة بدورها العلمي الاسلامي، استهل صلاح الدين عهده في فلسطين بعملين جليلين هما انشاء المدارس والعمل على تزويد المسجد الأقصى بالكتب الدينية والعلمية. فقد عمد إلى تحويل الدار التي بناها فرسان المنظمة الصليبية العسكرية المسماة «الاسبتارية» إلى مدرسة كبرى (هي المدرسة الصلاحية) يدرس فيها الفقه الشافعي. ويقول العماد الأصفهاني (فاوض السلطان جلساؤه من العلماء والأبرار والاتقياء الأخيار، في مدرسة للفقهاء الشافعية ورباط للعلماء الصوفية، فعين للمدرسة الكنيسة المعروفة بصند حنة عند باب الأسباط، وعين دار البطرك للرباط ووقف عليهما وقوفاً). ويقول مجير الدين العليمي مشيراً إلى حرص صلاح الدين علي تزويد هذه المدارس بالكتب• (ان السلطان صلاح الدين امر بهدم البناء الذي اقامه الصليبيون في الصخرة، واعادها كما كانت ورتب لها إماماً حسن القراءة، ووقف عليها داراً وأرضاً، وحمل إليها وإلى محراب المسجد الأقصى مصاحف وختمات وربعات شريفة).

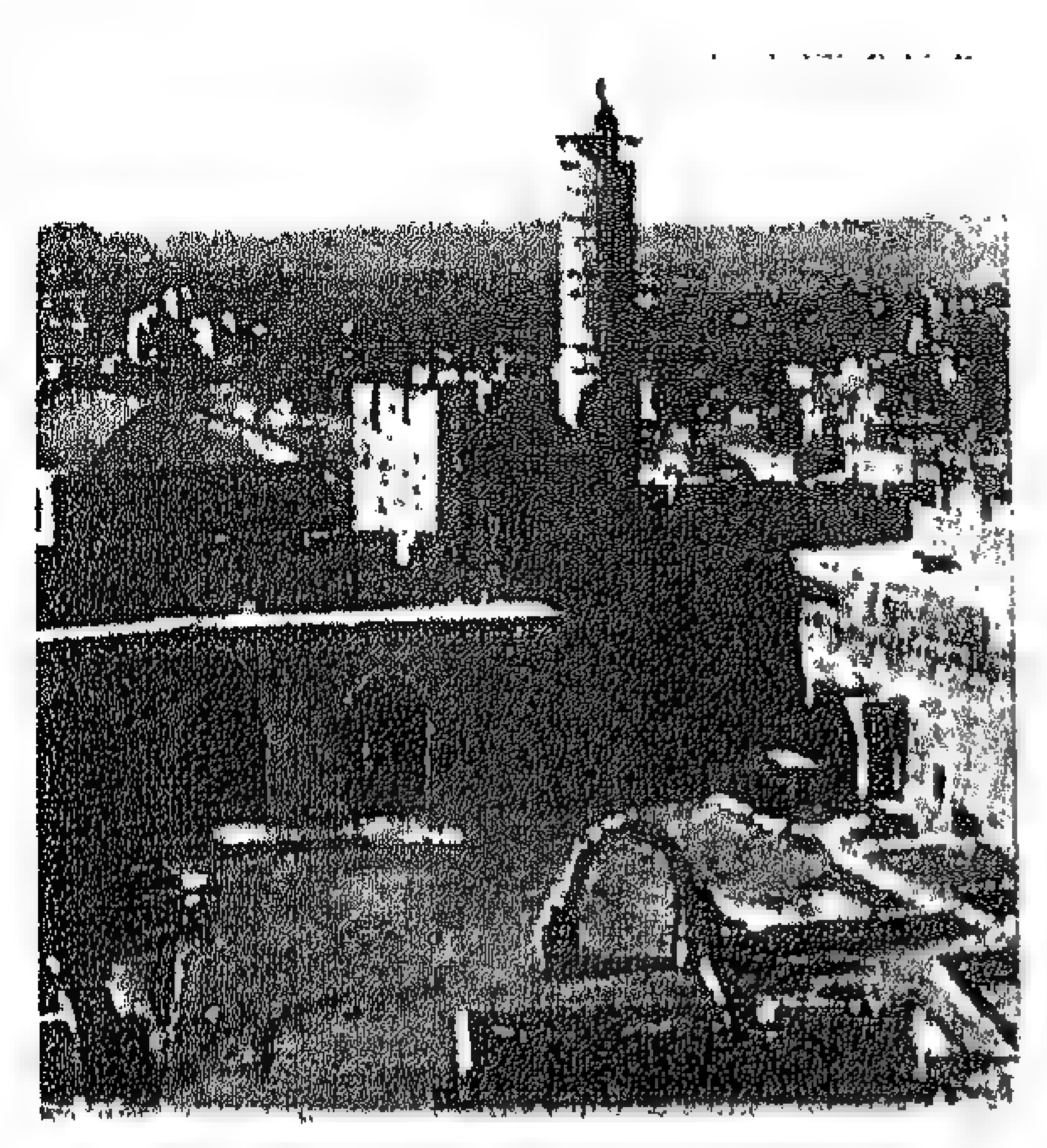
وقد سار الأيوبيون على سنة صلاح الدين في تأسيس المعاهد العلمية وتزويدها بالمدرسين والكتب المخطوطة. فقد جدد الملك المعظم عيسى بن احمد بن ايوب بناء المدرسة الناصرية، أو الغزالية، وجعلها زاوية لقراءة القرآن والاشتغال بالنحو ووقف عليها كتباً في جملتها «اصلاح المنطق» لابن السكيت وهو بخط الامام النحوي ابن الخشاب. ويقول العليمي انه وقف على كراسة من هذا الكتاب وعلى ظهرها الوقف وهو مؤرخ في التاسع من ذي الحجة سنة ٦١٠هـ/١٢١٤م.

وفي القدس خزائن كتب عامة وخاصة كثيرة. فأما العامة فأشهرها خزانة المسجد الأقصى في القدس. ويبدو من مراجعة فهرسها انها تحوي كتباً دينية مخطوطة قدر عددها بألف مخطوط، كالمصاحف والربعات وكتب اكثرها في العصرين المملوكي والعثماني. وفي الخزانة أيضاً كتب متفرقة في الأدب والفقه على المذاهب الأربعة والتفسير والحديث. ولعل أنفس ما حوته الخزانة المذكورة واشار اليه مفهرسوها مخطوط كتاب «نشق الأزهار في عجائب الأقطار» للمؤرخ المصري ابن

---

١ ـ الموسوعة الفلسطينية، ١٩٨٤، المجلد الرابع، فصل المكتبات، ص ٢٨٦ ـ ٢٨٨.

اياس (٨٥٢ـ ٩٣٠هـ)، ومخطوط «تلخيص المتشابه في الرسم وحماية ما اشكل منه عن بوادر التصحيف والوهم» لأبي بكر الخطيب علي بن ثابت البغدادي المتوفي سنة ٤٦٤هـ/١٠٧٢م، ومخطوط «طبقات الشافعية» لتقي الدين ابن قاضي شهبة الدمشقي المتوفي سنة ٨٥١هـ/١٤٤٨م، ومخطوط «كتاب الأقاليم» للأصطخري المتوفي سنة ٣٤٠هـ/٩٥٢م ويقال ان المخطوط يرجع إلى القرن الخامس وأوائل السادس.


داخل قلعة القدس.

وفي الخزانة نحو عشرة آلاف كتاب أما خزائن الكتب الخاصة فكثيرة منها:

١ ـ خزانة آل ابي اللطف بالقدس.

٢ ـ خزانة آل البديري بالقدس، واسرة البديري أسرة عريقة كانت لديها خزائن كتب مخطوطة تبددت بعد ان اقتسموها. وآل قسم من مخطوطاتها إلى الشيخ محمد البديري فجعلها في جناح من أجنحة المسجد الأقصى.

٣ ـ خزانة آل الترجمان بالقدس.

٤ ـ خزانة آل الجوهري بنابلس.

٥ ـ خزانة آل الحسيني بالقدس.

٦ ـ خزانة آل الخالدي بالقدس.

٧ ـ خزانة آل الخليلي بالقدس. وقد وقفها الشيخ محمد بن محمد الخليلي مفتي الشافعية المتوفي سنة ١١٤٧هـ / ١٧٣٤م. ويقال ان الشيخ الخليلي اول من حقق فكرة ايجاد مكتبة عامة في القدس استناداً إلى وقفية كتبه. وقد حفظت الكتب المذكورة في المدرسة البلدية التي كان انشأها بباب السلسلة نائب السلطان الأمير سيف الدين منكلي بغا الأحمدي المتوفي سنة ٧٨٢هـ / ١٣٨١م.

٨ ـ خزانة آل الداودي بالقدس.

٩ ـ خزانة عبد الله مخلص (١٨٧٨ ـ ١٩٤٧م) بالقدس في حي الشيخ جراح، وقد حوت نفائس المخطوطات. ويبدو ان المكتبة نقلت بعد حوادث ١٩٤٨ إلى بعض الأديرة الموجودة قرب سور المدينة من داخل. وقيل ان الصهيونيين نهبوها ابان معارك ١٩٤٨.

١٠ ـ خزانة آل قطينة بالقدس بباب العمود. آل قطينة اسرة حنبلية يقال أن أبناءها هم الحنابلة الوحيدون في القدس، وفي الخزانة مخطوطات نفيسة في الرياضيات والفلك والتنجيم لم يبق منها اليوم شيء.

١١ ـ خزانة محمد اسعاف النشاشيبي بالقدس.

١٢ ـ خزانة محمود اللحام بضاحية سلوان (شرقي القدس) وفيها أربعة آلاف مصنف.

١٣ ـ خزانة آل فخري وقد وقفها القاضي فخر الدين أبو عبد الله محمد بن فضل ناظر الجيوش الاسلامية المتوفي سنة ٧٣٢هـ/١٣٣٢م. وهذه الخزانة قسم من الخانقاه الفخرية المجاورة لجامع المغاربة. ويقال انها كانت تحتوي على عشرة آلاف مجلد اقتسمها افراد الأسرة فتفرقت كتبها.

١٤ ـ خزانة آل الموقت بالقدس.

وتضم القدس أيضاً خزائن كتب مسيحية عربية واجنبية أكثرها تابع للطوائف الدينية والبعثات الأثرية والتبشيرية الفرنسية والانكليزية والامريكية ومنها:

١ ـ مكتبة القبر المقدس.

٢ ـ مكتبة دير الروم، وفيها ٢٧٣٣ مجلداً باليونانية وغيرها بينها مخطوطات يونانية مؤرخة في القرن العاشر للميلاد.

٣ ـ مكتبة دير الدومينيكان.

٤ ـ مكتبة الآباء البيض.

٥ ـ مكتبة دير الفرنسيسكان.

٦ ـ مكتبة دير الأرمن.

٧ ـ خزانة الآثار الامريكية.

٨ ـ خزانة الآثار الانكليزية.

٩ ـ مكتبة المجمع العلمي الأثري البروتستانتي.

١٠ ـ مكتبة الجامعة العبرية.

وتعد المكتبة الخالدية في القدس أهم دور الكتب الخاصة في فلسطين وأغناها. وكانت المكتبة مدرسة آلت ملكيتها إلى السيدة خديجة الخالدي ابنة القاضي موسى افندي الخالدي قاضي عسكر بر الاناضول، فأوصت ولدها الحاج راغب الخالدي رئيس المحكمة الشرعية بيافا (المتوفي سنة ١٩٥١)، ان يقفها وينقل اليها كتب الاسرة الخالدية. فنفذ وصيتها سنة ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م بمشورة ومعرفة الشيخ طاهر الجزائري مؤسس المكتبة الظاهرية بدمشق، والشيخ ابي الخير محمد ابن الحبال الدمشقي، فوضعا فهرساً بأسماء كتبها. وقد جاء في «برنامج المكتبة الخالدية العمومية» وصف للظرف التي تم بها تأسيس المكتبة وجعلها دار كتب عامة: (وفق الله جناب الفاضل راغب افندي الخالدي بمساعدة بعض وجهاء عائلته الكريمة، وهما ياسين افندي الخالدي وموسى شفيق افندي الخالدي، إلى تشييد غرفة رحبة على جادة باب السلسلة في القدس الشريف، وضعوا فيها كمية وافرة مما وجد عندهم من بقية كتب آبائهم وأجدادهم، واضافوا إليها بعضاً من الكتب الموجودة عندهم أيضاً، وجعلوا الغرفة المذكورة دار علوم عمومية لمن يرغب المطالعة من أي فرد، وشرطوا ان لا يخرج منها كتاب حرصاً على المنفعة العامة، وهي مفتوحة الأبواب لجميع الطلاب كل يوم من الصباح إلى المساء، وعينوا لها محافظاً اميناً).

وتحتوي المكتبة على عشرة آلاف كتاب ثلثاها مخطوط والثلث من نوادر المطبوعات القديمة في العلوم العربية والاسلامية. وقد ضمت إليها خزانتا الشيخ يوسف ضياء باشا الخالدي ومحمد روحي الخالدي، وضمت بعدئذ إليهما خزانة الشيخ احمد بدوي الخالدي بالإضافة إلى ما أهدى اليها من نفائس مطبوعات المستشرقين. وتبين من مطالعة فهرست المكتبة إنها تحوي كتباً في التفسير والتجويد والقراءات والرسم والحديث والاصول والفتاوي والفقه الحنفي والفقه على المذاهب الأربعة والفرائض والتوحيد والتصوف والمواعظ والحكم والنحو واللغة والأدب والسياسة والقوانين والدواوين والمدائح النبوية والسيرة النبوية والمناقب والتراجم والفلك والطب والروحانيات. وفيها عدد كبير من المجاميع في مختلف العلوم الدينية والدنيوية. إلا ان مصير الخزائن والمكتبات التي ذكرت كان مصير المعالم الحاضرية الأخرى في المدينة المقدسة.

جـ ـ المَعالم الأثرية والتاريخية العربية الاسلامية في المدينة المقدسة[1]:

مدينـة القدس حافلة بالمباني الأثرية الاسـلامية النفيسة. ففيها ما يقرب من مئة بنـاء اثـري منهـا المساجد والمدارس والزوايا والتكـايـا والـربـط والـترب والتحصينـات وغيرها من المباني الكثيرة المذكورة في كتب التاريخ وقد زالت معالمها. وقد انشئت هذه المخلفـات الحضـاريـة في مدينـة القـدس بالـرغم من أنهـا لم تكن المـركز السياسي في عصـر من العصـور الاسـلاميـة. ولا غرابة فالإسـلام اظهـر تعلقه واهتمامه بهذه المدينة منـذ نشأتـه فكـانت قبلة المسلمـين الأولى حتى السنـة الثـانية من الهجرة، وإليها كان اسراء رسـول الله صلى الله عليـه وسلم، ومنهـا كان معراجه إلى السماء، وفيها ثالث المساجد التي تختص برتبة القداسة والفضل على سواهـا كما رواه المحدث المعروف ابن شهـاب الـزهري عن النبي صلى الله عليه وسلم إذ قال: «لا تشـد الـرحـال إلا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا ومسجـد بيت المقدس». ولهذا اهتم الملوك والأمراء والولاة على مر الأزمان باقامة المباني العـامـة الفخمـة الجميلة الحـافلة بأنـواع النقـوش والـزخارف، قاصدين بذلك فعل الخـير ونيـل الأجـر والتعبـير عما تفيض

الصخرة



قبة الصخرة

---

١ ـ الموسوعة الفلسطينية، مرجع سابق، ص ٥٣٣ ـ ٥٤٢.

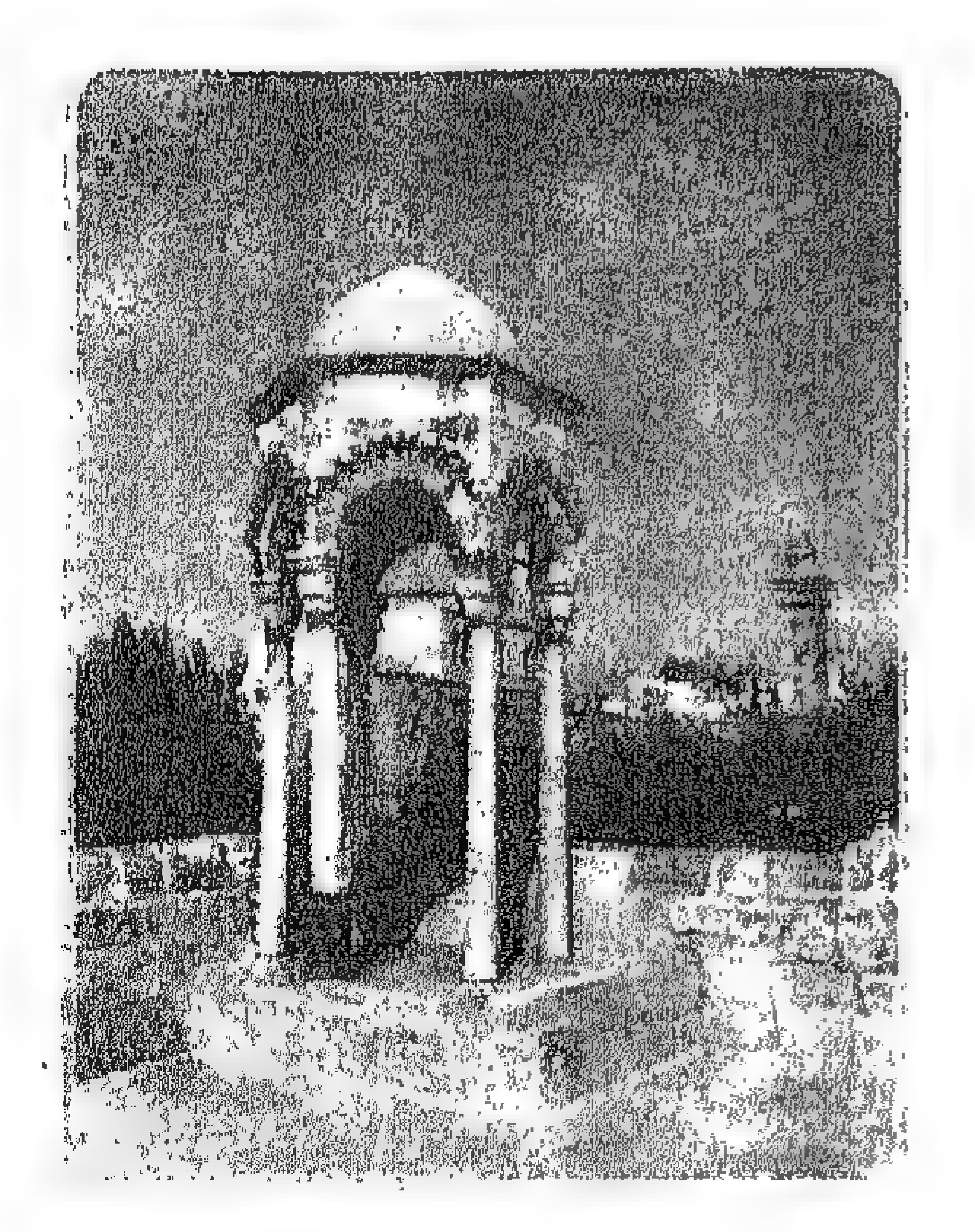
به قلوبهم ومشاعرهم من المحبة والتقديس لهذا البلد، ولتوفير المسكن والمأكل للوافدين لزيارة هذه المدينة المقدسة من جميع أقطار العالم الاسلامي، ولاسيما بعد ادائهم فريضة الحج بمكة المكرمة، وللمتصوفين الزاهدين والمتعبدين الراغبين في الاقامة بجوار المسجد الأقصى المبارك.

قبة الصخرة من الداخل

إن قبة الصخرة المشرفة هي أقدم هذه المباني وأنفسها وأكثرها جمالاً وبهاء، بناها عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي الخامس سنة ٧٢هـ/٦٩١م. وهي من أروع ما وصل إليه المجهود الانساني في العمارة. ولعلها الأثر الأموي الوحيد الباقي إلى اليوم في القدس لأن المسجد الأقصى الذي بناه الوليد الأول (٨٦ - ٩٦هـ/٧٠٥ - ٧١٥م) لم يبق من هيئته الأصلية إلا اجزاء قليلة بسبب تأثره بالهزات الأرضية وغيرها من عوامل الطبيعة، مما ادى إلى اعادة بناء اقسامه في العهود العباسية والفاطمية والصليبية والأيوبية والمملوكية. فالقسم الأعظم من هيئة المشاهدة اليوم هو من عمل الخليفة الفاطمي الظاهر. ولا يوجد من أثار العباسيين ما يظهر مدنيتهم الزاهرة لأن سيطرتهم الفعلية على هذه البلاد زالت في أواخر القرن الثالث الهجري، وانتقل سلطان الحكم بالتتابع إلى ولاة مصر من الطولونيين والاخشيديين والفاطميين. وهؤلاء ايضاً لم يبق من آثارهم شيء بسبب غارات القرامطة في القرن الرابع الهجري، وغزوات التركمان والصليبيين في أواخر القرن الخامس الهجري وبعده، حيث أدت هذه الغزوات وتلك الغارات بلا شك إلى ضياع الآثار الطولونية والاخشيدية والفاطمية من هذه البلاد. ولذلك فإنه لن يكون من أثر للمباني الاسلامية - عدا بناء قبة الصخرة والمسجد الأقصى - إلا بعد معركة

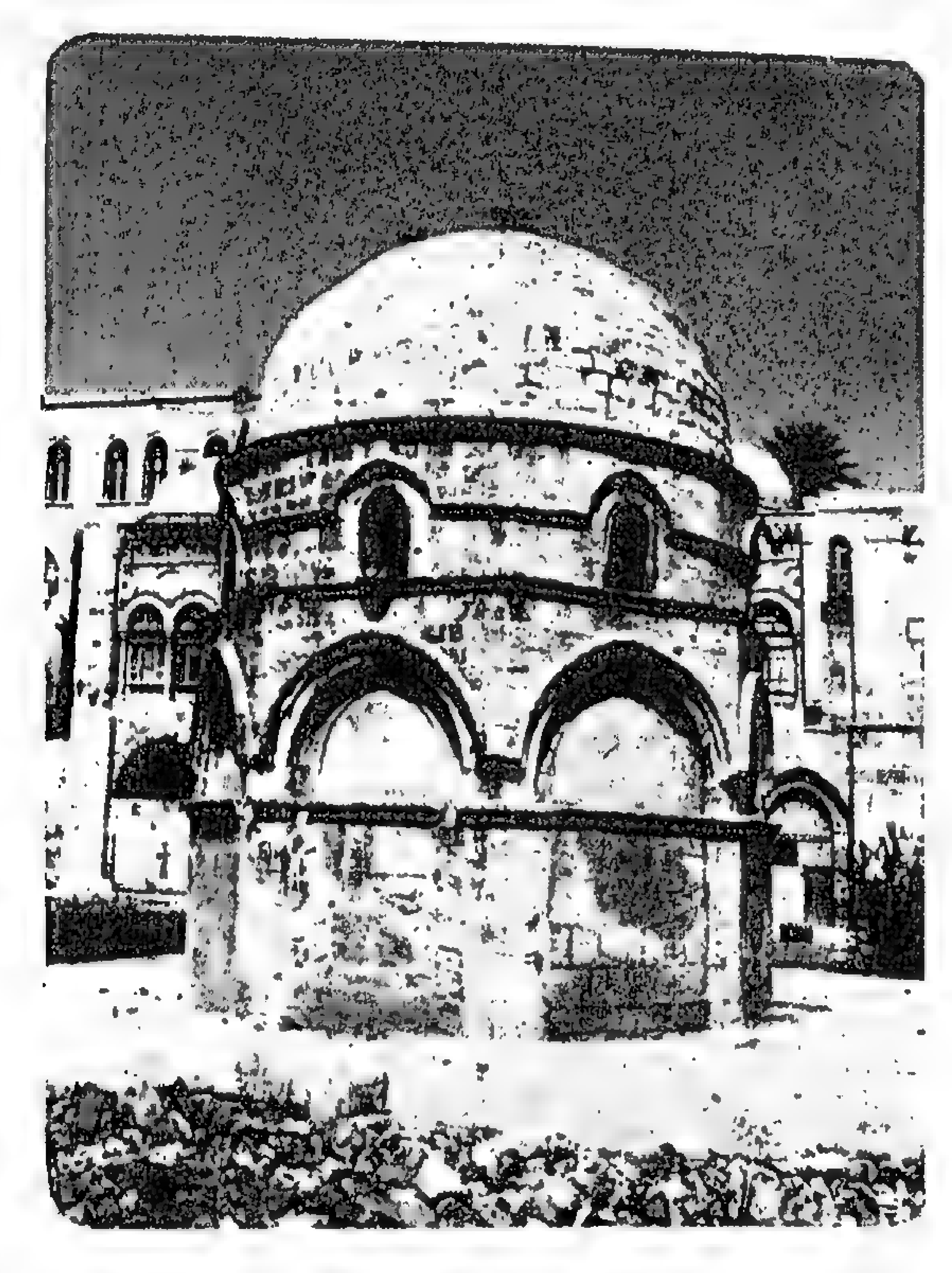
قبة الأرواح

حطين (٥٨٣هـ /١١٨٧م) وتحرير السلطان صلاح الدين القدس واخراجه الصليبيين منها. وقد سجل المقدسي الذي عاش في أواخر القرن الرابع الهجري في كتابه المعروف «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» وصفاً ممتعاً للقدس ـ وهو من ابنائها ـ عدد فيه مناقبها وفضائلها وما امتازت به من جميل المباني والنظافة وحسن التنظيم ومن كان فيها من أهل العلم والفضل فقال: «بيت المقدس ليس في مدائن الكون أكبر منها، وقصبات كبيرة أصغر منها كاصطخر وقاين والفرما. لا شديدة



قبة الخضر

البرد وليس فيها حر. وقل ما يقع فيها الثلج. بنيانهم حجر لا ترى احسن منه. ولا أنظم من أسـواقهـا ولا أكـبر من مسجدها. ولا أكثر من مشاهدها، وفيها كل حاذق وطبيب. وإليهـا قلب كل لبيب». وهـذا الـوصف الذي اورده المقدسي يصور حالة بيت المقـدس ويثبت انهـا كانت مدينـة كبيرة مزدهرة وعامرة بالمباني الجميلة التي زال أكثر آثارها.



قبة سليمان.

ا ـ اثار الدولة الايوبية (٥٦٤هـ/ ١١٦٩م ـ ٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م):

ان أول عمـل قام به السلطـان صلاح الدين الأيوبي مؤسس الدولة الأيوبية عنـد فتحـة بيت المقـدس، استرجاعه الأماكن الاسلامية التي كان قد استولى عليها

الصليبيون. وقد جدد محراب المسجد الأقصى وبناه بالرخام، وأرخ ذكرى فتح بيت المقدس في سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م. وهذه الكتابة موجودة الآن فوق المحراب المذكور. واحضر المنبر الذي امر بصنعه الشهيد نور الدين محمود بن زنكي سنة ٥٦٤هـ/١١٦٩م خصيصاً لينقل إلى المسجد الأقصى عند فتح بيت المقدس. والمنبر مصنوع من الخشب ومرصع بالعاج والأبنوس، وتشاهد فيه دقة الصناعة الاسلامية التي كانت شائعة في تلك الأيام. وقد اضرم النار فيه صهيوني صباح يوم ١٩٦٩/٩/٢١ محاولاً بذلك حرق المسجد الأقصى.

وبنى السلطان صلاح الدين اسوار المدينة وابراجها التي كانت تهدمت، ولا يزال جزء كبير منها موجوداً إلى الآن، وحفر الخندق الذي يحيط بسور المدينة من باب العمود إلى القلعة في باب الخليل.

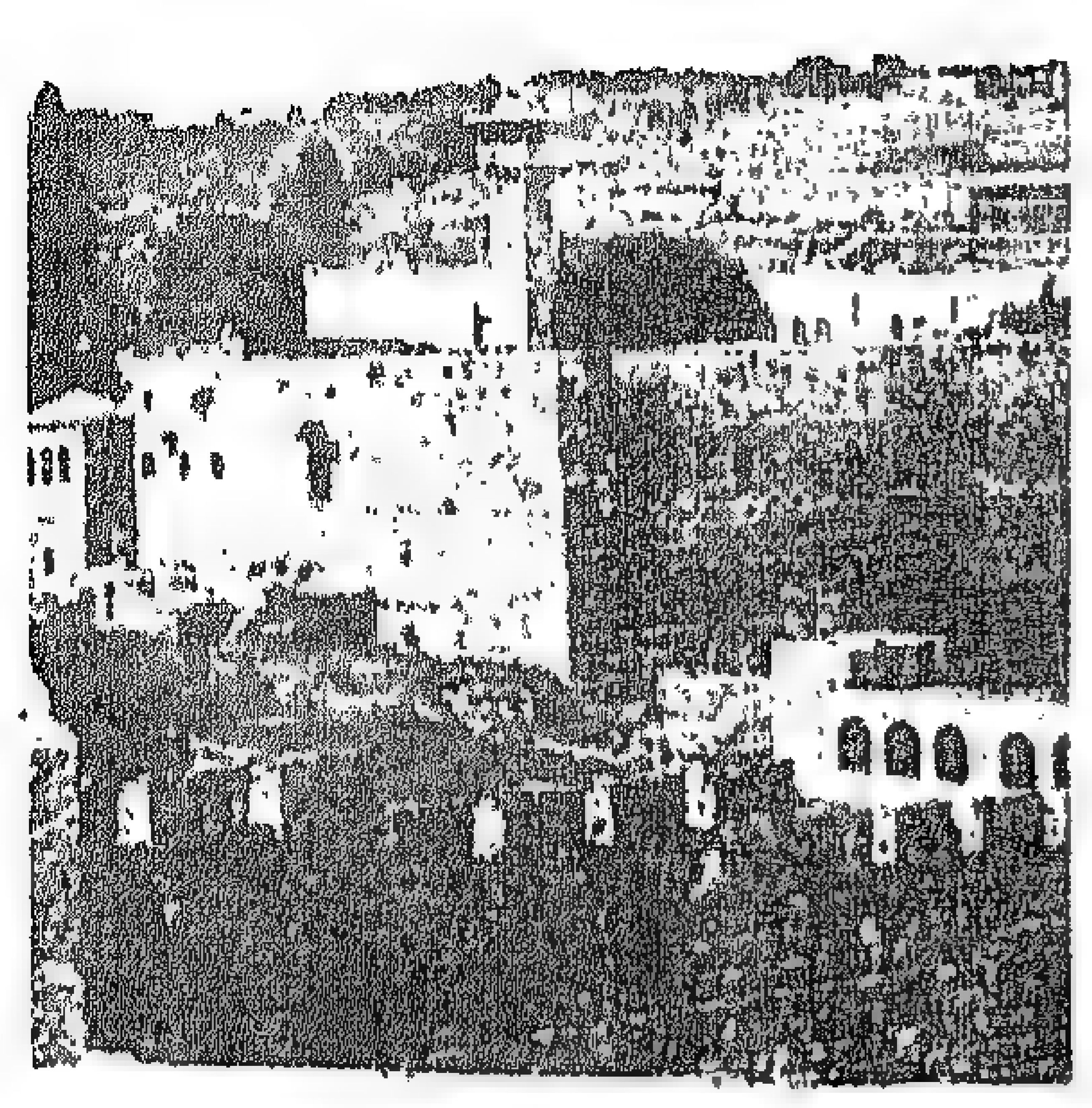
وفي سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م جدد قبة الصخرة وزين داخلها بالزخرفة العربية بماء الذهب على ما يرى في وقتنا الحاضر. واسس الخانقاه الصلاحية الواقعة في



الواجهة الرئيسية للمسجد الأقصى.



محراب الأقصى





مئذنة الأقصى .

الشمال الغربي من كنيسة القيامة في حارة النصارى وجعلها رباطا للصوفية وعين عليها الشيخ غانم بن علي . واسس المدرسة الصلاحية للفقهاء الشافعية مكان الكنيسة المعروفة بكنيسة القديسة حنة عند باب الأسباط ووقف عليها وعلى مصالح المسجد الأقصى المبارك ، أوقافاً حسنة منها الأسواق المتحاذية المعروفة اليوم بسوق العطارين واللحامين والصياغ .

ومن الآثار الايوبية في القدس :

١ ـ الزاوية الخشنية : وقد اسسها السلطان صلاح الدين بظاهر سور المسجد الأقصى الجنوبي خلف المنبر ، ووقفها على الشيخ الأجل الزاهد العابد المجاهد جلال الدين محمد بن احمد بن محمد جلال الدين الشاسي المجاور في بيت المقدس ، ثم من بعده على من يحذو حذوه . وكان تاريخ وقفها في ١٨ ربيع الأول سنة ٥٨٧هـ/١١٩٢م .

٢ ـ ماء العروب : جلبها إلى القدس في سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م الملك العادل أبو بكر . وتبعد عن العروب قرابة ٢٢كم إلى الجنوب من القدس بالقرب من برك سليمان . وقد بنى العادل سقاية ، أي حوضاً ، لحفظ الماء في الجهة الجنوبية بالقرب من باب المتوضأ بباب المطهرة ، وهو أحد ابواب الحرم الشريف الغربية . ومدخل السقاية القديم لا يزال قائماً فوقه كتابة تشير إلى عمل الملك

العادل. وهذا الأثر يسجل المحاولة الأولى لتموين القدس بالماء من الخارج في مدة الحكم الاسلامي، مما يدل على ازدهار العمران وكثرة السكان في تلك الأيام.

٣ ـ الجامع العمري: بناه في سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م الملك الأفضل نور الدين أبو الحسن علي بن صلاح الدين اثناء سلطنته على دمشق. وهو معروف اليوم بجامع عمر، ويقع بالقرب من كنيسة القيامة في الجهة الجنوبية الغربية. وقد وقف الملك الأفضل المدرسة الأفضلية الواقعة في حارة المغاربة على طائفة المغاربة.

٤ ـ المدرسة الميمونة: تبعد حوالي ٢٠٠ م إلى جنوب شرقي باب الساهرة داخل سور المدينة. وقد ذكر مجير الدين الحنبلي ان اصلها كنيسة من بناء الروم وقفها الأمير فارس الدين أبو سعيد ميمون بن عبد الله القصري خازندار الملك صلاح الدين، وان تاريخ وقفها كان في جمادي الأولى سنة ٩٥٣هـ/١١٩٧م.

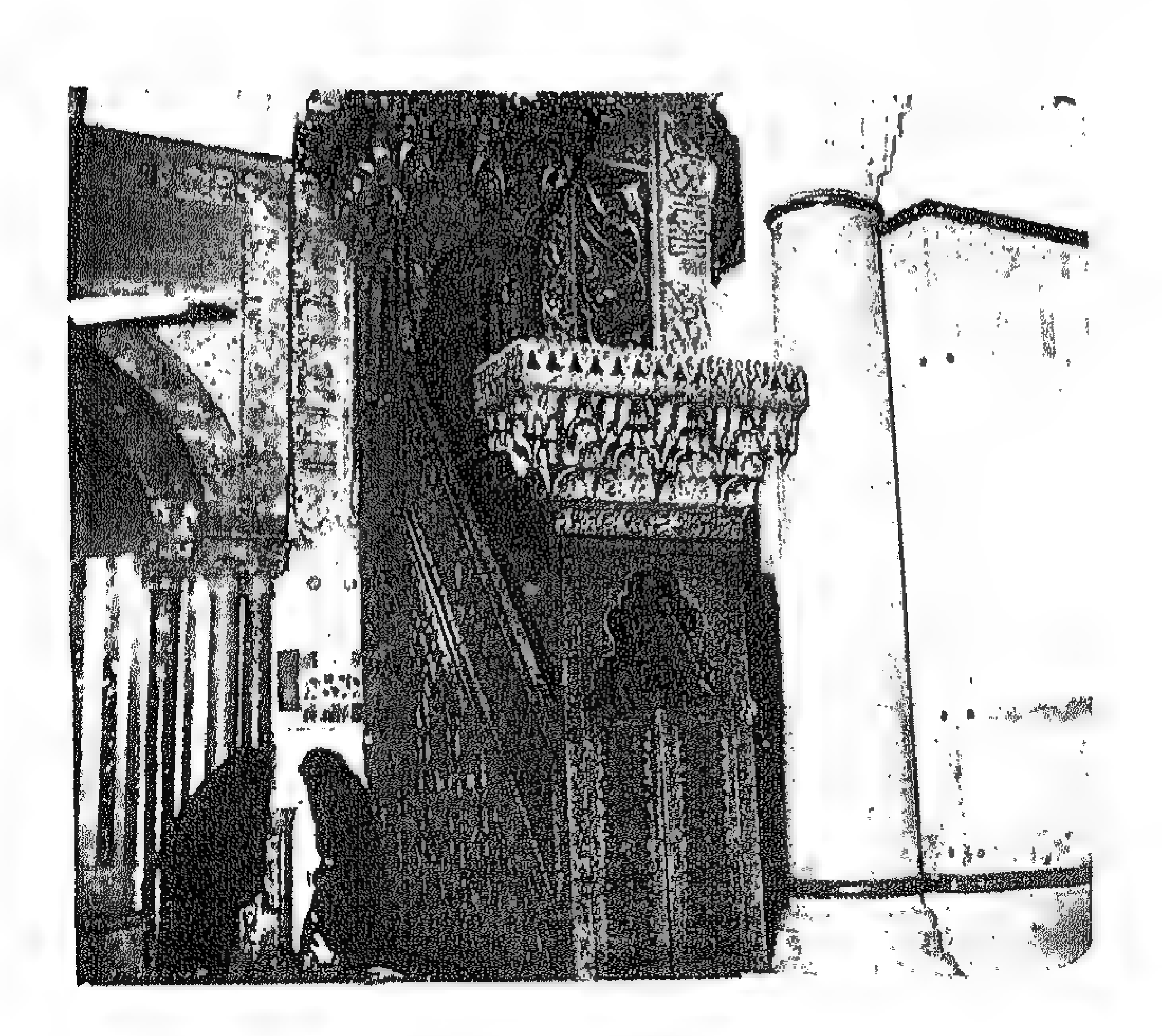
٥ ـ قبة المعراج: انشأها في سنة ٥٩٧هـ/١٢٠١م الأمير عز الدين أبو عمر وعثمان الزنجلي متولي القدس الشريف وهي بناء مثمن الشكل، جدرانه مبنية بألواح الرخام الأبيض، وعليه قبة لطيفة مغطاة بصفائح الرصاص. وتقع القبة بالقرب من الصخرة المشرفة في الجهة الشمالية ـ الغربية.

٦ ـ قبة سليمان: بداخل ساحة الحرم بالقرب من باب شرف الأنبياء (أي باب الملك فيصل) إلى الغرب منه. والقبة تقوم على بناء مثمن الشكل محكم التكوين بداخله صخرة ثابتة. ويذكر مجير الدين الحنبلي ان البناء من عهد بني أمية، إلا ان طراز بناء القبة والأقواس يدل على انه يرجع إلى اوائل القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي.

٧ ـ الزاوية الجراحية: بظاهرة القدس القديمة من جهة الشمال، وتعرف بزاوية الشيخ جراح وتقع على جانب طريق نابلس، ولها وقف ووظائف مرتبة ونسبتها إلى واقفها الأمير حسام الدين بن شرف الدين عيسى الجراحي احد امراء الملك صلاح الدين، وكانت وفاته في صفر سنة ٥٩٨هـ/١٢٠٢م وهو مدفون في زاويته هذه.

٨ - المدرسة الناصرية: كانت على برج من باب الرحمة الملاصق لباب التوبة، وكلاهما واقعان في منتصف سور الحرم الشرقي. وهذان البابان مغلقان منذ زمن قديم. وقد عرفت المدرسة بالناصرية نسبة إلى أبي حامد الغزالي الذي اعتكف فيها مدة. وقد جدد عمارتها الملك المعظم عيسى بن أحمد بن أيوب ٦١٠هـ/١٢١٤م وجعلها زاوية لقراءة القرآن والاشتغال بالنحو وآداب اللغة العربية ووقف عليها كتباً من جملتها اصلاح المنطق لأبي يوسف يعقوب بن اسحق بن السكيت. وذكر مجير الدين الحنبلي ان المدرسة كانت مندثرة في أيامه.

٩ - زاوية الدركاء: بجوار البيمارستان الصلاحي. ويقول مجير الدين الحنبلي انها كانت في زمن الفرنج دار الاسبتارية، وانه كان عليها منارة هدم بعضها. وكان قديماً ينزل بها نواب القدس، واقفها هو الملك المظفر شهاب الدين غازي ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب صاحب ميافارقين في سنة ٦١٣هـ/١٢١٦م وهي اليوم مندثرة.

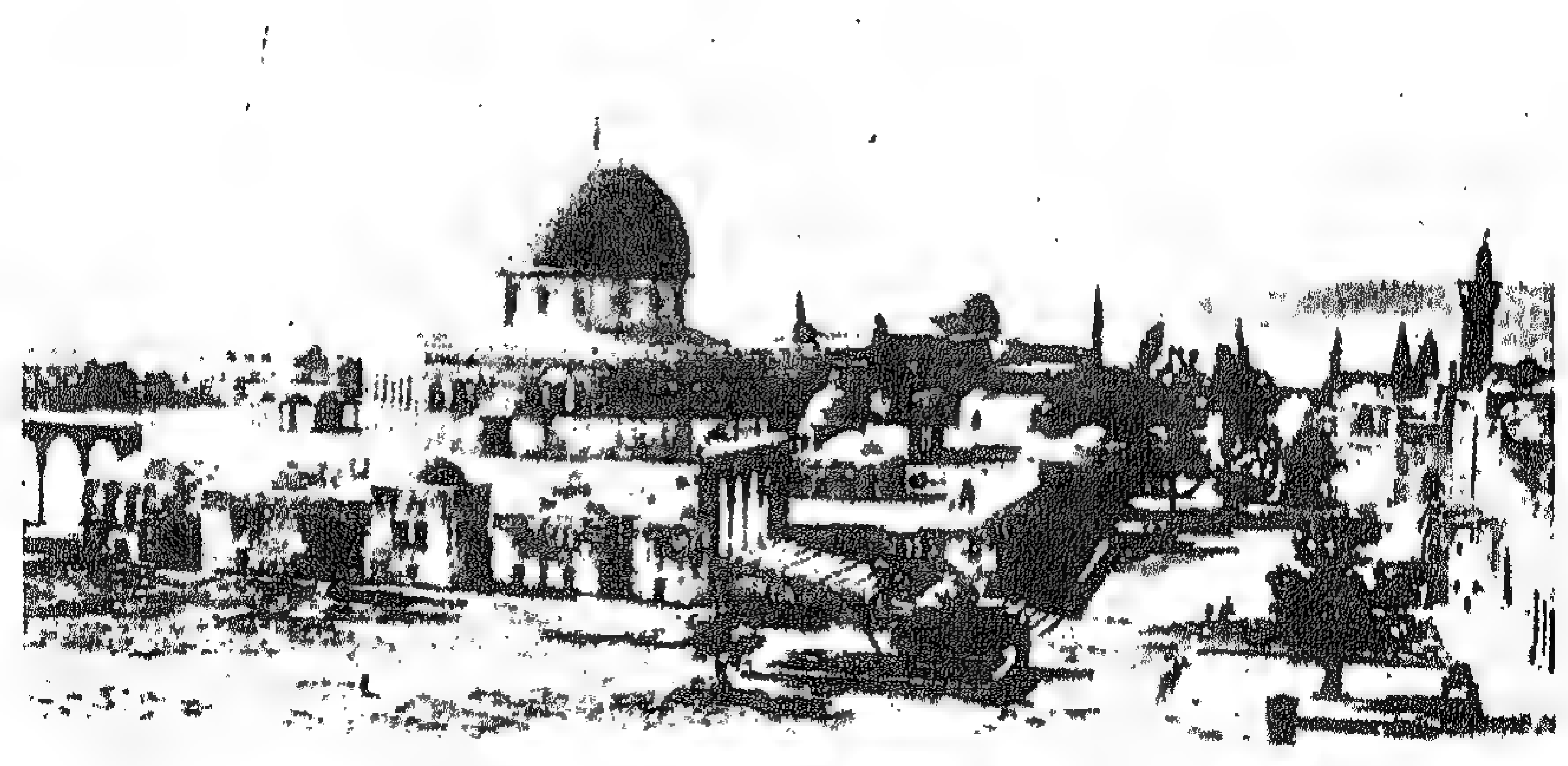


محراب الأقصى

١٠ ـ تربــة الملك حســام الـدين بركـة خان : في الجهـة الجنـوبيـة من طريق باب السلسلة ، وتعـرف اليـوم بالمكتبـة الخـالـديـة . وقد تم بنـاؤ هـا في سنـة ٦٤٤هـ/ ١٢٤٦م ، وبنى محمد بن احمد بن يمن العلائي النافذة المطلة على طريق باب السلسلة سنة ٧٩٢هـ/ ١٣٩٠م . وعلى عتبة النافذة العليا كتابة تشير إلى عمله هذا .

١١ ـ زاويـة الهنـود : بداخـل سور المـدينـة ، وتبعـد قرابـة ١٠٠ م إلى جنوب باب السـاهـرة . ويـذكر مجير الدين الحنبلي انها كانت للفقراء الرفاعية ، ثم نزل بها طائفة الهنود فعرفت بهم . وترجع إلى القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي .

١٢ ـ منشـآت الملك عيسى ابن الملك العـادل اخي السلطـان صلاح الدين : اقام هذا الملك منشـآت أيـام سلطنتـه على الشـام . ففي سنة ٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م بنى القبـة النحـوية لدراسة الآداب العربية ، وهي بناء جميل يقع عند الزاوية الجنـوبيـة الغـربية من صحن قبة الصخرة . وفي سنة ٦٠٠هـ/ ١٢٠٤م أنشأ البرج الذي تقف عليه مئذنة جامع القلعة في الجهة الجنوبية الغربية من بناء



Omar Moschee — Mosque of Omar

F. Vester, Jerusalem

جامع عمر

القلعة في باب الخليل. وبنى فيه سنة ٦١٣هـ/١٢١٦م سبيلاً يعرف بسبيل مشعلان، وهو سبيل لطيف واقع في داخل ساحة الحرم بالقرب من المرقى الذي يصل اليه الداخل من با. الناظر. وفي سنة ٦١٤هـ/١٢١٧م بنى مدرسة للحنفية تعرف بالمدرسة المعظمية، وموقعها مقابل باب شرف الأنبياء المعروف اليوم بباب الملك فيصل، وهو احد المداخل الشمالية للحرم. ويرجع تجديد هذا الباب والرواق المتد منه لجهة الغرب إلى أيام الملك المعظم أبي العزائم عيسى بن أبي بكر بن أيوب في سنة ٦١٠هـ/١٢١٤م.

ب ـ آثار دولة المماليك البحرية (٦٥٠هـ ـ ٧٨٤هـ / ١٢٥٣م ـ ١٣٨٣م):

١ ـ رباط علاء الدين البصير: في الجهة الشمالية من الطريق الموصلة إلى حرم المسجد الأقصى المبارك من مدخل باب الناظر قرب دوائر المجلس الاسلامي الأعلى سابقاً، وهو تجاه الرباط المنصوري أوقفه الأمير علاء الدين ابدغدي بن عبد الله الصالحي النجمي سنة ٦٦٦هـ /١٢٦٧م. وكان الأمير علاء الدين من أكابر الأمراء ولي قبل مجيئه إلى القدس نظارة الحرمين الشريفين في أيام الملك الظاهر بيبرس وأيام الملك المنصور قلاوون، وفي سنة ٦٦٥هـ /١٩٦٧م جدد باب المظهرة وهو احد ابواب الحرم الغربية ويقع جنوب باب القطانين. وفي أيامه بلط صحن قبة الصخرة الشريفة.

٢ ـ دار الحديث: بجوار التربة والمدرسة الطازية من جهة الغرب. واقفها هو الأمير شرف الدين عيسى بن بدر الدين أبي القاسم الهكاري. وتاريخ وقفها في ٢٥ رجب سنة ٦٦٦هـ /١٢٦٨م.

٣ ـ الرباط المنصوري: في الجهة الجنوبية من طريق باب الناظر تجاه رباط علاء الدين البصير. وقد بناه السلطان الملك المنصور قلاوون الصالحي سنة ٦٨١هـ/١٢٨٢م واوقفه على الفقراء وزوار بيت المقدس.

٤ ـ الزاوية الكبكية: في مقبرة مأمن الله. ونسبتها إلى منشئها الأمير علاء الدين ايدغدي بن عبد الله الكبكي المدفون فيها سنة ٦٨٨هـ / ١٢٨٩م.

٥ ـ رباط كرد: في الجانب الشمالي من طريق باب الحديد تجاه إلمدرسة الأرغونية. وواقفه هو المقر السيفي كرد صاحب الديار المصرية سنة ٦٩٣هـ /١٢٩٣م.

٦ ـ المدرسة الدوادارية: وتعرف اليوم بمدرسة الإناث الاسلامية، ومكانها على يمين الخارج من الحرم من باب شرف الأنبياء، وواقفها هو الأمير علم الدين أبو موسى سنجر عبد الله الدوادار الصالحي النجمي، وعمارتها في سنة ٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م.

٧ ـ التربة الأوحدية: وتقع على يسرة الخارج من الحرم من باب حطة. وواقفها هو الملك الأوحد نجم الدين يوسف بن الملك الناصر صلاح الدين داود بن الملك المعظم عيسى سنة ٦٩٧هـ /١٢٩٨م.

٨ ـ المدرسة السلامية: بجوار المدرسة الدوادارية لجهة الشمال بالقرب من باب الملك فيصل. وواقفها هو الخواجة مجد الدين ابو الفدا اسماعيل السلامي بعد سنة ٧٠٠هـ /١٣٠٠م.

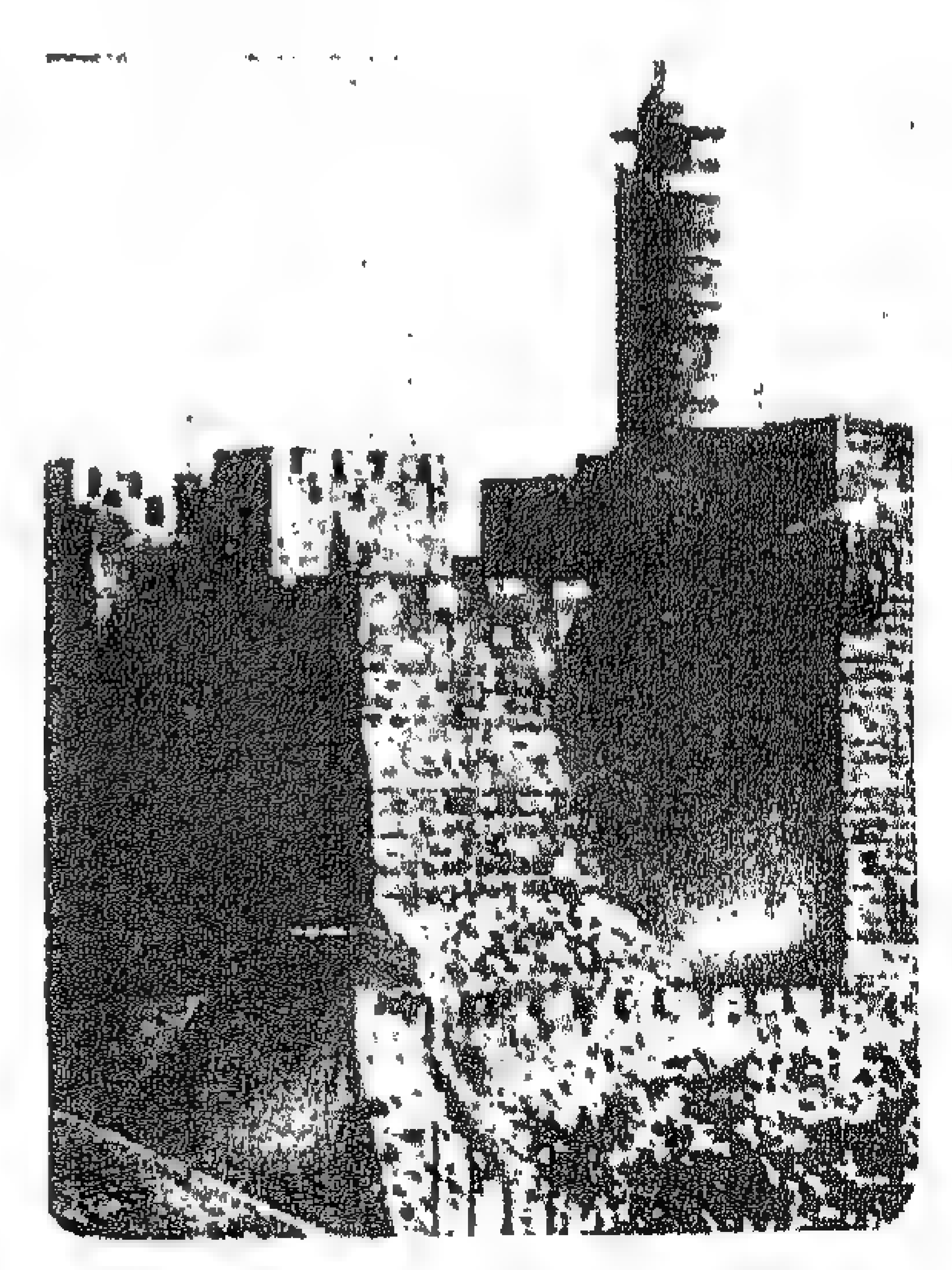
٩ ـ زاوية المغاربة: تقع بأعلى حاراتهم في الجهة الغربية خارج الحرم. وواقفها هو الشيخ عمر بن عبد الله بن عبد النبي المغربي المصمودي المجرد. ويذكر مجير الدين الحنبلي انه كان رجلاً صالحاً عمّر الزاوية وانشأها من ماله ووقفها على الفقراء والمساكين في ٣ ربيع الآخر سنة ٧٠٣هـ /١٣٠٣م. وتوفى بالقدس ودفن بمقبرة مأمن الله عند حوش البسطامية.

١٠ ـ التربة الجالقية: وتعرف اليوم بدار الخالدي. وموقعها بالزاوية الشمالية الغربية عند ملتقى طريق الواد بطريق باب السلسلة. وواقفها هو ركن الدين بيبرس بن عبد الله الصالحي النجمي المعروف بالجالق، ومعناه الحصان القوي الشديد المراس. وكان من جملة الأمراء بالشام في دولة الملك المنصور قلاوون وبعده. وقد توفي في الرملة سنة ٧٠٧هـ / ١٣٠٧م ودفن بتربته في القدس.

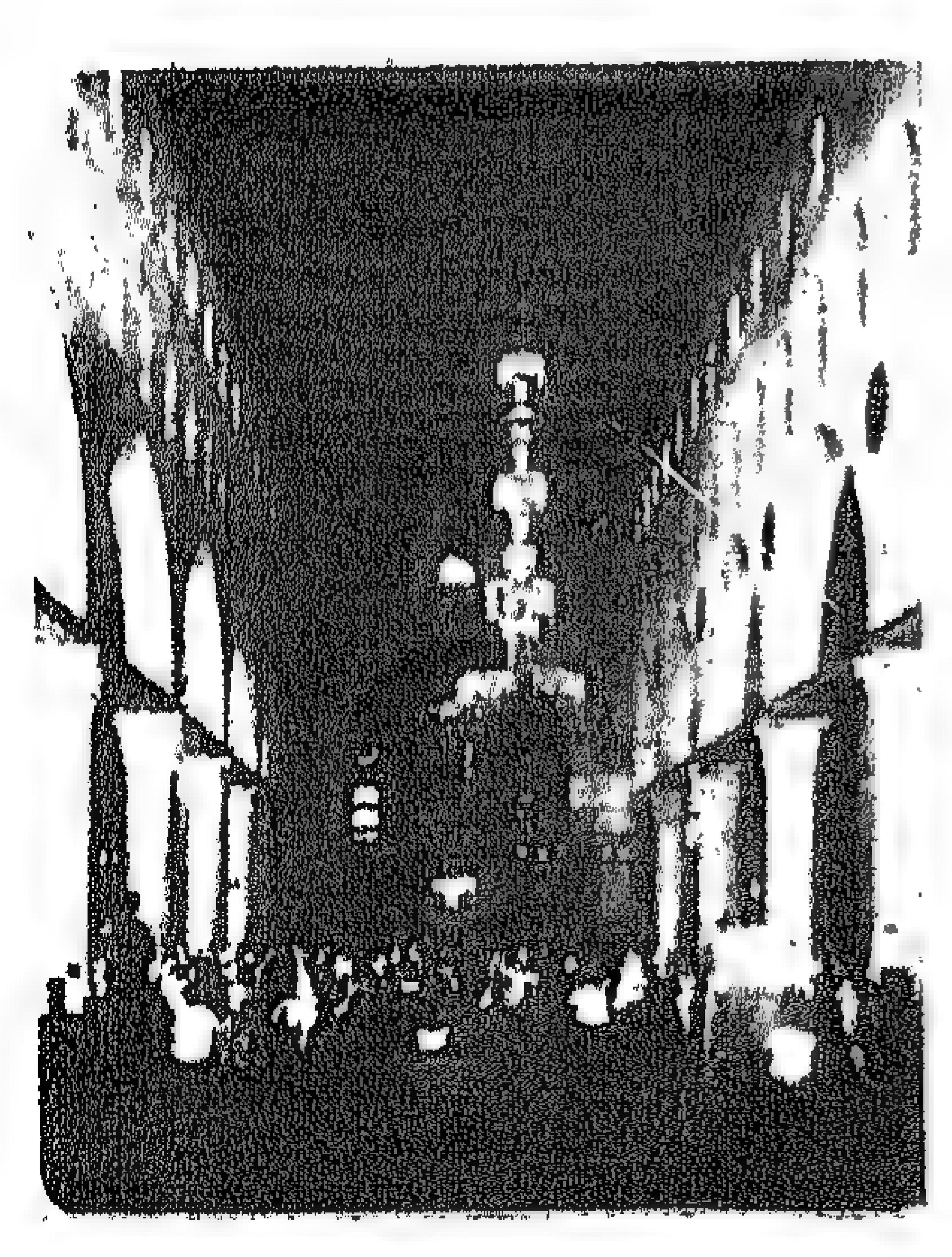
١١ ـ جامع قلعة القدس: بداخل القلعة عند زاويتها القبلية الغربية. وقد كتب على عتبة بابه العليا ان الجامع انشأه الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٠هـ /١٣١٠م.

١٢ ـ الأروقة في المسجد الأقصى: في حرم المسجد الأقصى من جهة الغرب اروقة مبنية بالبناء المحكم. وهي ممتدة من جهة القبلة إلى جهة الشمال. وأولها عند

باب الحرم المعروف بباب المغاربة وآخرها عند باب الغوانمة، وكلها عمرت في سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون في مدد مختلفة. فالرواق الممتد من باب المغاربة إلى باب السلسلة عمر في سنة ٧١٣هـ /١٣١٣م، والرواق الممتد مما يلي منارة باب السلسلة إلى قرب باب الناظر عمّر في سنة ٧٣٧هـ /١٣٣٧م، والرواق الممتد من باب الناظر إلى قرب باب الغوانمة عمّر سنة ٧٠٧هـ /١٣٠٧م. وعمّر السور القبلي عند محراب داود، وهو جزء من سور المدينة الممتد من المسجد الأقصى إلى زاوية السور الجنوبية الشرقية عند مهد عيسى عليه السلام. ورخم صدر المسجد الأقصى، أي حائط المسجد الجنوبي، وفتح بالمسجد المذكور الشباكان اللذان على يمين المحراب وشماله في سنة ٧٣١هـ /١٣٣١م. وجدد تذهيب قبة المسجد الأقصى وقبة الصخرة حوالي سنة ٧٢٠هـ /١٣٢٠م، وعمرت القناطر التي تسمى اليوم بالموازين على رأس المرقيين الشماليين بصحن قبة الصخرة، احدهما مقابل باب حطة والآخر مقابل باب شرف الأنبياء. وكانت عمارة الأول سنة ٧٢١هـ /١٣٢١م والثاني في سنة ٧٣٦هـ /١٣٣٦م. وجددت عمارة باب القطانين في سنة



القلعة وجامعها.



داخل المسجد الأقصى.

٧٣٦هـ / ١٣٣٥م، وهو احد ابواب الحرم الغربية. وفي سنة ٧٢٠هـ / ١٣٢٠م عمرت قناة السبيل التي عند بركة السلطان بظاهر القدس القديمة من جهة الغرب. وهي القناة الواصلة للقدس من عين العروب. الواقعة على بعد قرابة ٢٢كم إلى جنوب مدينة القدس. وللملك الناصر محمد بن قلاوون غير ذلك من المباني المختلفة الكثيرة في فلسطين وسورية والقاهرة.

١٣ - التربة السعدية: بطريق باب السلسلة تجاه المدرسة التنكزية بالقرب من باب الحرم الرئيسي المعروف بباب السلسلة لجهة الغرب. وواقفها هو الأمير سعد الدين مسعود بن بدر سنقر عبد الله الرومي الحاجب بالشام في دولة الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١١هـ / ١٣١١م.

١٤ - المدرسة الكريمية: بالقرب من باب حطة لجهة الشرق. وواقفها هو كريم الدين عبد الكريم بن المعلم هبة الله بن مكانس ناظر الخواص الشريفة بالديار المصرية سنة ٧١٨هـ / ١٣١٩م.

١٥ - المدرسة الجاولية: وتعرف بكلية روضة المعارف الوطنية سابقاً. وهي واقعة في الجهة الشمالية الغربية من ساحة الحرم الشريف. وواقفها هو الامير علم الدين سنجر الجاولي نائب غزة سنة ٧١٥هـ / ١٣١٥م وكان من أهل العلم وله مصنفات كثيرة. وقد صارت المدرسة في تلك الأزمنة سكناً لنواب القدس، وفيها مدفن الشيخ الصالح درباس الكردي الهكاري.

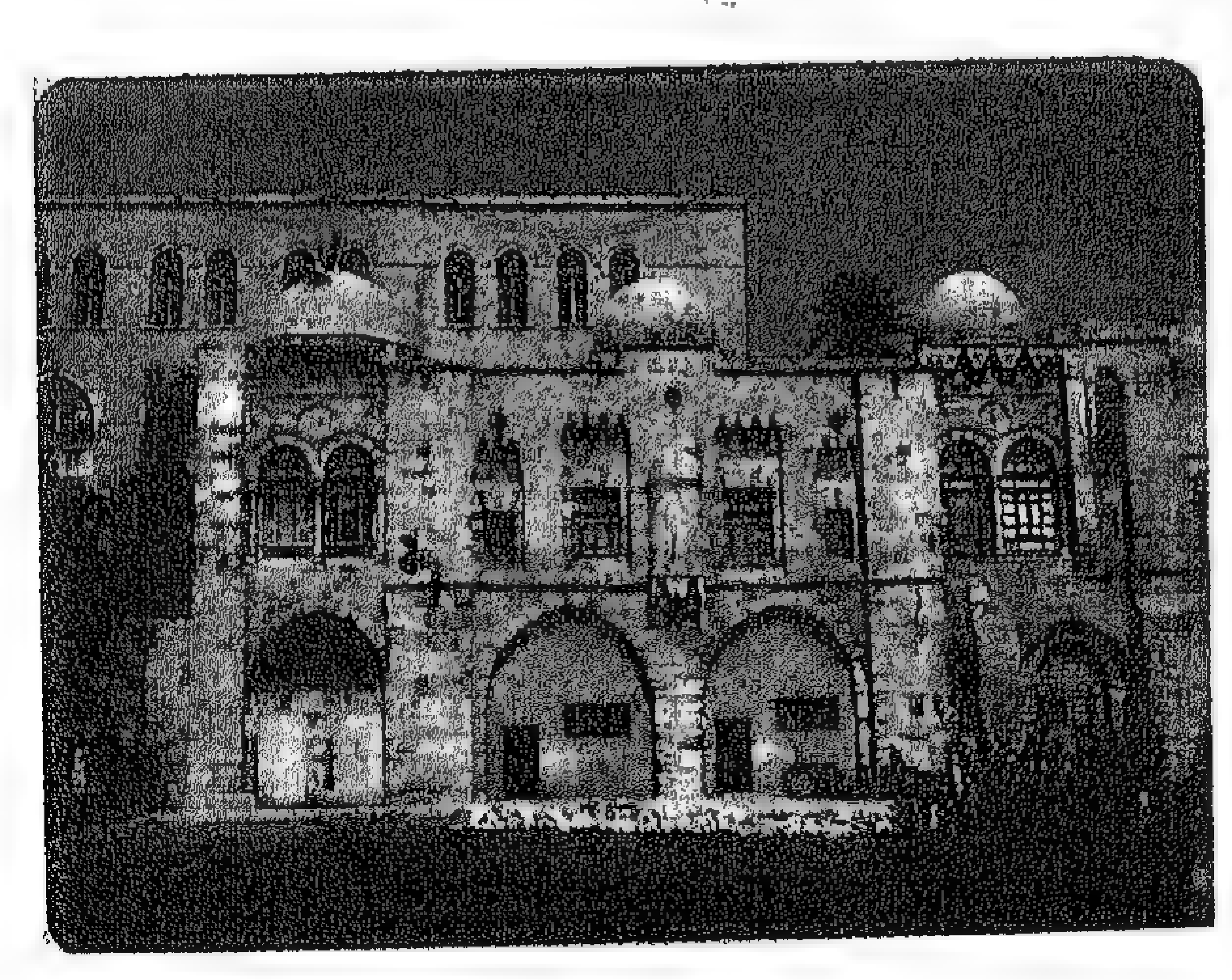
١٦ - المدرسة التنكزية: واقفها هو الأمير تنكز الناصري نائب الشام. وهي مدرسة عظيمة متقنة البناء. وموقع البناء على يمين الداخل إلى الحرم الشريف من باب السلسلة، وهو باب الحرم الرئيس. وعلى باب المدرسة نقش يفيد بناء تنكز للمدرسة سنة ٧٢٩هـ / ١٣٢٨م. ومن آثار تنكز أيضاً الرخام المبني في حائط المسجد الأقصى الجنوبي عند المحراب لجهة الشرق. وقد بني أيضاً جانب الجامع الأقصى الغربي وجدد قناة الماء الواصلة إلى مدينة القدس من العروب. وقد ابتدأ بعمارتها سنة ٧٢٧هـ / ١٣٢٦م ووصلت إلى القدس ودخلت وسط الحرم سنة ٧٢٨هـ / ١٣٢٧م. وبنى تنكز البركة الرخام التي

بين قبة الصخرة والمسجد الاقصى ، وله سوق القطانين والحمام الواقع على يمين الداخل إلى السوق المذكورة من طريق الواد ويعرف اليوم بحمام العين. وله ايضاً الخان الواقع في الجهة الجنوبية من سوق القطانين بين حمام الشفى وحمام العين. وقد اعاد بناء مئذنة باب السلسلة.

١٧ - المدرسة الأمينية: على الجانب الغربي من الطريق المؤدي إلى باب الحرم المعروف بباب شرف الأنبياء. وواقفها هو الصاحب ايمن الدين عبد الله في سنة ٧٣٠هـ / ١٣٢٩م.

١٨ - الخانقاه الفخرية: مجاور لجامع المغاربة بداخل سور المسجد الاقصى ، وبابها عند الباب الذي يخرج منه إلى حارة المغاربة. وواقفها هو المقر العالي القاضي فخر الدين أبو عبد الله محمد بن فضل الله ناظر الجيوش الاسلامية. وقد ذكر مجير الدين الحنبلي ان اصله قبطي وانه اسلم وحسن اسلامه وكانت له أوقاف كثيرة وبر واحسان لأهل العلم، وكان صدراً كبيراً معظماً. وكانت وفاته في منتصف رجب سنة ٧٣٢هـ / ١٣٣١م.

١٩ - المدرسة الملكية: في الجهة الشمالية من الحرم بين الفارسية والاسعودية. ومنشىء المدرسة الملكية هو الحاج آل ملك الجوكندار في أيام الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٤١هـ / ١٣٤٠م



المدرسة الملكية

٢٠ ـ الزاوية المهمازية: بحارة باب حطة شمال غرب المدرسة الصلاحية. وقد ذكر مجير الدين الحنبلي إنها منسوبة إلى الشيخ كمال الدين المهمازي وان الملك الصالح اسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون وقف على المشايخ المقيمين فيها قرية بيت لَقيا من عمل القدس بتاريخ سنة ٧٤٥هـ /١٣٤٤م، وهي خراب في الوقت الحاضر.

٢١ ـ تربة تركان خاتون: في الجهة الشمالية من طريق باب السلسلة. وبانيتها هي تركان خاتون بنت طقطباي بن سلجوقطاي الأزبكي سنة ٧٥٣هـ /١٣٥٢م.

٢٢ ـ التربة الكيلانية: وتعرف اليوم بدار الدنف، وموقعها في الجهة الشمالية من طريق باب السلسلة تجاه المكتبة الخالدية لجهة الغرب. وواقفها هو الحاج جمال الدين بهلوي ابن الأمير شمس الدين محمد الكيلاني سنة ٧٥٣هـ /١٣٥٢م.

٢٣ ـ المدرسة الفارسية: في الجهة الشمالية من الحرم بالقرب من باب شرف الأنبياء لجهة الغرب وواقفها هو الأمير فارس الدين البكي بن الأمير قطلوملك بن عبد الله نائب السلطنة بالأعمال الساحلية ونائب غزة سنة ٧٥٥هـ /١٣٥٤م. وقد وقف عليها حصته من طولكرم.

٢٤ ـ المدرسة والتربة الأرغونية: بالقرب من باب الحديد وهي على ميسرة الخارج من الحرم من باب الحديد، وقد دفن فيها مؤخراً الملك حسين بن علي. وواقفها هو الأمير ارغون الكاملي نائب الشام الذي جدد باب الحديد احد ابواب الحرم الغربية. والأمير سيف الدين ارغون بن عبد الله الكاملي المعروف بأرغون الصغير كان خصياً، أي مملوكاً عند الملك الكامل، ثم عند اخيه الملك الصالح اسماعيل. وقد ولي نيابة الشام ثم لعيد ثانية إلى نيابة حلب وطلب فيها بعد إلى القاهرة وقبض عليه واعتقل بالاسكندرية مدة، ثم أرسل إلى القدس فمات فيها ودفن بتربته التي اكمل بناؤها بعد وفاته سنة ٧٥٩هـ /١٣٥٨م.

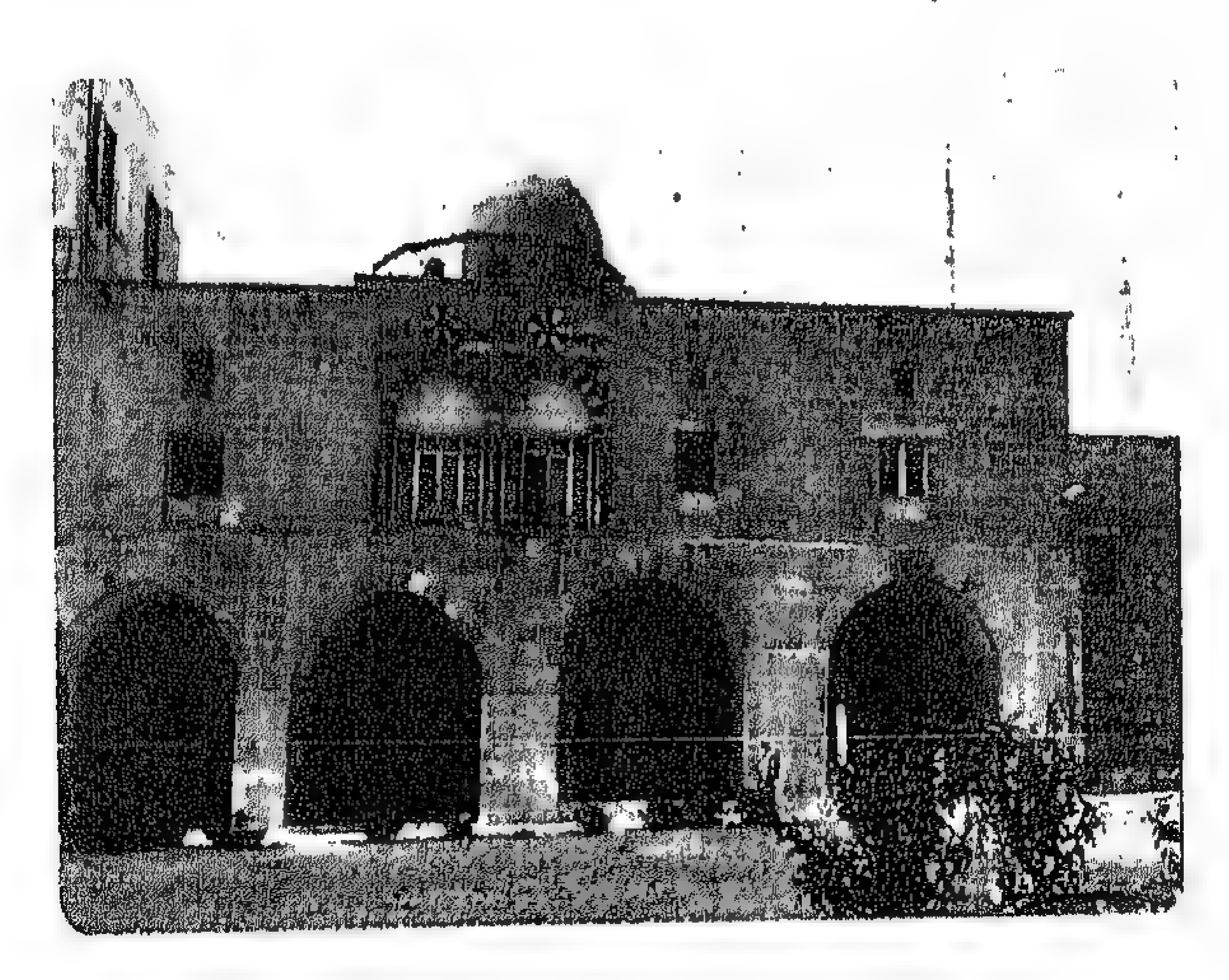
٢٥ ـ الزاوية المحمدية: بجوار المدرسة البارودية بباب الناظر. وواقفها هو محمد بك زكريا الناصري سنة ٧٥١هـ / ١٣٥٠م.

٢٦ - زاوية الطواشية: ذكر مجير الدين الحنبلي انها تقع بحارة الشريف التي تعرف قديماً بحارة الأكراد. وواقفها هو الشيخ الصالح شمس الدين محمد بن جلال الدين عرب فخر الدين احمد المجاور بالقدس سنة ٧٥٣هـ / ١٣٥٢م.

٢٧ - المدرسة الطشتمرية: بباب النار بالقرب من المدرسة الحسنية. وواقفها هو الأمير طشتمر من امراء الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون سنة ٧٥٩هـ /١٣٥٧م.

٢٨ - المدرسة المنجكية: بالقرب من مدخل الحرم الغربي المعروف بباب الناظر. وكان يشغل البناء دوائر المجلس الاسلامي الأعلى سابقاً. وواقفها هو الأمير منجك نائب الشام. وقد جاء ان الملك الناصر حسن ارسله للقدس ليبتني المدرسة له، فلما قتل السلطان سنة ٧٦٢هـ /١٣٦١م بنى الامير منجك المدرسة لنفسه فنسبت إليه ووقف عليها ورتب لها الفقهاء وارباب الوظائف.

٢٩ - المدرسة الظازية: بطريق باب السلسلة لجهة الشمال تجاه المكتبة الخالدية. ومنشئها هو الأمير سيف الدين طاز بن قطفاج سنة ٧٦٣هـ /١٣٦٢م، وكان من خواص الملك الناصر محمد ثم رقي بعد موته إلى ان صار مدير الديار المصرية. ثم جاء إلى القدس وعاش فيها وتوفي في أواخر سنة ٧٦٣هـ /١٣٦٢م..



المدرسة المنجكية

٣٠ ـ المدرسة الشيخونية: بالقرب من المدرسة الصلاحية عند سويقة باب حطة. وقد ذكر مجير الدين الحنبلي ان واقفها هو الأمير سيف الدين قطبشان الذي كان مجاوراً بالقدس، وانه جعل نظرها لنفسه ثم من بعده لولده شيخون فسميت بالشيخونية نسبة اليه وتاريخ وقفها سنة ٧٦١هـ /١٣٥٩م.

٣١ ـ دار القرآن السلامية: على الجانب الجنوبي من طريق باب السلسلة تجاه التربة الجالقية. وواقفها هو سراج الدين عمر بن أبي بكر القاسم السلامي، وتاريخ وقفها سنة ٧٦١هـ /١٣٥٩م.

٣٢ ـ المدرسة المحدثية: بالقرب من المدرسة الجاولية (كلية روضة المعارف الوطنية) إلى الغرب منها عند باب الغوانمة. وواقفها هو عز الدين أبو محمد عبد العزيز العجمي الأردبيلي سنة ٧٦٢هـ / ١٣٦٠م.

٣٣ ـ رباط المارديني: مقابل المدرسة الكاملية، وبجوار التربة الاوحدية. ويذكر مجير الدين الحنبلي ان وقفه منسوب إلى امرأتين من عتقاء الملك الصالح صاحب ماردين، وشرطه ان يكون لمن يرد من ماردين، وتاريخ وقفه سنة ٧٦٣هـ /١٣٦٢.

٣٤ ـ المدرسة الاسعردية: في الجهة الشمالية من الحرم شرق المدرسة الجاولية. وواقفها هو مجد الدين عبد الغني بن سيف الدين أبي بكر يوسف الاسعردي سنة ٧٦٠هـ /١٣٥٨.

٣٥ ـ المدرسة اللؤلؤية: بالقرب من مقام القرمي لجهة الغرب. وواقفها هو الأمير لؤلؤ غازي عتيق الملك الأشرف شعبان بن حسين سنة ٧٨١هـ / ١٣٨٠.

٣٦ ـ المدرسة البلدية: في الجهة الشمالية من باب السكينة، ويسمونه باب السلام. وهذا الباب بحذاء باب السلسلة لجهة الشمال، وواقفها هو الأمير منكلي بغا الاحمدي نائب حلب. وقد توفي فيها ودفن سنة ٧٨٢هـ / ١٣٨٠.

٣٧ ـ المدرسة الخاتونية: بالجهة الغربية من الحرم، وهي على يمين الخارج من باب القطانين. وقد دفن فيها مؤخراً الزعيم الهندي مولانا محمد علي، ودفن فيها أيضاً موسى كاظم الحسيني رئيس اللجنة التنفيذية العربية وابنه الشهيد عبد القادر الحسيني الذي استشهد في معركة القسطل في ١٩٤٨/٤/٨. وواقفتها هي أوغل خاتون بنت شمس الدين محمد بن سيف الدين القازانية البغدادية

سنة ٧٥٥هـ /١٣٥٤م. وقد أكملت عمارة المدرسة المذكورة ووقفت عليها المرحومة اصفهان شاه بنت الأمير قازان شاه سنة ٧٨٢هـ /١٣٨٠م.

٣٨ ـ التربة والمدرسة الطشتمرية: في الجهة الجنوبية من طريق باب السلسلة لجهة الغرب من المكتبة الخالدية، وتعرف اليوم بدار الإمام. وقد انشأها الأمير سيف الدين طشتمر العلائي سنة ٧٨٤هـ /١٣٨٢م. وكان من أجل الأمراء واعظمهم تنقل في عدة وظائف جليلة وولي الدوادارية الكبرى بالديار المصرية، ومات في سنة ٧٨٦هـ /١٣٨٤م في القدس ودفن في تربة بجانب مدرسته.

٣٩ ـ الزاوية الأدهمية: خارج سور المدينة، وتبعد قرابة مائة متر إلى غرب باب الساهرة في كهف واسع بأسفل جبل من الصخر. ويقول مجير الدين الحنبلي ان الكهف يعرف بمغارة الكتان، وان سطح هذا الجبل يستعمل مقبرة لدفن الأموات (وهو لا يزال كذلك في الوقت الحاضر)، وان معمّر هذه الزاوية الأمير منجك هو نائب الشام سنة ٧٦٢هـ /١٣٦١م، وانه وغيره من أهل الخير قد وقفوا عليها اوقافاً، وان فيها قبور جماعة من الصالحين.

٤٠ ـ المدرسة البارودية: بباب الناظر بالقرب من المدرسة الطشتمرية. وواقفتها هي الست الحاجة سفري خاتون بنت شرف الدين أبي بكر بن محمود المعروف بالبارودي، وتاريخ وقفها سنة ٧٦٨هـ /١٣٦٦م.

٤١ ـ مئذنة باب الأسباط: عمّرت في أيام السلطان الملك الأشرف شعبان بن الأمير حسن بن الملك الناصر محمد بن قلاوون بمباشرة من السيفي (قطلوبغا) ناظر الحرمين الشريفين سنة ٧٦٩هـ /١٣٦٧م. وجددت في أيامه أيضاً الأبواب الخشبية المركبة على أبواب المسجد الأقصى، وعمارة القناطر على السلالم الموصلة إلى صحن قبة الصخرة المقابل لباب الناظر.

٤٢ ـ الزاوية البسطامية: بحارة المشارقة التي تعرف اليوم بحارة السعدية. ويرجع بناؤها إلى حوالي سنة ٧٧٠هـ /١٣٦٨م. ويذكر مجير الدين الحنبلي ان واقفها هو الشيخ الصالح عبد الله بن خليل بن علي الأسد آبادي البسطامي، وانه كان من أولياء الله تعالى العارفين. وقد توفي بالقدس سنة

٧٩٤هـ /١٣٩٢م ودفن بحوش البسطامية بمقبرة مأمن الله عند شيخه علي الصيفي .

٤١ ـ زاوية الأزرق: بظاهر القدس من جهة القبلة شرقي زاوية البلاسي . ونسبتها إلى الشيخ ابراهيم الأزرق، وبها قبور جماعة منهم الشيخ اسحق ابن الشيخ ابراهيم، وقد كانت وفاته سنة ٧٨٠هـ /١٣٧٩م . ويذكر مجير الدين الحنبلي انها تعرف بزاوية السرائي ، وهي غير موجودة الآن .

٤٤ ـ الزاوية اللؤلؤية: بداخل سور المدينة تبعد نحو ١٥٠م إلى جنوب شرق باب العمود، وواقفها هو بدر الدين لؤلؤ غازي الذي وقف أيضاً المدرسة اللؤلؤية سنة ٧٨١هـ /١٣٨٠م .

٤٥ ـ المدرسة الحنبلية: بباب الحديد . وواقفها هو الأمير بيدمر نائب الشام . وقد كان متولياً نيابة دمشق في سلطة الاشرف شعبان بن حسين في سنة ٧٧٧هـ /١٣٧٦م . وكان بناؤها في سنة ٧٨١هـ /١٣٨٠م . .

٤٦ ـ المدرسة الجهاركسية: بجوار الزاوية اليونسية من جهة الشمال . ويقول مجير الدين الحنبلي ان اصلها، والزاوية اليونسية، كنيسة من بناء الروم قسمت نصفين: الأول للمدرسة الجهاركسية والثاني للزاوية اليونسية . وواقفها هو الأمير جهاركس الخليلي أمير آخور الملك الظاهر برقوق، وقد توفي قتيلاً بدمشق سنة ٧٩١هـ /١٣٨٨م . .

جـ ـ آثار دولة المماليك البرجية (٧٨٤ ـ ٩٢٢هـ // ١٣٨٢ ـ ١٥١٦م):

١ ـ خان السلطان (الوكالة): في أول طريق باب السلسلة في الجهة الشمالية: وقد بناه الملك الظاهر أبو سعيد برقوق سنة ٧٨٩هـ /١٣٨٦م . وفي ايامه عمّرت دكة المؤذنين بداخل قبة الصخرة تجاه المحراب . وفي سنة ٨٠١هـ /١٣٩٩م عمّر أيضاً البركة التي بظاهر المدينة القديمة من جهة الغرب، وهي المعروفة اليوم ببركة السلطان .

٢ ـ الزاوية القرمية: يوصل إليها عن طريق السرايا القديمة لجهة الجنوب . ومنشئها هو الشيخ العالم التركستاني الأصل شمس الدين أبو عبد الله بن أحمد القرمي .

وقد ذكر مجير الدين الحنبلي انه كان مشهورا بالتقى والورع حتى ان الملوك كانت تأتي إلى بابه للتبرك منه. وقد توفي بالقدس سنة ٧٨٨هـ /١٣٨٦م ودفن بزاويته المذكورة.

٣ - منبر برهان الدين: مبني بألواح من الرخام الأبيض على رأس السلم المقابل للباب الجنوبي لقبة الصخرة. وقد عمّره قاضي القضاة برهان الدين بن جماعة. وإلى جانبه إلى الغرب منه محراب. ويصلي في هذا المكان العيد والاستسقاء. وتوفي القاضي المذكور سنة ٧٩٠هـ /١٣٨٨م.

٤ - تربة الست طنسق المظفرية: في الجهة الشمالية بعقبة التكية تجاه الدار الكبرى المعروفة اليوم بدار الأيتام الاسلامية. وقد انشأتها الست طنسق بنت عبد الله المظفرية في نهاية القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي. وقد ذكر مجير الدين إنها كانت معاصرة للشيخ ابراهيم القلندري الذي كان يسكن بالزاوية القلندرية المنسوبة اليه، وانها كانت تحسن اليه. وقد عمّرت سنة ٧٨١هـ /١٣٧٩م الدار الكبرى المذكورة اعلاه سكناً لها، وبنت قبة على قبر اخيها بهادر في الزاوية القلندرية بتربة مأمن الله. وكان انشاء هذه المباني خلال سنة ٨٧٩هـ /١٣٨٧م، وقد توفيت طنسق بالقدس ودفنت بالتربة التي انشأتها.



المدرسة الجاولية

٥ - الـزاويـة الـوفـائيـة : انشئت في بدايـة القـرن التـاسع الهجري / الخامس عشر الميـلادي بـبـاب النـاظـر تجاه المدرسة المنجكية (مقر المجلس الإسلامي الأعلى سابقـاً) . وقـد ذكـر مجير الـدين ان هناك داراً تعلوها تعرف بدار الشيخ شهاب الدين ابن الهائم المتوفي في القدس سنة ٨١٥هـ /١٤١٢م . ثم عرفت ببني أبي الوفا لسكناهم فيها، وكانت تعرف قديماً بدار معاوية .

٦ - زاويـة الشيـخ يعقـوب العجمي : بالقرب من القلعة . وأصلها كنيسة القديس جيمس الصليبيـة حولت إلى زاويـة في القـرن التـاسع الهجري / الخامس عشر الميـلادي . وقـال مجير الدين إنها اشتهرت وقتئذ بزاوية الشيخ شمس الدين ابن الشيـخ عبـد الله البغدادي احد العدول بالقدس، وكان سكنه فيها . وليس لها وجود في وقتنا الحاضر .

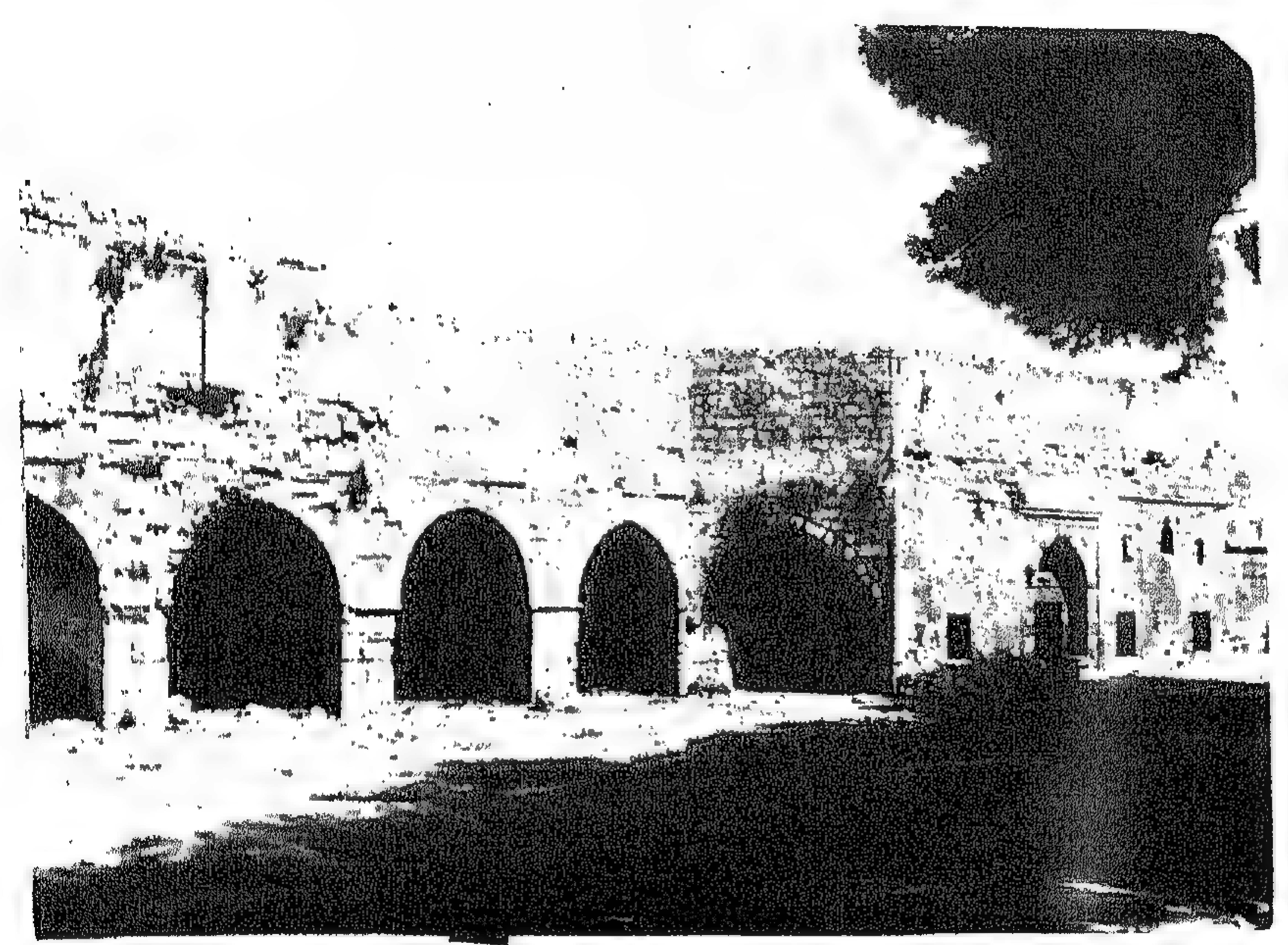
٧ - المـدرسـة الصليبية : في الجهة الشمالية من ساحة الحرم غرب المدرسة الاسعردية المتخذة اليوم مكاناً لمحكمة الاستئناف الشرعية . وواقفها هو الأمير علاء الدين علي بن نـاصـر الـدين محمد نائب القلعة الصليبية (قرب بانياس الجولان) . وقد ولي نيابة القدس وعمّر فيها المدرسة وتوفي في الشام سنة ٨٠٩هـ /١٤٠٦م ثم نقل إلى القدس ودفن بمدرسته المذكورة .

٨ - المدرسة الكاملية : بخط باب حطة لجهة الغرب بجوار التربة الأوحدية من جهة الشمال . وواقفها هو الحاج كامل من أهل طرابلس، ومحضر وقفها مؤرخ في ٨١٦هـ /١٤١٣م .

٩ - المدرسة الباسطية : تقع شمالي الحرم بالقرب من باب شرف الأنبياء (باب الملك فيصل) . ويلاصق بعضها المدرسة الدوادارية التي تشغلها اليوم مدرسة الاناث الاسـلاميـة لجهة الشمال الشرقي . وواقفها هو القاضي زين الدين عبد الباسط بن خليل الدمشقي ناظر الجيوش المنصورة وعزيز المملكة . وكان أول من اختط اسـاسهـا وقصد عمارتها شيخ الاسلام شمس الدين محمد الهروي شيخ المدرسة الصلاحية وناظر الحرمين، إلا ان المنية ادركته قبل اتمام عمارتها فعمّرها القاضي زين الدين عبد الباسط المذكور ووقفها على الصوفية سنة ٨٣٤هـ /١٤٣١م . وهي ما تزال عامرة .

١٠ ـ المدرسة الطولونية : بداخل ساحة المسجد الأقصى عند الرواق الشمالي يصعد إليها من السلم الموصل إلى منارة باب الأسباط ، وهي التي انشأها شهاب الدين احمد ابن الناصري محمد الطولوني الظاهري في زمن الملك الظاهر برقوق على يد مملوكه اقبغا قبل ٨٠٠هـ / ١٤٠٠م.

١١ ـ المدرسة الغادرية : في الجهة الشمالية من ساحة الحرم بين باب شرف الأنبياء ومئذنة باب الأسباط. وواقفها هو الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر بعد ان عمرتها زوجته مصر خاتون سنة ٨٣٦هـ /١٤٣٢م، وهي اليوم خراب.



المدرسة الغادرية

١٢ ـ المدرسة الحسنية : بطريق باب الناظر غربي المدرسة المنجكية (مقر المجلس الاسلامي الأعلى سابقاً). وواقفها هو الأمير حسن الكشكلي ناظر الحرمين الشريفين ونائب السلطنة بالقدس. وكان بناؤ ها في سنة ٨٣٧هـ /١٤٣٣م. وقد وقف عليها اوقافاً ورتب فيها وظائف من التصوف وغيره. وتوفي الأمير حسن بالقدس بعد انفصاله عن النيابة سنة ٨٤٢هـ /١٤٣٩م. ودفن بمقبرة ماملا عند الشيخ أبي عبد الله القرشي. وذكر مجير الدين ان مقابل هذه المدرسة تربة بها ضريح يقال انه قبر السيدة فاطمة بنت معاوية.

١٣ ـ المدرسة العثمانية: وتعرف اليوم بدار الفتياني: وهي واقعة على يسار الخارج من الحرم من باب المتوضأ المعروف بباب المطهرة. وواقفتها هي اصفهان شاه خاتون. وقد عينت لها اوقافاً كثيرة ببلاد الروم وغيرها. وعلى مدخل المدرسة كتابة تفيد ان بناء المدرسة كان سنة ٨٤٠هـ /١٤٣٧م. وقد توفيت الخاتون بالقدس ودفنت بمقبرة باب الرحمة.

١٤ ـ المدرسة الجوهرية: بطريق باب الحديد في الجهة الشمالية تجاه المدرسة الأرغونية المدفون فيها الملك حسين بن علي، وتعرف اليوم بدار الخطيب. وواقفها هو جوهر الصفوي القنقباي سنة ٨٤٤هـ /١٤٤٠م.

١٥ ـ الرباط الزمني: يقع على يمين الخارج من الحرم من باب المطهرة قبالة المدرسة العثمانية (سكن آل الفتياني). وقد وقفه الخواجا شمس الدين محمد بن الزمن أحد خواص الملك الأشرف قايتباي، وكان بناؤه في سنة ٨٨١هـ /١٤٧٦م، وكانت وفاة واقفه سنة ٨٩٧هـ /١٤٩٢م.

١٦ ـ المدرسة المزهرية: بباب الحديد، وواقفها هو الزيني ابوبكر بن مزهر الأنصاري الشافعي صاحب ديوان الانشاء بالديار المصرية، وبعضها راكب على ظهر المدرسة الأرغونية، ولها مجمع على أروقة المسجد. وكان الفراغ من بنائها سنة ٨٨٥هـ /١٤٨٠م.

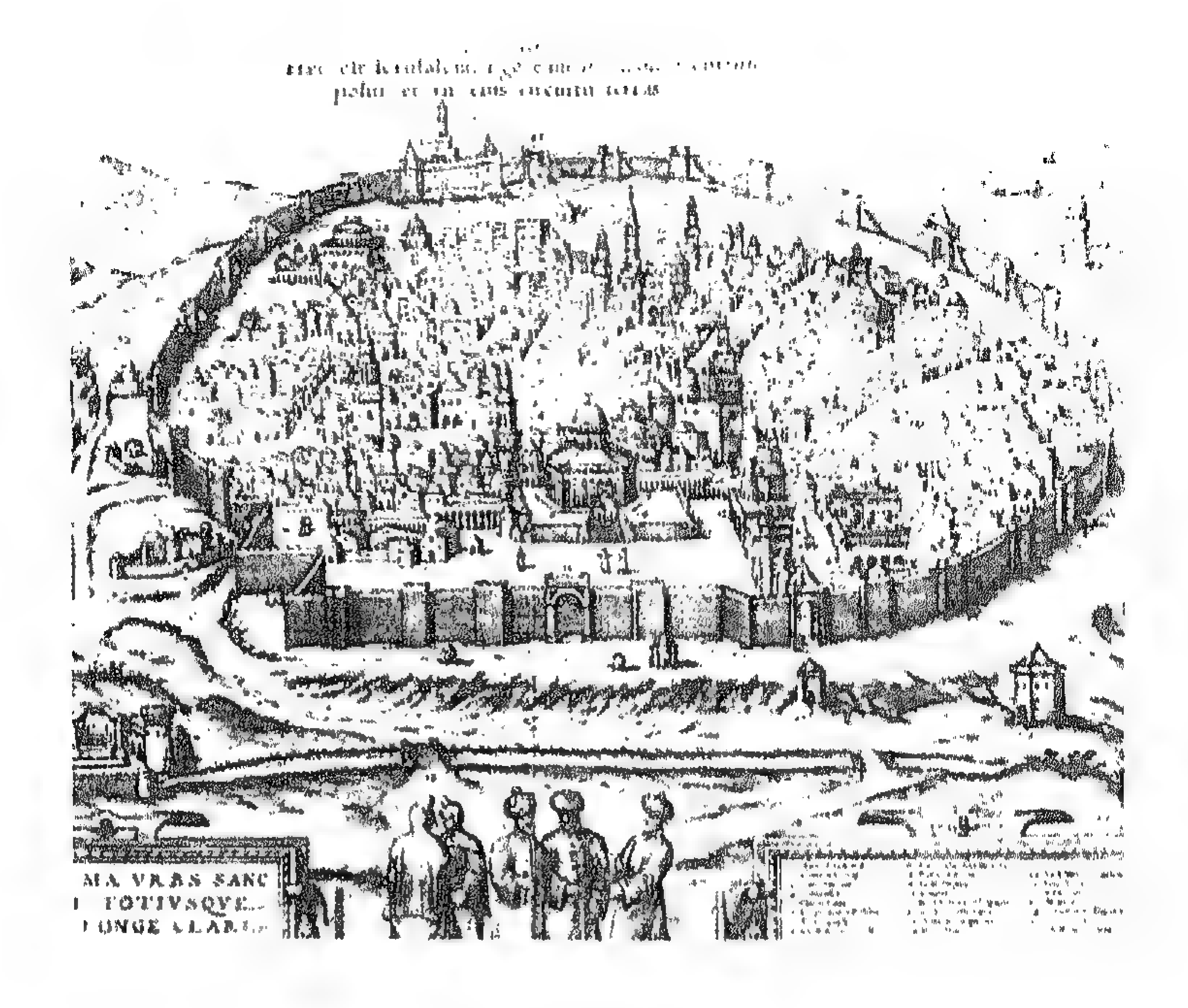
١٧ ـ المدرسة الأشرفية: وهي على ميسرة الداخل إلى الحرم عند باب السلسلة. وتقف على سطحها مئذنة باب السلسلة. ومدخل المدرسة غاية في الحسن وامامه رواق معقود مبني بالحجارة المحكمة والمزينة بالنقوش الجميلة الدقيقة الصنع، وعلى جانبي المدخل كتابة بالخط النسخي تفيد ان الملك الأشرف سيف الدين أبا النصر قايتباي بني المدرسة سنة ٨٨٥هـ /١٤٨٠م. وله أيضاً السبيل المعروف بسبيل قايتباي، وهو قبالة المدرسة لجهة الشرق، بناه سنة ٨٨٧هـ /١٤٨٢م. ومن آثاره ايضاً المرقى الموصل إلى صحن قبة الصخرة في الجهة الجنوبية الغربية بالقرب من المدرسة النحوية. وفي سنة ٨٨٧هـ /١٤٨٢م بنى مئذنة جامع العمرية المعروف اليوم بجامع عمر بجوار كنيسة القيامة. وفي أيامه ايضاً تم تعمير قناة الماء الجارية من العروب إلى القدس.

١٨ - دار الخطابة: واقعة بظاهر سور المدينة المحيط بالمسجد الأقصى من جهة الجنوب بجوار الزاوية الخشنية من جهة الغرب. ويرجع بناؤ ها إلى نهاية القرن التاسع الهجري/الخامس عـ ر الميلادي.

جدير بالذكر ان وجود هذا العدد الكبير من المدارس والزوايا والتكايا والرباطات والخوانق التي يرجع تاريخ انشائها إلى القرن السابع والثامن والتاسع للهجرة، يدل دلالة واضحة ملموسة لمى ان مدينة القدس كانت في تلك الأزمنة وما سبقها مركزاً كبيراً للثقافة الاسلامية، فضلاً عن مكانتها الروحية الممتازة. فالمسلمون كانوا يفدون إليها من جميع الأقطار الاسلامية قصد زيارة اماكنها المقدسة والتبرك منها، وكانوا في الوقت نفسه يأتون إليها بدافع نيل العلم والمعرفة. وقد اهتم مؤسس هذه المبانيّ بوقف الأراضي والعقارات لينفق ريعها على هذه الدور والمعاهد والمؤسسات، بما يضمن استمرار بقائها، ويسهل للطلبة والمتفرغين للعلم والعبادة والزهاد الوافدين من البلاد الشاسعة، اقامتهم واسباب معيشتهم في المدينة المقدسة. وقد ذكر مجير الدين الحنبلي في كتابه «الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل» عدداً من كبار العلماء والأعلام الذين كانوا يقومون بتدريس علوم الدين والفقه وآداب اللغة العربية في هذه المدارس والمعاهد بالإضافة إلى التدريس الذي كان يقوم به علماء أجلاء في رحاب المسجد الأقصى منذ تأسيسه.

د - آثار العهد العثماني (٩٢٣ - ١٣٣٦هـ/ ١٥١٧ - ١٩١٧م):

إن أبرز وأهم مخلفات العهد العثماني، السور المحيط بمدينة القدس القديمة الذي قام السلطان سليمان ابن السلطان سليم باعادة بنائه. وهو يجري في معظم مختطه، ولاسيما في المواقع الهامة في الشمال والجنوب، على خط سور مدينة ايليا كبيتولينا (مدينة القدس) التي اعاد بناءها الامبراطور الروماني هدريان سنة ١٣٥م بعد خرابها الثاني واطلق عليها هذا الاسم. وللسلطان سليمان أيضاً برج لقلق الواقع على زاوية السور الشمالية الشرقية قبالة متحف الآثار الفلسطيني، وبرج الكبريت القريب من باب المغاربة، والأبراج الأخرى البارزة من السور والموزعة على مسافات اقتضاها محيط الأرض، وابواب المدينة الحالية المفتوحة في السور وهي باب العمود (باب



القدس عام ١٥٨٠م.

دمشق)، وبـاب السـاهـرة، وبـاب ستي مريم، وباب الخليل، (باب يافا)، وباب النبي داود، وباب المغاربة.

وفي زمنه بنيت عدة سبـل في الطـرق الـرئيسـة المؤديـة إلى المسجد الأقصى بالقـرب من مداخله. فهنـاك سبيـل بطـريق الـواد قرب سوق القطـانين، وهو أحد الطـرق الـرئيسـة المـوصلة إلى ساحة الحرم، وسبيل آخر عند باب السلسلة المدخل الـرئيس لسـاحـة الحـرم، وسبيـل بالقـرب من باب الناظر المؤدي أيضاً إلى الحرم، وسبيل قرب مدخل المدينة الشرقي ويعرف بسبيل باب ستي مريم القريب من مدخل الحرم المعـروف ببـاب الاسبـاط، وهـو واقع عند الزاوية الشمالية الشرقية من ساحة الحـرم، وسبيـل بالقـرب من مدخـل الحرم المعروف بباب شرف الأنبياء (باب الملك فيصـل)، وسبيـل بركـة السلطـان في جانبهـا الجنـوبي، وتقع البركة خارج القدس القديمة على بعد قرابة ١٥٠ م إلى جنوب باب الخليل.

وفي عهده إستبدل بالزخرفة الفسيفسائية التي كانت تكسو ظاهر جدران قبة الصخرة العليا ورقبتها القيشاني الموجود عليها اليوم. وقد اقتضى هذا العمل ما حل من التلف والخراب بالكسوة الفسيفسائية بفعل العوامل الطبيعية، واصبح استبدال القيشاني بها أمراً ضرورياً لوقاية البناء من نفاذ الرطوبة إلى جدرانه.

ومن آثار العهد العثماني أيضاً:

١ ـ المسجد القيمري: يقع إلى غرب الباب الجديد على مقربة منه. ويرجع تاريخ بنائه إلى القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي.

٢ ـ قبة الأرواح: على سطح صحن قبة الصخرة إلى الشمال منها وهي من القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي.

٣ ـ قبة الخضر: بالقرب من المرقى المؤدي إلى صحن قبة الصخرة عند زاويته الشمالية الغربية. وهي من القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي.

٤ ـ حمام السلطان: يقوم على زاوية طريق باب الأسباط عند التقائها بطريق الواد. وهي من القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي.

٥ ـ قبر النبي داود: يبعد نحو ١٥٠م جنوب باب النبي داود، ويرجع بناؤه إلى سنة ٩٣٠هـ / ١٥٢٤م.

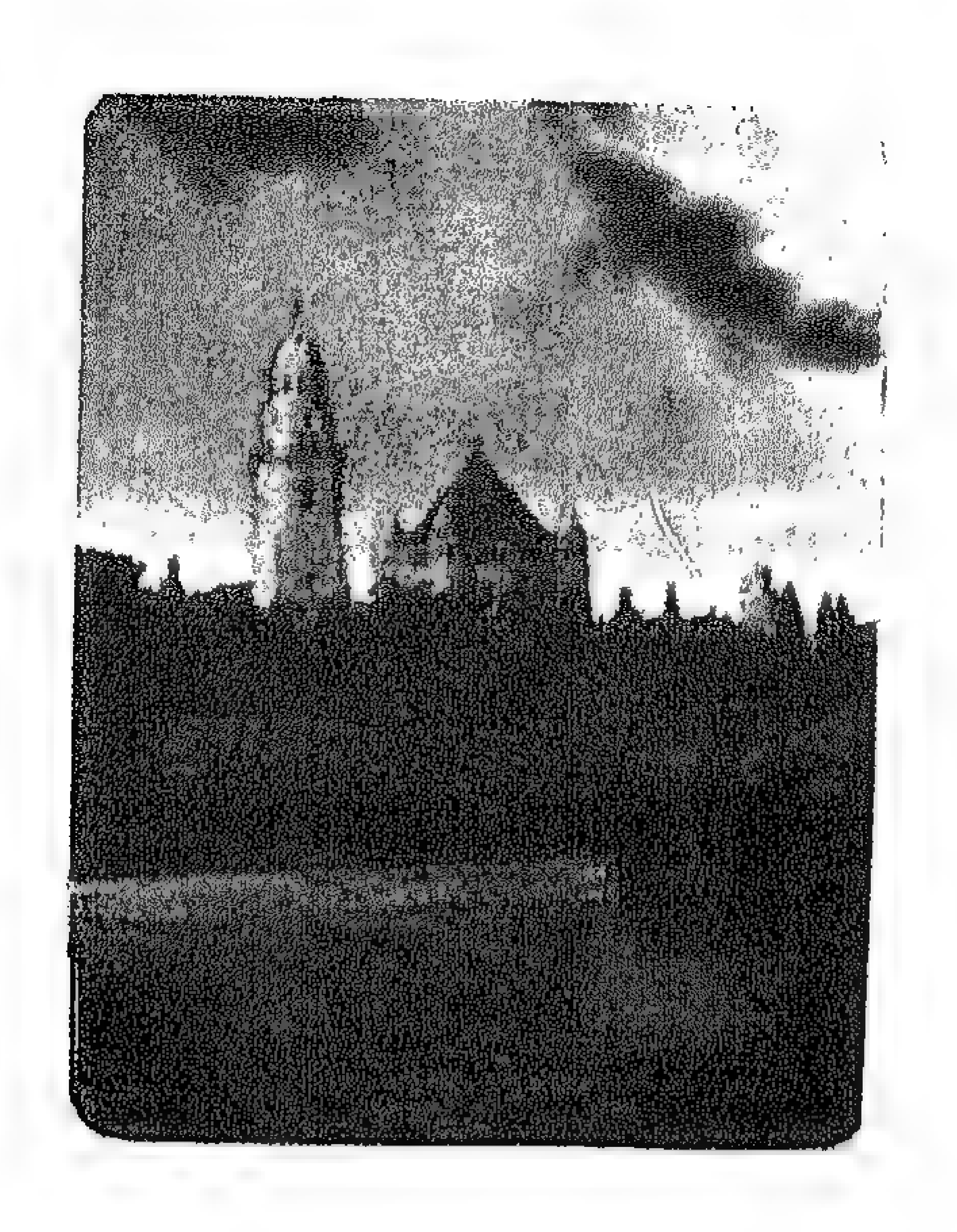
٦ ـ مئذنة القلعة: عند باب الخليل في جانب القلعة الجنوبي الغربي. ويرجع بناؤها إلى عام ٩٣٨هـ / ١٥٣١م.

٧ ـ محراب قبة النبي: بين بناء قبة الصخرة وقبة المعراج انشأها محمد بك احد ولاة القدس سنة ٩٤٥هـ /١٥٣٨م.

٨ ـ رباط بيرم: على جنوب طريق عقبة التكية عند التقائه بطريق الواد. وقد بناه بيرم شاويش بن مصطفى سنة ٩٤٧هـ / ١٥٤٠م..

٩ ـ المدرسة الرصاصية: شمال طريق عقبة التكية عند التقائه بطريق الواد. وبانيها هو أيضاً بيرم شاويش بن مصطفى سنة ٩٤٧هـ / ١٥٤٠م.

١٠ ـ تكية خاصكي سلطان: على جنوب عقبة التكية وشرق الدار الكبرى التي انشأتها الست طنسق المظفرية سكناً لها، وتعرف اليوم بدار الأيتام الاسلامية. وقد أنشأتها خاصكي سلطان زوجة السلطان سليمان وأوقفت عليها املاكاً. وما زالت إلى اليوم تقدم الطعام مجاناً إلى المحتاجين.



مئذنة على جبل المكبر .

١١ ـ حجرة محمد آغا : عند المرقى الشمالي الغربي المؤدي إلى صحن قبة الصخرة. وقد انشأها محمد آغا سنة ٩٩٦هـ /١٥٨٨م .


١٢ ـ جامع المولوية : بداخل سور المدينة على بعد قرابة ١٥٠م إلى جنوب غرب باب العمود. وقد بني سنة ٩٩٥هـ /١٥٨٦م .

١٣ ـ الزاوية الأفغانية (النقشبندية) : تبعد نحو ١٠٠م إلى غرب باب الغوانمة . وقد أقيمت سنة ١٠٤٠هـ / ١٦٣٠م. وكان احد اجنحتها يضم المحكمة الشرعية ومكاتبها في القدس خلال فترة الانتداب البريطاني .

١٤ ـ محراب علي باشا : بداخل ساحة الحرم بالقرب من باب القطانين. وقد انشىء سنة ١٠٤٧هـ /١٦٣٧م .

١٥ ـ قبة يوسف : على سطح صحن قبة الصخرة إلى غرب منبر برهان الدين . وقد انشأها علي آغا سنة ١٠٩٢هـ / ١٦٨١م .

١٦ ـ قبة يوسف آغا : بداخل ساحة الحرم بين المسجد الأقصى والمتحف الاسلامي . وقد انشأها علي آغا سنة ١٠٩٢هـ / ١٦٨١م .



الفصل الخامس

الانقلاب السكاني للمدينة المقدسة

آ ـ من هم اليهود انثروبولوجيا :

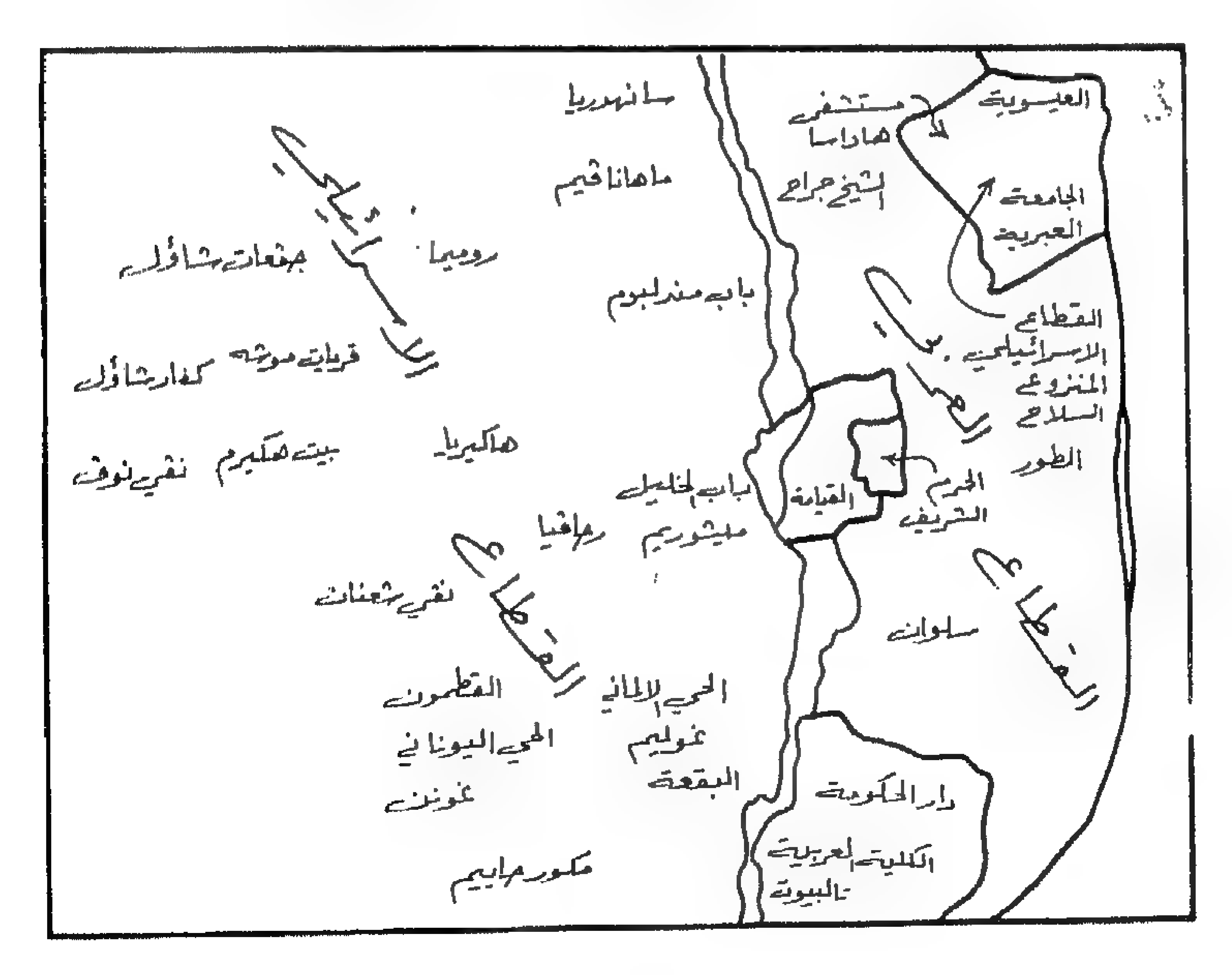
يعد تتبع تطور سكان القدس عددياً وانثروبولوجيا من الادلة الرئيسة التي تؤكد شخصية القدس ببعديها العربي والاسلامي، وترفض الادعاءات الصهيونية الهادفة لتهويد القدس وتصفيتها حضارياً. وسيكشف نسق تطور سكان المدينة عددياً وانثروبولوجيا أهمية العامل الديموغرافي والانثروبولوجي في الصراع العربي الصهيوني، وفي المخططات الصهيونية الهادفة لتحويل السكان العرب في المدينة المقدسة إلى أقلية من خضم الجيتو الصهيوني في المدى القصير، ثم طرد السكان العرب واخلائهم من المدينة واحلال الصهاينة محلهم في المستقبل.

وبالرغم من ان العامل الديموغرافي قد بدأ التخطيط له منذ بداية القرن التاسع عشر، إلا انه اخذ نموذجاً مميزاً للمدينة المقدسة بالمقارنة مع بقية فلسطين. وقد بدأ الصراع الديموغرافي بين العرب واليهود ـ سواء في فلسطين أو في القدس ـ يحتدم منذ بداية الانتداب البريطاني.. إلا انه وصل ذروته في فترتين: الفترة الأولى كانت في الأربعينات من هذا القرن، والتي شهدت انشاء الكيان الصهيوني على أرض فلسطين عام ١٩٤٨ وتجزئة مدينة القدس إلى قطاعين عربي ويهودي (شكل ١٠). أما الفترة الثانية فقد جاءت مع نهاية الستينات، أي عقب حرب ١٩٦٧م مباشرة، وتمخض عنها ضم القطاع العربي من المدينة الى القطاع اليهودي تمهيداً لتصفيتها حضارياً وديموغرافياً ولتهويدها في فترة قصيرة.

وقبل الخوض في دراسة الانتداب السكاني للمدينة المقدسة فإنني أود ان أؤكد بان الهدف هنا هو تتبع تطور عدد السكان العرب في مدينة القدس، والتعرف إلى

وزن اليهود العددي في ذلك التطور ومن منظور تاريخي، وتحديد الفترات التي حدث فيها الانقلاب الديموغرافي الانثروبولوجي في المدينة والذي هدف إلى تصفية العنصر العربي (سكان المدينة الاصليين) من المدينة لتحويلها إلى مدينة يهودية . . وأين يمكن تصنيف اليهود في القدس وفلسطين؟ . . هل هم من بقايا الشتات الأخير؟ أم من صهاينة اوروبا وامريكا الذين لا يربطهم بيهود الشتات أية رابطة انثروبولوجية سوى اليهودية السياسية او الجيوبولوتيكية . . . ومن هنا فإن دراستنا لسكان المدينة ستكون أبعد ما يمكن عن الديموغرافية التقليدية المعروفة، وأقرب إلى الديموغرافيا والانثروبولوجيا الجيوبولوتيكية، وهو نفس السلاح الذي يجب ان نجابه فيه الصهيونية، ولكن بأسلوب علمي وموضوعي يكشف التزييف الصهيوني الذي قام على اخضاع الدراسات الأنثروبولوجية لتحقيق الأهداف السياسية وهي تكوين دولة صهيونية على أرض فلسطين.

وينبغي أن ننبه القارىء إلى أربع حقائق أساسية سيكون لها مغزى هام في تأكيد هوية القدس العربية - الاسلامية، وتأكيد الصفة الانثروبولوجية



شكل ١٠ - تقسيم القدس عام ١٩٤٨ . «عن الدباغ، ١٩٧٦»

والديموغرافية ليهود القدس وفلسطين، وهي بلا شك صفات خلاسية ودخيلة على البيئة الفلسطينية والعربية، ولا يربطها بها أي رابطة تاريخية أو انثروبولوجية كما تدّعي الصهيونية . وهذه الحقائق هي :

أولا : ان الدولة اليهودية التي قامت في فلسطن في التاريخ القزمي الغابر لها، تتفق مكانياً إلى حد أو آخر لا مع رقعة اسرائيل الحالية، وانما مع جبال نابلس والقدس، ولم يكن لليهود اثناء قيام دولتهم مواطىء قدم واحد في أقاليم فلسطين الأخرى كالسهل الساحلي والجليل، والنقب . وسيكون لهذه الحقيقة دورها في تفسير تركز اليهود لاحقاً (اثناء مرحلة التغلغل) في صفد (الجليل) وغزة لتأكيد ارتباطهم التاريخي في الجليل والساحل الفلسطيني . وفي الوقت الذي وضع فيه كمال عبد الفتاح وهيتروت Hutteroth علامة استفهام عن وجود اليهود في القدس في القرن السادس عشر حينما كان اليهود متواجدين كأقلية لا تذكر في صفد وغزة[1].

ثانياً : تمخض عن الشتات اليهودي الأخير على أيدي الرومان عام ١٣٥م، تصفية بقايا اليهود في فلسطين بالإبادة والهجرة، ويعلق هنتجتون (وهو جغرافي يهودي متعصب) فيقول : استناداً إلى الأدلة التاريخية واشارات التوراة فإن تعداد اليهود قبل الشتات الأخير لم يتجاوز ثلاثة أرباع المليون كحد أعلى . وإذا اخذنا بعين الاعتبار بان عدد اليهود في الشتات الأخير لا يقل عن ٦٠٠ ألف، فإن هذا يعد انقراض جنسي حقيقي لم يكد يترك منهم شيئاً . وهذا الذي تبقى تكفلت الهجرة القهرية بتصفيته . فقد حرم الرومان على اليهود دخول القدس نهائياً، وطردوهم من فلسطين إلى كل اجزاء الامبراطورية وكان هذا هو التاريخ الذي انتهت فيه وإلى الأبد علاقة اليهود بفلسطين سياسياً وسكانياً وانثروبولوجيا . . . انه الخروج الأخير . . . ولا يزيد عدد يهود الخروج الاخير عن ٤٠ ألف نسمة فقط[2]. تحول

---

١ - Hutteroth and K. Abdulfattah, 1977, Op. Cit., p. 52-53

٢ - جمال حمدان، ١٩٦٧، اليهود انثروبولوجيا، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ص ٢٠ - ٢١.

Huntington, E., 1911, Palestine and its Transformation Boston.

-, 1926, The Pulse of Progress, New York.

-, 1945, Mainsprigns of Civilization, New York.

بعض افـرادهـا إلى المسيحية. ولعل أهم بقايا اليهود «السامريون» الذين تحولوا إلى قوقعـة مغلقـة في نابلس القـديمـة، حتى أنهـا لا تزيـد عن مئتـين أو ثلاثـمائة. ومع منتصف القرن التاسع عشر لم يكن عدد اليهود في فلسطين كلها يزيد عن ١٠ آلاف نسمة[١].

ثالثـاً: يعـد اليهـود من طفيليات المـدن، لأنهم لا يرغبـوا إلا في سكنى المـدن، وبالتحديد المدن الكبرى، أو العواصم. وعندما نتحدث عن التوزع المكاني لليهود في العالم فإننا نتحدث عن يهود العاصمة، ومدينة أو اثنتين إلى جوارها. وهذه حقيقة طاغيـة وابـديـة طوال تاريخ اليهـود قديـماً أو حديثـاً، والأمثلة تغني عن الحصـر، واوضحهـا في الـذهن المثال الأمريكي[٢]، وسيكون لهذه الحقيقة مغزى عند الحديث عن الـتركـز الصهيوني في القدس. . عاصمة فلسطين. . وتكوين الجيتو اليهودي في المدينة منذ منتصف القرن الماضي كخطوة ضرورية وأساسية لتصفية المدينة المقدسة حضارياً، وهو ما يمارسه الصهاينة في الوقت الحاضر.

رابعاً: ينبغي أن ننبه القارىء إلى وجود علاقة حتمية بين الدراسات الانثروبولوجية والجيوبـولـوتيكـا، وتمثـل ذلـك في تأكيد الصهيونية السياسية على تسخير البحوث الانثـروبـولـوجية وتنسيق نتائجها مسبقاً لتخدم ادعاءاتهم الاستعمارية في فلسطين، وبتعبير ادق البحث عن مبرر من الجنس/العقيدة للعودة إلى «أرض الميعاد» يشرع اغتصـابهم لفلسطـين العـربيـة. ولـذلك ركزوا بؤرتهم على ابراز «النقاوة الجنسية» ليهـود. إذ بعـد خروج بني اسرائيل من فلسطين إلى الشتاء ألحّ الصهاينة على انهم ظلوا نقـاة بمنأى عن الاختـلاط الـدمـوي مع الشعوب التي انتشروا بينها، وان يهود اليـوم اينـما كانـوا هم بذلـك النسل المباشر لبني اسرائيل التوراة. ومن ثم فهم في آن واحـد مجمـوعـة جنسية واحدة، وقومية تاريخية واحدة، مثلما هم طائفة دينية واحدة. ومن ذلـك جميعـاً يخلصـون إلى تدعيم اسطـورة «الشعب المختار». وانما كذلك وفي الدرجة الأولى إلى تدعيم حق العودة المزعوم واغتصاب فلسطين. وفي هذا الصدد لو اختـارت الصهيـونيـة العـالمية بلداً آخر لتكوين دولة اليهود. (اوغندا أو الارجنتين

---

١ ـ أمين عبد الله محمود، ١٩٧٨، مرجع سابق، ص ٢٣.

٢ ـ جمال حمدان، ١٩٦٧، مرجع سابق، ص ٤٥.

مثلاً) لأعد الصهاينة سلفاً دراسات انثروبولوجية تبر ر اوغندا أو الارجنتين كأرض للميعاد، وإنه توجد علاقة جيوبولوتيكية / انثروبولوجية بين اليهود، يهود الشتات الأخير وأوغندا أو الارجنتين.

ولسنا هنا في مجال لاستعراض المدارس الانثروبولوجية التي أعطت رأيها في اليهود عرقياً، وانما للتأكيد على ان اليهود في الشتات العالمي يشكلون موزاييكا عرقيا يكاد يغطي كل ما نعرفه بين البشر من اختلافات في الصفات الجنسية، فثمة اليهود الفلاشة، واليهود الملونين في الهند، واليهود الصفر أحياناً في التركستان، وأخيرا اليهود الشقر في أوروبا. وكما لاحظ دالبي (Dalby) في أواخر القرن الماضي هناك كل الأنواع والألوان بين اليهود - البيض والصفر والسود -. وبالتالي فإن الحديث عن وحدة جنسية بين اليهود ككل لا محل له من حقيقة أو علم على الإطلاق. وان اليهود لا يعرفون الوحدة الجنسية أكثر مما يعرفون الوحدة الجغرافية. ولذلك فإن النقاوة الجنسية المزعومة لهم انما هي محض خرافة كما يعبر ربلي (Ripley) . ويحسم دالبي القضية فيقول ليس هناك «جنس يهودي على الإطلاق». ويعلق مؤلفوا كتاب (نحن الاوروربيين) وهم جوليان هكسلي، وهادون وكارسوندرز ان اليهود لا يمكن أن يصنفوا لا كأمة ولا حتى كوحدة اثنولوجية.

فالتزاوج والتحول إذن حقائق لا شك فيها، ويجمع عليها جمهرة الانثروبولوجيين، حيث يؤكد مؤلفوا كتاب «نحن الاوروبيين» على نقطة جوهرية وهي ان نمو اعداد اليهود بعد الشتات الأخير كان بمعدلات غير معقولة، وهي ترجع في الجزء الأعظم منها إلى التحولات الضخمة إلى اليهودية وانتشارها، أي التحول الديني من الوثنية أو المسيحية، والتزاوج والامتزاج الدموي. ويحفل التاريخ

بالأمثلة على التحولات بالجملة مثال ذلك حالات يهود الخزر، والفلاشة، واليهود السود من التأميل واليهود القرائين في طوروس.

وبعد، يلخص الجغرافي اليهودي هنتجنتون ميكانيكية العملية الآنفة الذكر عبر التاريخ بحثاً عن الأدلة والشواهد اليقينية على اختلاط وذوبان اليهود فيقول، نلمح ظاهرتين اساسيتين في هذا المجال: اعداداً ضخمة من غير اليهود تدخل

اليهودية، وفي نفس الوقت اعداداً من اليهود لا تقل ضخامة تخرج من اليهودية. وفي النتيجة فإن جسم الطائفة لم يكن ثابتاً جنسياً بل ديناميكي وفي تغير داخلي مستمر. انه خلاسي بعيد عن الأصول الأولى. وفي النتيجة فان جسم اليهود في آخر المطاف شيء مختلف انثروبولوجيا عن يهود التوراة ولا علاقة له بهم. ويتأكد لك كله إذا تذكرنا بأن تعداد اليهود عندما بدأوا في الشتات كان رقماً هزيلاً جداً ولكنهم سرعان ما بلغوا الملايين رغم كل المذابح والاضطهادات وبخاصة في اوروبا. ويختتم لومبروزو Lombroso تلك المناقشات التحليلية ليقول بان اليهود جنسياً آريون وليسوا ساميون وبتعبير آخر إنهم اوروبيون تهودوا اكثر منهم يهوداً تأوربوا، وصفوة القول أن يهود الشتات (الذين لم يتجاوزوا الأربعين ألفاً) مع كل من بقوا في العزلة والاضطهاد قد ابوا وانصهروا وضاعوا في محيط البشرية العالمي. وان يهود العالم اليوم في سوادهم الأعظم هم أجانب متحولون أكثر منهم يهوداً متجولين، وهم ليسوا من بني اسرائيل، وإن هؤلاء شيء وأولئك شيء آخر انثروبولوجيا، ولا توجد رابطة بين الطرفين إلا الدين فقط[١].

ب ـ تطور الحجم السكاني للمدينة واختلال التركيب السكاني:

لعل اول ما يلفت النظر من خلال تتبع تطور عدد سكان المدينة المقدسة، هو عدم وجود حتى أقلية يهودية في المدينة طوال تاريخها (بعد الشتات الأخير) وحتى القرن التاسع عشر ـ ميلاد الحركة الصهيونية، ويبين الجدول (٧) تطور عدد السكان اليهود في القدس منذ القرن الحادي عشر وحتى نهاية القرن السابع عشر، كما يبين الجدول (٨) تطور عدد سكان مدينة القدس في القرن السادس عشر. ففي القرن الحادي عشر الميلادي، لم يكن في القدس سوى يهودي واحد، بينما بلغ عددهم عام ١٦٨٨م ١٥٠ نسمة فقط. وفي نهاية القرن السادس عشر بلغ عدد سكان المدينة ٨٤٣١ نسمة، في الوقت الذي لم يزد فيه عدد السكان اليهود عن ١١٥ نسمة. وقد بلغ عدد سكان لواء القدس في نفس الفترة ٤٢١٥٥ نسمة، وعدد قرى اللواء ١٦٨

١ ـ اعتمد الباحث في هذا الموضوع على: جمال حمدان، ١٩٦٧، مرجع سابق، ص ٥١ ـ ٩٠.

قريـة . وهي نفس القـرى التي كانت معمورة واستمرت كذلك حتى تأسيس الكيان الصهيوني عام ١٩٤٨م . وفي هذا رد حاسم على ادعاءات الصهاينة بأن معظم قرى جبـل القـدس (وبخـاصة حوض وادي الصرار) كانت مهجورة قبل تأسيس الكيان الصهيوني بسبب انجراف التربة وندرة الموارد الطبيعية وفقر الأرض

جدول ـ ٧ ـ تطـور عدد السكـان اليهـود في القـدس من القـرن الثاني عشر الميلادي حتى القرن السابع عشر

القرن / السنة	عدد السكان (عائلة/ نسمة)
الثاني عشر الميلادي	يهودي واحد
الثالث عشر الميلادي	عائلتين يهوديتين
١٤٨١ ميلادية	نحو ٥٠٠ يهودي
١٤٩١ ميلادية	نحو ٧٠ عائلة يهودية
١٥٧٢ ميلادية	١١٥ نسمة
١٦٨٨ ميلادية	١٥٠ نسمة

جدول ـ ٨ ـ تطور عدد سكان مدينة القدس في القرن السادس عشر الميلادي .

السنة	١٥٢٦	١٥٣٩	١٥٤٩	١٥٩٧
عدد السكان	٢٨٠٧	٥٥١٢	٩١٣٥	٨٤٣١

Source: Hutteroth and Abdulfattah, 1977, op. Cit, p.45.

من جهـة اخـرى يبيـن الجدول (٩) تطور عدد سكان المدينة المقدسة من سنة ١٨٣١ وحتى سنـة ١٩٨٣ ، وفي الفـترات الـرئيسـة الثلاث التي كانت القدس فيها موحدة وحتى عام ١٩٤٨م، أو مجزأة إلى قطاعين عربي ويهودي بين عامي ١٩٤٨ و

١٩٦٧م، وبعد ضمها عقب حرب حزيران عام ١٩٦٧ والمباشرة بتصفيتها حضارياً وحتى الوقت الحاضر. فقد وصل عدد السكان اليهود في القدس عام ١٨٣١م إلى ٣٠٠٠ نسمة بسبب الهجرة غير الشرعية، بينما بلغ عدد السان العرب آنذاك ثمانية آلاف نسمة. وبالتالي شكل اليهود ٢٧٪ من سكان المدينة، وعندما سمح لليهود بشراء الأراضي بفرمان من السلطان العثماني عام ١٨٥٥ وعلى يد مونتفيوري تزايد عدد السكان اليهود في القدس ليرتفع في نهاية القرن التاسع عشر (١٨٩٠م) إلى (٣٠٢٠٠) نسمة وهي الفترة التي تبلور فيها الجيتو اليهودي (الحي اليهودي) في القدس خارج سور البلدة القديمة، ليكون نقطة الارتكاز الاساسية للانقضاض منها على المدينة لاحقاً لتهويدها.

جدول ـ ٩ ـ تطور عدد سكان مدينة القدس من عام ١٨٣١ وحتى عام ١٩٨٣م.

القدس موحدة قبل الاحتلال عام ١٩٤٨

	١٨٣١م[١]		١٨٩٠م[٢]		١٩٢٠م[٢]	
	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪
العرب	٨٠٠٠	٧٢,٧	١٤٨٠٠	٣٢,٩	٣١٠٠٠	٥٠,٨
اليهود	٣٠٠٠	٢٧,٣	٣٠٢٠٠	٦٧,١	٣٠٠٠٠	٤٩,٢
المجموع	١١٠٠٠	١٠٠	٤٥٠٠٠	١٠٠	٦١٠٠٠	١٠٠

١٩٣١م[٣]		١٩٤٥م[١]		نهاية عام ١٩٤٧م[١]	
العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪
٣٩٢٢٩	٤٣,٤	٦٠٠٨٠	٣٨,٢	٦٥١٠٠	٣٩,٦
٥١٢٢٢	٥٦,٦	٩٧٠٠٠	٦١,٨	٩٩٤٠٠	٦٠,٤
٩٠٤٥١	١٠٠	١٥٧٠٨٠	١٠٠	١٦٤٥٠٠	١٠٠

القدس في مرحلة التقسيم بعد الاحتلال عام ١٩٤٨ .

١٩٦١م[٥]		١٩٦٧م[١]	
العدد	٪	العدد	٪
٦٠٤٨٨ (القدس العربية)	١٠٠	٦٦٠٠٠ (القدس العربية)	١٠٠
١٦٦٣٠٠ (القدس المحتلة) القطاع العربي	١٠٠	٢٠٠,٠٠٠ (القدس المحتلة) والقطاع اليهودي	١٠٠

القدس بعد الاحتلال عام ١٩٦٧ ، والضم والتهويد

١٩٧٠[٥]		١٩٨٣[٤،١]		١٩٩٢ (الاسقاط)	
العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪
٨٥٠٠٠	٢٧	١٢٢٥٠٠	٢٧	١٥١٠٠٠	٢٧
٢٢٩٠٠٠	٧٣	٣٣٠٥٠٠	٧٣	٤٠٩٠٠٠	٧٣
٣١٤١٠٠	١٠٠	٤٥٣٠٠٠	١٠٠	٥٦٠٠٠٠	١٠٠

المصدر .

١ ـ مصطفى مراد الدباغ ، ١٩٧٦ مرجع سابق ، صفحات ١٨١ ، ١٨٦ ، ١٨٧ .

٢ ـ عارف العارف ، ١٩٥١ ، مرجع سابق ، ص ١٩٢ ـ ١٩٣ .

٣ ـ Mills, E., 1932, Census of Palestine, 1931, Jerusalem 112 pp.

٤ ـ P.L.O. Research Centre, 1970, Village statistics 1945: A Classification of land and area ownership in Palestine, with explanatory note by sami Hadawi, Beirut, 178pp.

٥ ـ دائرة الاحصاءات العامة ، التعداد العام الأول للسكان والمساكن ، ١٩٦١ ، عمان ، ص ١١ .

ومن الملاحظ تزايد عدد السكان اليهود في القدس في أواخر العهد العثماني بسبب تزايد الهجرة، إلا أن عددهم لم يزدد تقريباً في المدينة المقدسة حتى عام ١٩٢٠م كنتيجة لاندلاع الحرب العالمية الاولى وتوقف الهجرة اليهودية.

واثناء الانتداب البريطاني تضاعف بصورة كبيرة عدد المهاجرين إلى فلسطين (إ ارتفع متوسط عدد المهاجرين اليهود إلى فلسطين من ٣٢٠٠ مهاجراً سنوياً قبل الحرب مباشرة إلى ٧٠٠٠ مهاجراً سنوياً بعد الحرب، واستمر المعدل بالتزايد الأعظم حتى وصل إلى ٥٧١٠٠ مهاجراً سنة ١٩٣٩)[1]. ولذلك ارتفع عدد السكان اليهود في عام ١٩٣١ إلى ٥١٢٢٢ نسمة مقابل ٣١٢٢٩ نسمة من العرب. وبالتالي أصبح السكان اليهود في المدية يمثلون ٥٦,٦٪ من عدد سكانها البالغ ٩٠٤٥١ نسمة، وفيما بين عامي ١٩٣١ و١٩٤٥ تضاعف تقريباً عدد السكان اليهود في المدينة ليصل إلى ٩٧٠٠٠ نسمة مقابل ٦٠٠٨٠ نسمة من العرب، وبذلك ارتفعت نسبة السكان اليهود إلى ٦١,٨٪ من عدد سكان المدينة البالغ ١٥٧٠٨٠ نسمة.

يتضح مما سبق أن بداية التغلغل المخطط لليهود في القدس يتفق مع بداية القرن التاسع عشر، ونشط في أواخر عهود الدولة العثمانية وبتدعيم من الامبريالية البريطانية، واخذت اعداد السكان اليهود تصل القمة في المنحنى العددي لسكان المدينة اثناء الانتداب البريطاني، حيث بلغ عدد السكان اليهود مع نهاية عام ١٩٤٧ (٩٩٤٠٠) نسمة يشكلون ٦٠,٤٪ من سكان المدينة البالغ ١٦٤٥٠٠ نسمة، بينما وصل عدد السكان العرب إلى ٦٥١٠٠ نسمة فقط. ويمثل هذا العدد من السكان اليهود «القمة» والتي كانت توطئة ضرورية لاقتطاع جزء من المدينة المقدسة عقب انتهاء حرب ١٩٤٨م، وتأسيس الدولة اليهودي. وبعدها يأخذ التطور العددي للسكان في القطاعين العربي واليهودي من المدينة نمطاً جديداً يتلخص فيما يلي:

في عام ١٩٦١ وصل عدد سكان القطاع العربي من القدس ٦٠٤٨٨ نسمة، وهو أقل من عدد السكان العرب في المدينة قبل تقسيمها عام ١٩٤٨ والبالغ ٦٥١٠٠

---

١ - حسن عبد القادر صالح، ١٩٨٥، سكان فلسطين: ديموغرافيا وجغرافيا، دار الشرق، عمان، ص ١٤٤ - ١٤٥.

نسمة . ويرجع هذا الانخفاض إلى حرب ١٩٤٨م وما ترتب عليه من هجرة سكانية بعد تقسيم القدس واحتلال فلسطين، بينما استمر نمو عدد السكان اليهود في القطاع المحتل من المدينة بسبب عاملي الهجرة والزيادة الطبيعية ليبلغ ١٦٦٣٠٠ نسمة . وقد وصل عدد سكان القطاع العربي من القدس في عام ١٩٦٧م ٦٦٠٠٠ نسمة وهو عدد يقرب من عدد السكان العرب في القدس مع نهاية عام ١٩٤٧م. ووصل عدد سكان القدس المحتلة في عام ١٩٦٧م ٢٠٠٠٠٠ نسمة .

يتضح مما سبق، تراجع عدد سكان القدس العربية بين عامي ١٩٤٨ و ١٩٦٧ بالمقارنة مع عدد سكانها في نهاية عام ١٩٤٧م. بينما كان النمو السكاني للقدس المحتلة متسارعاً. مما ادى إلى تحول اليهود من نمط الجيتو كأقلية (عندما كانت القدس موحدة قبل عام ١٩٤٨)، إلى السيادة الانثروبولوجية في القطاع المحتل من المدينة بعد عام ١٩٤٨ . وقد خطط للقدس المحتلة بعد عام ١٩٤٨ لتصبح من مراكز الثقل السكاني اليهودي في الكيان الصهيوني الدخيل. واثناء حرب ١٩٦٧م تم احتلال القدس العربية، وضمها للقدس المحتلة عام ١٩٤٨ لتصبح القدس جميعها تحت الاحتلال. وبعد عام ١٩٦٧ اتخذ الوضع السكاني العربي واليهودي نمطاً جديداً كبداية لتهويد المدينة وتصفيتها حضارياً، إذ خطط الصهاينة كمرحلة اولى ألا يقل عدد السكان اليهود في القدس جميعها عن ٧٣٪ من مجمل عدد السكان بأي حال من الأحوال، والتعويض عن الفرق بين الزيادة الطبيعية للسكان العرب والسكان اليهود (وهو ٢ بالمئة تقريباً)، بتكثيف الاستيطان حول المدينة المقدسة والهجرة اليهودية إلى المدينة بعد توسيع حدود بلديتها[1]. ولذلك حرصت السلطات الصهيونية بعد عام ١٩٦٧م ألّا يزيد عدد السكان العرب في القدس عن ٢٧٪، مع التخطيط لتقليل هذه النسبة تدريجياً من خلال الضغوط الاقتصادية والقسرية والنفسية وأساليب القهر والقمع، وايقاف جمع شمل العائلات، وتزايد هجرة السكان العرب من القدس وبخاصة بعد حرب عامي ١٩٦٧ و١٩٧٣ وتزايد اسعار النفط، وتوافر فرص العمل في دول الخليج. وقد بلغ عدد السكان العرب في القدس

١ ـ Abu Ayyash, 1981, Op. Cit., p. 111-124.
Brutzkus, 1972, op. Cit., p. 302-316.
عبد الرحمن أبو عرفة، ١٩٨١، مرجع سابق، ص ٢٢٧ .

عام ١٩٧٠ حوالي ٨٥٠٠٠ نسمة بينما بلغ عدد السكان اليهود ٢٢٩٠٠٠ نسمة. وارتفع عدد السكان اليهود عام ١٩٨٣ إلى ٣٣٠٥٠٠ نسمة، وارتفع عدد السكان العرب (بسبب الزيادة الطبيعية فقط وهي ٤ بالمئة تقريباً) إلى ١٢٢٥٠٠ نسمة. ويتوقع ان يصل عدد السكان في المدينة عام ١٩٩٢ إلى ٥٦٠٠٠٠ نسمة بحيث يزيد عدد السكان اليهود فيها عن ٤٠٠ ألف نسمة.

ويلاحظ من خلال تعداد السكان والمساكن في مقاطعة القدس لعام ١٩٨٣ والذي قامت به السلطات الصهيونية (جدول ١٠) ان نسبة التغير في سكان المقاطعة وجبال القدس وسفوح الحضيض تدل على وجود نسبة تغير عالية في عدد السكان فيها بين ١٩٦١ و١٩٧٢. وصلت في جبال القدس إلى ٨٤,٣٪، و٨١٪ للمقاطعة جميعها، و ٣٩,١٪ لسكان سفوح الحضيض، وترجع نسب التغير المرتفعة تلك إلى احتلال القدس العربية بعد حرب عام ١٩٦٧، وتكثيف الاستيطان والهجرة اليهودية إلى القدس بعد ضم القطاع العربي للقطاع اليهودي. ويجدر أن ننبه الى أن نسبة التغير تلك حسبت بين عام ١٩٦١ و١٩٧٢ تبعاً للأسلوب الصهيوني المخادع المعروف، لأن القدس عام ١٩٦١ كانت مجزأة إلى قطاعين عربي ويهودي، ولم تكن القدس جميعها (وكذلك قراها) تحت الاحتلال الصهيوني. ولذلك يعتقد القارىء غير المطلع ان القدس جميعها كانت تحت الاحتلال منذ عام ١٩٦١.

من جهة اخرى يلاحظ بان نسبة التغير قد انخفضت في الفترة بين ١٩٧٢ - ١٩٨٣ عما كانت عليه بين عامي ١٩٦١ و١٩٧٢ (بالرغم من بقائها مرتفعة نسبياً مما يؤكد بأن نسبة التغير المرتفعة بين عامي ١٩٦١، ١٩٧٢ كانت تتجه مباشرة لضم القدس العربية بعد حرب ١٩٦٧ إلى القدس المحتلة عام ١٩٤٨، والاسراع في برامج الاستيطان والهجرة اليهودية في القدس وحولها بعد عملية الضم.

ويمكن ان نستخلص العوامل الجيوبولوتيكية التي شكلت نمط النمو السكاني الديموغرافي والانثروبولوجي (أي للعرب واليهود) في القدس بعد عام ١٩٤٨، ويتمثل فيما يلي:

أ - تشكل حروب عام ١٩٤٨، وعام ١٩٦٧، وعام ١٩٧٣ حروباً تهجيرية بالنسبة للسكان العرب في الأراضي المحتلة والقدس. وقد انعكس ذلك إما على تراجع عدد سكان القدس، أونموها نمواً بطيئاً، ثم انقلاب المعادلة الديموغرافية -

الانثروبولوجية لصالح السكان اليهود بعد ضم القدس العربية عام ١٩٦٧ . إذ بعد أن كان اليهود يمثلون الأقلية السكانية في القدس، أصبح العرب يمثلون الأقلية في خضم اليهود، ولا شك ان هذه خطوة هامة لتهويد المدينة وتصفيتها حضارياً.

ب ـ رافق تزايد اسعار النفط بعد حرب ١٩٧٣ ، ارتفاع حاد في معدلات العوائد النفطية لدول الأوابك العربية (من ١٣١٣١ مليون دولار عام ١٩٧٧ إلى ٨١٠٧٥ مليون دولار عام ١٩٧٧) وتسارع عمليات التنمية في دول الخليج العربي مما أدى إلى توافر حوافز اقتصادية دفعت الكثير من العرب الفلسطينيين إلى الانسلاخ إما عن مخيماتهم في الوطن المحتل، أوبالقرب منه في الأردن، ومن قراهم ومدنهم في الوطن المحتل، والهجرة إلى دول الخليج. وبدلاً من أن يصبحوا مطرقة الضغط السياسي على النطاق الدولي كلاجئين وابناء قضية مشردين، أوعناصر في المقاومة المسلحة (بعضهم على الأقل)، تحولوا إلى الشتات الجديد «الشتات الفلسطيني (بدوافع اقتصادية)، والنتيجة الحتمية كانت الخروج دون أمل في العودة سواء إلى المخيمات أوالى المدن والقرى. وقد رافق عمليات الهجرة من الوطن المحتل بعد عام ١٩٦٧ تقنين عمليات شمل العائلات ثم وقفها تماماً وبخاصة للسكان العرب في مدينة القدس مما أثر على النمو السكاني للمدينة[١].

جـ ـ أدى تحييد مصر في معادلة الصراع العربي الإسرائيلي بعد توقيع معاهدة كامب ديفيد، إلى تقليص عدد القوات الاسرائيلية العاملة على خطوط الهدنة بين مصر واسرائيل، مما اسفر عن عودة عدد كبير من المجندين الاسرائيليين إلى العمل في قطاعات الاقتصاد الاسرائيلي المختلفة، والتي كان يشغلها العمال الفلسطينيون، رافقه تضييق متسارع لفرص العمل في الأراضي المحتلة (ومنها القدس) مما دفع الكثير من العمال إلى الهجرة إلى

---

١ ـ عبد الرحمن أبوعرفة، ١٩٨١، مرجع سابق، ص ٢٢٢.
يقدر العدد بنحو ٨٠٠٠ مواطن حرموا من شمل العائلات حسب ما ورده امين القدس «روحي الخطيب».

جدول ـ ١٠ ـ خصائص الأسرة والسكان لمقاطعة القدس لعام ١٩٧٢ ، ١٩٨٣ .

	خصائص الأسرة				خصائص السكان					
	متوسط حجم الأسرة (فرد)		عدد الاسر (الآلاف)		نسبة التغير (٪)		النسبة المئوية من سكان الأراضي المحتلة		عدد السكان (بالآلاف)	
	١٩٧٢	١٩٨٣	١٩٧٢	١٩٨٣	١٩٦١ ـ ٧٢	١٩٧٢ ـ ٨٣	١٩٧٢	١٩٨٣	١٩٧٢	١٩٨٣
مقاطعة القدس	٤,١	٣,٩	٨٠,٢	١١٧,٤	٨١,٠	٣٧,١	١١,٠	١١,٧	٣٤٧,٤	٤٧٦,٤
جبال القدس	٤,٠	٣,٨	٧٦,٩	١١٢,٤	٨٤,٣	٣٨,٢	١٠,٤	١١,١	٣٢٧,٨	٤٥٣,٠
سفوح الخضيض	٥,٤	٤,٤	٣,٣	٥,٠	٣٩,١	١٩,٦	٠,٦	٠,٦	١٩,٦	٢٣,٤
الأراضي المحتلة (اسرائيل)	٣,٨	٣,٥	٧٧٤,٦	٠٩٧,٥	٤٤,٤	٢٩,١	١٠٠	١٠٠	٣١٤٧,٧	٤٠٦٤,٧

المصـــدر: State of Israel Central Bureau of statistics, 1983, population and Households, Jerusalem, 43 pp.

دول الخليج وغيرها للعمل. ويعني ذلك تفريغ الأراضي المحتلة من عنصر الشباب في سن العمل، ولم يكن أسلوب الضغط الاقتصادي بهدف التهجير جديداً على الفلسطينيين، إذ خططت الصهيونية كتفريغ الأرض من سكانها منذ أواخر العهد العثماني، عندما تدهورت الأوضاع الاقتصادية للمنطقة، وتمثل ذلك في التخطيط السري لتهجير سكان فلسطين وبالذات سكان لواء القدس. وقد تعاظمت هذه المؤامرة اثناء الانتداب البريطاني على فلسطين. وليس من غريب الصدفة ان نجد اولى تيارات الهجرة الفلسطينية إلى العالم الجديد (الولايات المتحدة وامريكا اللاتينية) كان مركزه من سكان لواء القدس والمدينة المقدسة بالذات، ولم نجد هجرات مماثلة من الألوية الأخرى مثل لواء نابلس بالرغم من تشابه البيئتين الجغرافية، والظروف الاقتصادية العامة.

جـ ـ تطور الكثافة السكانية واختلالها:

تؤكد قيم الكثافة السكانية في المدينة المقدسة وتغيراتها، اختلال التوازن

جدول ـ ١١ ـ كثافة السكان في مدينة القدس بين عامي ١٩٢٢م و١٩٨٢م.

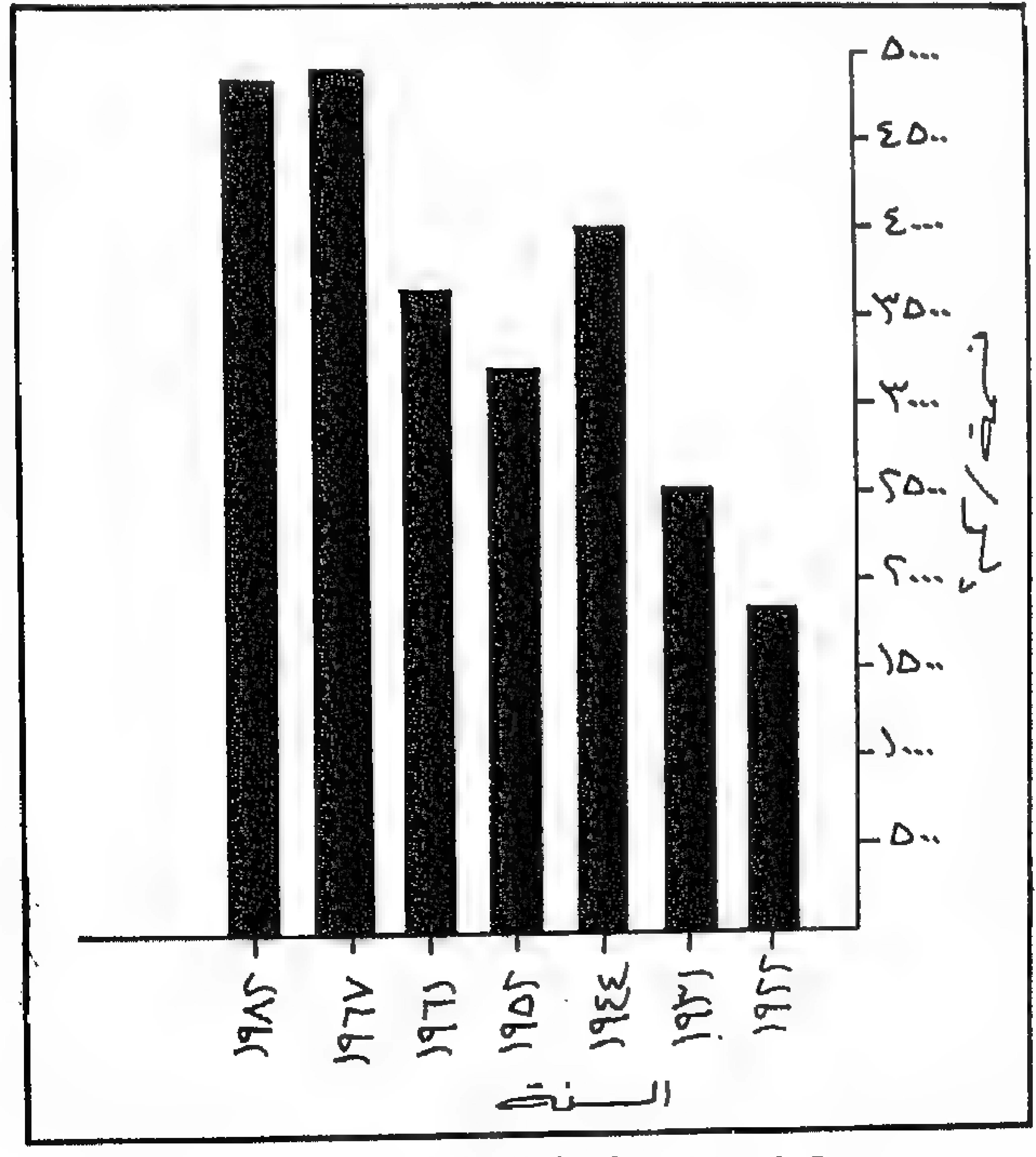
السنة	الكثافة (نسمة / كم٢)
١٩٢٢	١٨٠٣
١٩٣١	٢٥٣٨
١٩٤٤	٣٨٨٣
١٩٥٢	*٣١٩٣
١٩٦١	٣٦٣٣
١٩٦٧	٤٧٨٦
١٩٨٢	*٤٧٦٤

عن ابراهيم الزقرطي، ١٩٨٦

* كثافة السكان في القطاع العربي من القدس بعد تقسيمها عام ١٩٤٨.
* كثافة السكان في القطاع العربي من القدس والذي ضم إلى القطاع اليهودي بعد حرب ١٩٦٧، وتتضمن القدس العربية هنا شعفاط.

الـديمـوغرافي / الانثروبولوجي للسكان العرب في المدينة في مراحل تعكس الأوضاع السياسية والحروب التهجيرية التي مرت بها المدينة وفلسطين (جدول ١١) . وبالرغم من ظهور اتجاه عام في ارتفاع معدلات الكثافة السكانية منذ عام ١٩٢٢ (أول تعداد للسكـان) وحتى عام ١٩٨٢م، الا ان هذا الاتجـاه تعرض إلى انقطاع واضح يمثل الانخفاض الفجائي في الكثافة السكانية في مرحلتين رئيسيتين وهما:

آ ـ المـرحلة التي تمثـل المـدينـة بعد حرب ١٩٤٨، إذ بلغت كثافة السكان في المدينة عام ١٩٤٤ حوالي ٣٨٨٣نسمـة /كم٢ مقـابـل كثافة بلغت ١٨٠٣ نسمة/كم٢ عام ١٩٢٢ . ويـرجـع ارتفـاع الكثـافـة السكـانيـة بين عامي ١٩٢٢ و ١٩٤٤ وبمعـدل ٩٥ نسمـة/كم٢ سنـويـاً إلى ارتفـاع معـدلات الهجـرة اليهـودية بعد الانتداب البريطاني (وإلى القدس بالذات)، وليس إلى النمو الطبيعي للسكان العـرب وآليهـود الـذين كانـوا يعيشون في المدينة عام ١٩٢٢ (شكل ١١). من



شكـل ـ ١١ ـ تطور كثافة السكان في مدينة القدس.

جهـة اخـرى يلاحـظ ظهـور انخفاض حاد في الكثافة السكانية للقدس العربية بناء على تعداد سنة ١٩٥٢ حيث بلغت ٣١٩٣ نسمة /كم٢ مقابل ٣٨٨٣ نسمـة/كم٢ للكثـافة عام ١٩٤٤ . ويرجع هذا الانخفاض في الكثافة السكانية إلى حرب عام ١٩٤٨ وما ترتب عليها من هجرة قسرية للسكان العرب واحتلال جزء من المـدينـة في حرب عام ١٩٤٨ (وهـو الـذي سمي بالقطـاع اليهـودي)، واستمـرت الكثـافـة السكـانيـة بعـد عام ١٩٥٢ في الارتفـاع حتى عام ١٩٦٧ وبمعـدل كبـير بلغ ١٠٦ نسمـة/كم٢ سنـويـاً، ويعود ارتفاع معدلات الكثافة السنـويـة تلك لا إلى الـزيـادة السكـانية للمدينة وإنما إلى فقدان جزء كبير من أراضي المـدينـة بعـد تقسيمها عام ١٩٤٨، واضطرار السكان العرب للتركز في مساحة صغيرة من المدينة وهي المدينة القديمة بالدرجة الأولى. لأنه كما اسلفنا سابقاً لم يتزايد عدد سكان المدينة في تلك الفترة بقدر ما كان يتراجع.

ب ـ أما المرحلة الثانية فتمثل انخفاضاً حاداً في الكثافة السكانية للمدينة بعد حرب ١٩٦٧، إذ بلغت الكثـافـة السكـانيـة عام ١٩٦٧ حوالي ٤٧٨٦ نسمة/كم٢ وتمثـل هنـا الكثـافة أكبر معدلات التركز السكاني في المدينة المقدسة منذ إجراء اول تعـداد سكـاني لها عام ١٩٢٢ بالمقارنة مع المدن الفلسطينية الاخرى. إلا أنهـا انخفضت في عام ١٩٨٢ إلى ٤٧٦٤ نسمـة/كم٢. وقـد بلغ معـدل الانخفـاض السنـوي بين عامي ١٩٦٧ و١٩٨٢ حوالي ٠,٧ نسمـة/كم٢، ويعـود انخفـاض الكثـافـة المستمـر خلال ١٥ سنة بعد الاحتلال والضم عام ١٩٦٧ إلى مصـادرة الأراضي العـربيـة في المـدينـة القـديمة والمناطق المجاورة للقـدس، وتكثيف بنـاء المستوطنات، واجراءات القهر والتعسف، والضغوط الاقتصـاديـة، ومنـع اصدار رخص للبنـاء، ووقف جمع شمـل العـائـلات، واستمـرار الهجـرة بين السكـان العـرب من عام ١٩٦٧. ولا شك ان قيم الكثافات السكانية (واعداد السكان) في السنوات القادمة، ستكشف بالتأكيد عن استمـرار تنـاقص عدد السكـان العـرب والكثـافـة معـاً، وهو ما تخطط له الصهيـونيـة لتفـريـغ المـدينة من سكانها العرب الأصليين وتحويلها إلى مدينة يهودية انثروبولوجيا.

ومن المؤشرات الهامة، التي تؤكد تركز السكان اليهود في مدينة القدس بالدرجة الأولى دون سواها من لواء القدس، مقارنة عدد السكان العرب بعدد اليهود في لواء القدس وفي القضاء عام ١٩٣١، إذ بلغ عدد السكان العرب في اللواء ٢١١٥٠٣ نسمة بينما بلغ عدد السكان اليهود ٥٤٩٥٩ نسمة، أي ان السكان العرب كانوا يشكلون ٧٩,٤٪ من مجموع سكان اللواء، بينما كان اليهود يشكلون ٢٠,٦٪ فقط، ثم ترتفع نسبة السكان اليهود إذا ما قورن عددهم بعدد السكان العرب على مستوى القضاء، إذ بلغ عدد اليهود في قضاء القدس عام ١٩٣١م ٥٤٩٥٩ نسمة مقابل ٧٨٠٧١ نسمة من العرب، ولذلك ترتفع نسبة عدد السكان اليهود إلى العرب لتصل ٤١,٣٪ مقابل ٥٨,٧٪ للعرب مما يعطي دلالة واضحة على تركز السكان اليهود على مستوى القضاء واللواء في مدينة القدس بالدرجة الأولى. ولم تتغير نسبة السكان العرب واليهود في قضاء القدس تقريباً عام ١٩٤٥، إذ بلغ عدد السكان العرب ١٤٧٧٥٠ نسمة وعدد السكان اليهود ١٠٠٢٠٠ نسمة. وبالتالي كانت نسبة السكان العرب في القضاء ٥٩,٧٪، واليهود ٤٠,٦٪.
وتؤكد مساحات الأراضي المملوكة من قبل اليهود والعرب عام ١٩٤٥م مرة اخرى تركز اليهود في مساحات صغيرة من قضاء القدس وبالتحديد في مدينة القدس، إذ بلغت مساحة الأراضي التي كان يملكها السكان العرب في القضاء آنذاك ١,٣٨٨,٨٥٤ دونما، مقابل ٣٣٤٠١ دونماً يمتلكها اليهود. بمعنى ان نسبة ما كان يملكه السكان العرب من الأراضي في القضاءكانت تشكل ٩٧,٧٪ مقابل ٢,٣٪ يمتلكها اليهود فقط[١]. وتدل صغر مساحة الأرض التي كان يمتلكها اليهود في القضاء مرة اخرى على ارتفاع معدلات التركز السكاني الحضري، بحيث كان تركزهم الأعظمي في المدينة المقدسة بالدرجة الأولى، أي في الجيتو اليهودي وليس في ريف لواء القدس بين الأغلبية العربية. وتجدر الاشارة إلى انه حتى عام ١٩٤٨م لم يكن اليهود يملكون في الحي اليهودي سوى خمسة دونمات، وبقية أراضي الحي كان يملكها السكان العرب، وقد بلغ عدد سكان الحي اليهود عام ١٩٤٨م ٥٣٠٠ نسمة فقط يسكنون ١٥٠٠ مبنى. وقد هجر اليهود هذا الحي بعد عام ١٩٤٨،

---

١ - منظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٧٠، ص ٥٨.

وسكنه لاحقاً السكان العرب. وبعد احتلال وضم القدس عام ١٩٦٧، تم تفريغه من السكان العرب بحجة انه من المناطق الدينية[١]



القدس بين وادي الجوز ووادي سلوان.

١ ـ سمير جريس، ١٩٨١، القدس: المخططات الصهيونية، الاحتلال، التهويد، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ص ٥٣.

الفصل السادس

تغيير البنية الاقتصادية واستعمالات الأراضي

سنتعرض في هذا الفصل إلى ابراز معالم تغيير البنية الاقتصادية لمدينة القدس وإقليمها في القطاعات الاقتصادية المختلفة كالزراعة والصناعة والسياحة (وما يرتبط بها من الصناعات الحرفية، والفندقية، والمكاتب السياحية. . الخ)، والخدمات الاخرى، وتغيير هيكل القوى العاملة، والمواصلات والنقل. إضافة إلى فرض الضرائب العالية على سكان المدينة، وفرض الرسوم الجمركية العالية حتى عن تلك المنتوجات التي استوفت الرسوم الجمركية الأردنية قبل الاحتلال، وكذلك وقف التحويلات المالية من الأردن والدول العربية والاجنبية التي كان يرسلها أبناء القدس العاملين في الخارج[1].

وقد أدى تناقض السيولة النقدية، وانعدام الثقة بالمستقبل، وتوقف الدخول الجارية إلى توقف جميع أنواع الاستثمارات. ويعني هذا الوضع وقوع مدينة القدس (والضفة الغربية ككل) في أزمة اقتصادية خانقة رافقها ارتفاع حاد في الأسعار. وقد وضع الاسرائيليون سياسة خبيثة هدفت إلى السيطرة على الاقتصاد العربي في القدس وإخضاعه للاقتصاد الاسرائيلي، وتمهيداً لتصفيته تدريجياً[2].

وترتكز السياسة الاسرائيلية الاقتصادية تجاه القدس والضفة الغربية على ثلاثة محاور تشكل جوهر القضية الفلسطينية. وهذه المحاور هي :

---

١ ـ سمير جريس، ١٩٨١، مرجع سابق، ص ١٥٦.

٢ ـ المرجع نفسه، ص ١٦٠ ـ ١٦١.

١ ـ استمرار الاستيلاء على الموارد الطبيعية للقدس والضفة وبخاصة الأرض والمياه، والحياة البرية والحيوانية[١]، وذلك لمواجهة التخطيط الاستيطاني الصهيوني وإجراءاته، وحرمان السكان العرب من مواردهم، ومن ثم تدني دخولهم ودفعهم إلى الهجرة.

٢ ـ ولتحقيق السيطرة على الاقتصاد العربي وتصفيته نهائياً، والاستيلاء على موارد الأرض والمياه، وضع الإسرائيليون سياسة تخطيطية تعرف بسياسة القلب ـ الهوامش المعروفة في التخطيط (Core & Preiphery) والتي تهدف إلى جعل القلب الاسرائيلي متقدماً دوماً، والهوامش العربية متخلفة وفي خدمة الاقتصاد الاسرائيلي[٢]، وقاموا بتنفيذها في الضفة الغربية والقدس. وترسم هذه السياسة العلاقة الاقتصادية بين القلب الاسرائيلي والهوامش العربية بالصورة التي تحقق للإسرائيليين مآربهم في تحطيم الاقتصاد العربي وربطه بالاقتصاد الاسرائيلي وترسيخ الاحتلال.

وأبرز خصائص العلاقات الاقتصادية بين القلب والهوامش[٣] ما يلي:

آ ـ يمكن وصف العلاقات الوظيفية بين القلب والهوامش بأنها علاقات استعمارية بكل معنى الكلمة (Colonial) وهو تأكيد للوضع الاسرائيلي الذي يمثل أعلى مراتب الإمبريالية التي عرفها العالم. وتقضي هذه الصفة باستغلال المواد الخام والعمالة الرخيصة من الهوامش العربية في القدس والضفة الغربية، وتحويلها إلى المركز للتقدم في القدس المحتلة وغيرها من المدن والمراكز الصناعية الإسرائيلية.

ب ـ يؤدي تدفق المواد الخام والأيدي العاملة بين الهوامش العربية في القدس والضفة، إلى مراكز الثقل الاقتصادية الاسرائيلية (القلب) حسب العلاقة الآنفة الذكر، إلى تزايد فجوة عدم المساواة بين الهوامش العربية والقلب

---

١ ـ The Middle East, 1979 (September), p. 39.

المركز الجغرافي الاردني، ١٩٨٥، الحقوق التراكمية للشعب الفلسطيني، عمان، ص ١٠٧.

٢ ـ Abu- Ayyash, 1981, Op. Cit., p. 113.

٣ ـ Abid, p. 113-115.

الاسرائيلي، او بمعنى آخر تزايد التخلف في الهوامش، والتقدم في القلب، ومن ثم استمرارية سيطرة القلب على الهوامش وتحكمه به.

جـ - يؤدي استمرار استغلال الموارد الطبيعية والبشرية في الهوامش لصالح القلب إلى حدوث اختلال اجتماعي واقتصادي في الهوامش المتخلفة، يترتب عليه استمرار الهجرة للهرب من الأوضاع الاقتصادية المتردية وهو ما يخدم السياسة الاسرائيلية.

وقد صرّح آبا ايبان (وزير الخارجية الاسرائيلي السابق) بأن العلاقة الاقتصادية بين اسرائيل وعرب الأراضي المحتلة، يجب ان تكون مثل تلك التي تسود بين الولايات المتحدة وامريكا اللاتينية، أي علاقة المسيطر والمسيطر عليه، المتقدم والمتخلف، السيد والعبد التابع، الغني والفقير، وهي نموذج العلاقة التي تسود بين المستعمر والمستعمَر والمعروفة منذ أيام شركة الهند الشرقية.

ومهما كان الأمر فقد خطط الصهاينة لأن يبقى القلب الاسرائيلي هو المتقدم اقتصادياً وتقنياً، ويمتلك عناصر الهيمنة والقوى المنظمة وصناعة القرارات.

ولضمان استمرارية سيطرة القلب على الهوامش أوجد الاسرائيليون نظماً فرعية في الهوامش العربية، من خلال الاستيطان برتبه المختلفة تضمن السيطرة على الموارد، وتنفيذ القرارات التي تصاغ في القلب، وكذلك ايجاد مؤسسات عسكرية وغيرها، تضمن السيطرة على الهوامش العربية، واعادة تخطيط شبكة المواصلات وانشاء شبكة مواصلات جديدة، بحيث تضمن تدفق المنتوجات الاسرائيلية من القلب إلى الهوامش العربية.

٣ - اصدار التشريعات والقوانين بهدف تحطيم البنية الاقتصادية للمدينة وتغيير استعمالات الأراضي فيها. وأبرز هذه التشريعات ما يسمى «قانون التنظيمات الإدارية والقانونية ٥٧٢٨ - ١٩٦٨». وبناء على احكام هذا القانون (المواد ٦ - ١٤) أجبرت الشركات والجمعيات التعاونية العربية المختلفة، على إعادة تسجيلها كشركات أو جمعيات اسرائيلية خلال فترة أقصاها ستة اشهر إذا كان مكتبها الرئيسي موجوداً في القدس، أما تلك التي تحتفظ بمكتب فرعي في المدينة ينبغي عليها خلال الفترة نفسها، اتخاذ الاجراءات الضرورية الكفيلة باستقلالها عن الشركة الأم، وتحويلها إلى شركة منفصلة تسجّل في اسرائيل،

على ان يكـون نشـاطهـا في منطقـة سريان القانون، وان يكون اعضاء مجالس ادارتها من سكان تلك المنطقة. وهذا يعني اجبار الشركات والمؤسسات العربية على حل نفسهـا، أو طلب تسجيلهـا كشـركـات اسـرائيلية، وقطع أية علاقة قانونية بالمؤسسات المماثلة في الضفة الغربية وخارجها[1].

أ ـ الزراعة:

تعـود أقـدم الاحصـاءات المنظمـة والمتـوافـرة عن الـزراعـة والثـروة الحيوانية والضـرائب الـزراعيـة وتوزيع الدخل من الزراعة في المناطق الريفية في فلسطين، بما فيها لواء القدس، إلى القرن السادس عشر، وهي تلك المدونة في الدفاتر العثمانية. وقـد قام الاستـاذان هيـترو ت وكمال عبد الفتاح، بوضع خرائط للإنتاج الزراعي في فلسطـين في القـرن السادس عشر. وقد تضمنت تلك الخرائط توزيع النسب المئوية للإنتـاج الـزراعي (للقمح والشعير، والمحاصيل الحقلية الصيفية، والأشجار المثمرة بما فيها الزيتون والكرمة، والسمسم، والقطن، والماعز، والأغنام، والنحل وغيرها) في قرى فلسطـين جميعهـا[2]. وقد أضافوا إلى تلك الخرائط فهرساً منظماً يبين الانتاج الزراعي في كل قرية من الوية فلسطين، وذلك حسب التقسيم الاداري الذي كان سائداً آنذاك. وقد كان لواء القدس في تلك الفترة يضم ناحية الخليل.

ويتضـح من تلك الـدراسـة القيمة ان لواء القدس وفلسطين كانا يجمعان بين الـزراعـة البعليـة، والـزراعـة المـرويـة، والـزراعـة المختلطـة (أي الـزراعة والثروة الحيـوانيـة). وقـام العثـمانيـون بوضـع نظـام احصائي وثيق ومنظم يمكن من معرفة الانتاج الزراعي بأشكاله المختلفة في كل قرية بهدف تحصيل الضرائب المستحقة للدولة.

وفي نهايـة القـرن التـاسـع عشـر، أي في عام ١٨٩٥ كانت تشكـل متصرفية القـدس ٨١٪ من مسـاحـة فلسطين، واتضح بأن ١٠٪ من مساحة المتصرفية كانت

---

١ ـ سمير جريس، ١٩٨١، مرجع سابق، ص ١٦٠ ـ ١٦١.

٢ ـ Hutteroth and Abdulfattah, 1977, Op. Cit., pp. 225.

مزروعة في تلك السنة، باستثناء الأراضي المتروكة للراحة، لتجدد خصوبتها كنوع من الدورة الزراعية التي تحفظ للبيئة توازنها[1]. وقد انخفضت نسبة المساحة المزروعة عام ١٩٠٩ إلى ٨٪ (جدول ١٢). ويعود سبب انخفاض المساحة المزروعة إلى تدهور الأوضاع الاقتصادية عموماً، وسوء احوال الفلاح الفلسطيني في أواخر العهد العثماني، والهجرة، وربما الجفاف[2].

جدول ـ ١١ ـ المساحة المزروعة في متصرفية القدس (بالدونمات) ونوع المحصول.

نوع المحصول	١٨٩٥	١٩٠٩
حبوب	١٦٠٠٠٠٠	١١٨٨٤٢٠
بقول وخضار	٣٧٠٠٠٠	
اشجار مثمرة	٢٢٣٤٠٠	٢٢٠٠٠٠
حمضيات	٦٦٠٠	٣٠٠٠٠
المجموع	٢٢٠٠٠٠٠	١٤٣٨٢٤٠

عن (العامر، ١٩٧٤، ص ٣١)

بلغت مساحة الأراضي المزروعة في لواء القدس سنة ١٩٣٦ حوالي ١,١٠٩,٧٦٤ دونماً، أما الأراضي القابلة للزراعة فكانت ٣٤٥,٣٩٧ دونماً. ويشير كتاب احصاءات القرى عام ١٩٤٥ بأن جميع الأراضي القابلة للزراعة في فلسطين والبالغ مساحتها ٩,٢٠٥,٥٣٨ دونماً كانت جميعها مزروعة في ذلك العام. وبمعنى آخر كان الفلاح الفلسطيني، يستغل جميع الأراضي القابلة للزراعة. ويبين

١ ـ خليل أبو رجيلي، الزراعة العربية في فلسطين المحتلة، شؤون فلسطينية، عدد (١١)، ص ١٣٠ ـ ١٣١.

عنان العامري، ١٩٧٤، التطور الزراعي والصناعي الفلسطيني ١٩٠٠ ـ ١٩٧٠، مركز الابحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، ١٥٥ صفحة.

٢ ـ عبد العزيز عوض، ١٩٧٦، مرجع سابق، ص ٢٧ ـ ٤٢.

الجـدول (١٢) مسـاحة الأراضي المزروعة (بالدونم) لكل من العرب واليهود في لواء القدس حسب تعداد عام ١٩٤٥ .

جدول ـ ١٢ ـ

مجموع الأراضي المزروعة

للعرب	لليهود	مشاع	المجموع	النسبة المئوية لملكية اليهود
٣٢١٨٢٠	١٣٥١٨	١٠٥٩	٣٤٥٣٩٧	٣,٩٪

ومنه يتضح بأن ملكية اليهود للأراضي في لواء القدس حتى عام ١٩٤٥ لم تزد عن ٣,٩٪ فقـط من مسـاحـة الأراضي المزروعة في اللواء. وفي عام ١٩٥٢ أي بعد احتلال ١٩٤٨ بلغت مساحة الأراضي في لواء القدس ٢,٠٠٢,٠٢٢ دونماً وكانت مسـاحـة الأراضي المـزروعـة ٣٨٧,١٩٩ دونماً حيث بلغت نسبة الأراضي المزروعة إلى المساحة الكلية حوالي ١٩,٣٪، ويعود انخفاض المساحة المزروعة إلى احتلال اسـرائيـل للأراضي الـزراعيـة الجيدة من لواء القدس عام ١٩٤٨، وطغيان مساحة الأراضي غير القـابلة للزراعـة في بريـة (صحـراء القدس) على المساحة الكلية بعد عام ١٩٤٨، ولذلك نجد ان نفس النسبة تقريباً وجدت في الخليل. بينما ارتفعت في لواء نابلس إلى ٤٣,٢٪ بسبب قلة فقـدان اللواء للأراضي الـزراعيـة بالمقـارنـة مع القـدس والخليـل. وقـد زادت مسـاحة الأراضي المزروعة في لواء القدس بين عامي ١٩٥٢ و١٩٥٧ حيث بلغت مسـاحـة الأراضي المزروعة عام ١٩٥٧م ٤٦٩,٧٢١ دونـماً، وارتفعت نسبـة مسـاحة الأراضي المزروعة من اللواء إلى ٢٣,٥٪ مقارنة مع ١٩,٣٪ من مساحة اللواء عام ١٩٥٢[1].

١ ـ العامري، مرجع سابق، ص ١٨ ـ ٢٧.

وقد تناقصت مساحة الأراضي الزراعية تباعا في الضفة الغربية بعد احتلال عام ١٩٦٧ بما فيها محافظة القدس. فمثلاً بلغت مساحة الأراضي المزروعة بالحبوب في موسم ١٩٦٥/١٩٦٦ حوالي (١٦٦٣٠٠) دونماً، وانخفضت تلك المساحة تدريجياً لتصل إلى (٩١١٠٠) دونماً فقط في موسم ١٩٨٢/١٩٨٣، كذلك انخفضت المساحة المزروعة بالشعير في نفس الفترة. إلا أنه لوحظ توسع في زراعة المحاصيل الحقلية في المحافظة في نفس الفترة (١٩٦٦ - ١٩٨٣) ولكن كان التوسع في الأراضي الهامشية خارج حدود بلدية القدس بعد توحيد شطريها الشرقي والغربي[1]. من جهة اخرى انخفضت مساحة الأراضي المزروعة بالخضروات والأشجار والحمضيات في نفس الفترة السابقة أي بين عامي ١٩٦٦ و١٩٨٣ نظراً لمصادرة الأراضي الجيدة من قبل سلطات الاحتلال الصهيوني باستثناء مساحة الأراضي المزروعة بالزيتون، إذ زادت المساحة من ١٣٧٠٦٧ دونماً عام ١٩٦٦ إلى ١٥٧٥٥٧ دونماً عام ١٩٨٣، حيث بلغت الزيادة في المساحة ٩,٣٪. وبالرغم من زيادة المساحة هنا إلا أنها أقل نسب الزيادة في مساحة الأراضي المزروعة بالزيتون في الضفة الغربية. وتجدر الإشارة إلى ان التوسع في المساحة المزروعة بالزيتون كان يتم في الأراضي الهامشية الوعرة خارج حدود بلدية القدس. أي في الأراضي التي تقع خارج المناطق التي تم مصادرة أراضيها لزرع المستوطنات الصهيونية فيها.

ويعود ارتفاع انتاج بعض المحاصيل كالحمضيات والكرمة، بالرغم من تناقص مساحتها، إلى استخدام التقنيات الزراعية المتقدمة من عمليات الزراعة من قبل السكان.

وعموماً يمكن ايجاز اسباب تناقص مساحة الأراضي الزراعية في محافظة القدس بين عامي ١٩٦٦ و١٩٨٦ بما يلي[2]:

١ - قيام سلطات الاحتلال بالاستيلاء على الأراضي الجيدة، أما لأغراض الاستيطان أو حجزها بحجة الأمن. هذا بالإضافة إلى عدم استطاعة اصحاب الأراضي العربية من المزارعين زراعة أراضيهم القريبة من المستعمرات بسبب قيام المستعمرين اليهود بالاعتداء عليهم.

١ - المركز الجغرافي الاردني، الحقوق التراكمية للشعب الفلسطيني، عمان، ص ١٠٧ - ١١٩.

٢ - المرجع نفسه، ص ١٦٠ - ١٦٤.

٢ ـ قامت سلطات الاحتلال بالاستيلاء على معظم مصادر المياه في الضفة الغربية والقـدس، وأبقت على جزء يسـير منهـا بأيدي العرب مع الإشراف التام على استخـدامـه، إذ حددت كميـة الميـا المسمـوح بضـخهـا ومنعت حفـر الآبار أو تعميقها، بينما قامت بحفر الآبار على أعماق أكبر قرب الآبار العربية أو الينابيع مما أثـر على ضخ الآبـار وخفض تصـريف الينـابيـع أو ادى إلى جفـافهـا، بل واستولت على كامل الآبار التي كانت تملكها مؤسسات الحكومة الاردنية.

ـ محاربة تقدم وتطور الزراعة العربية عن طريق:

آ ـ خفض ميـزانيـة الأبحـاث الـزراعيـة، إذ انخفضت هذه الميزانية في الضفة الغـربيـة على سبيل المثال من ١١٦٥٨٠٠٠ ليرة اسرائيلية عام ١٩٧٢ إلى ما يعادل ٧٥٠٠٠٠ ليرة اسرائيلية عام ١٩٨٣ أي ان النقص كان بنسبة ٩٤٪.

ب ـ خفض عدد المهنـدسـين الـزراعيين العاملين في دوائر الحكومة في الضفة، فحتى عام ١٩٧٣ كان عدد المهنـدسـين الـزراعيين العاملين في دائرتي الزراعة والـتر بيـة ١٢٥ مهنـدساً زراعياً، وأصبح عددهم عام (١٩٨٢) ١٢٨ مهندساً أي بزيـادة ٣ مهنـدسـين فقـط خلال ١٠ سنوات، رغم وجود اعداد كبيرة من الخريجين الحاصلين على الهندسة الزراعية في كافة التخصصات، إذ يوجد ٢٧ مهندساً زراعياً عاطلاً عن العمل، عداً عن الاعداد التي تعمل خارج الضفة. وانخفض عدد المـرشـدين الـزراعيـين من ١٣٣ مرشـداً عام ١٩٧٦ إلى ٦٥ مرشـداً عام ١٩٨٢، بنقص مقـداره ٥١٪، مع ان الدراسات تشير إلى حاجة الضفة إلى نحو٨٣ مرشداً آخر. ومن هنا أصبح عدد الوحدات التي يقوم على خدمتها كل مرشد زراعي ٤٤٤ وحدة عام ١٩٨٢ بدلاً من ٢١٧ وحدة عام ١٩٧٢.

جـ ـ قامت سلطات الاحتلال بالاستيلاء على محطات التجارب الزراعية التي كانت موجـودة قبـل عام ١٩٦٧، واوقفتهـا عن ممارسة المهمات التي وجدت من أجلهـا، وحـولتهـا من مهمة البحث والعمل على تحسين الفعاليات الزراعية، إلى مجرد أراض منتجة لبعض انواع الحبوب، ومن المحطات التي كانت تعمل في محافظـة القـدس، محطـة أريحـا، وتبلغ مسـاحتهـا ٩٠ دونـما، وكـانت محطة لابحـاث البستنـة الشجـريـة (كرمة، حمضيات، زيتون) ومشتلاً لإنتاج اشتال

العنب ومشاهدات تعليمية للمزارعين، اوقفت الأبحاث بها، ويوجد بها موظف واحد بعد أن كان بها ١٥ موظفاً قبل الاحتلال.

د ـ اقفلت دوائر الارشاد الزراعي والبحث العلمي على مستوى الضفة عام ١٩٧٩.

٤ ـ انخفضت نسبة القوى العاملة في الزراعة في الضفة الغربية والقدس، نتيجة لاستقطاب اعداد كبيرة منها للعمل في الأراضي المحتلة قبل عام ١٩٤٨، ونتيجة لهجرة اعداد كبيرة من السكان للعمل خارج الضفة أو مغادرتها نهائياً بسبب الظروف السيئة التي تفرضها سلطات الاحتلال، ومن هنا انخفضت نسبة القوى العاملة في الزراعة من ٤٧٪ عام ١٩٦٩ إلى ٣٠٪ عام ١٩٨١. كما ادى ذلك إلى ارتفاع اجور العاملين بالزراعة مما يزيد في كلفة الانتاج.

٥ ـ مشاكل التسويق:

يعاني الإنتاج الزراعي في الضفة الغربية والقدس من مشاكل تسويقية مختلفة يمكن إجمالها فيما يلي:

آ ـ غلق اسواق الأراضي المحتلة قبل عام ١٩٤٨ أمام المنتجات الزراعية للضفة الغربية، إلا في حالات نادرة كعدم توفر منتجات مماثلة في اسرائيل، أو وجود طلبات لدول خارجية لم تستطع اسرائيل تلبيتها من منتوجاتها، في حين ابقت اسرائيل اسواق الضفة الغربية مفتوحة دون قيود امام المنتجات الاسرائيلية، وهي عادة أقل سعراً من منتجات الضفة نظراً لدعم الحكومة الاسرائيلية للمزارعين لديها، وحرمت مزارعي الضفة من ذلك. وقد برزت هذه الظاهرة بشكل واضح عقب منافسة دول اخرى لاسرائيل في الأسواق الخارجية.

ب ـ تستوعب اسواق الضفة الغربية على سبيل المثال نحو ١٠٪ من انتاجها من الخضروات ونحو ١٥٪ من انتاجها من الحمضيات، و٤٣٪ من زيت الزيتون، أي ان الاستهلاك المحلي من الانتاج الزراعي منخفض إذا ما قورن بالانتاج، ورغم انه يسمح بتصدير نحو ٥٠٪ من الانتاج كحد أقصى إلى أسواق الضفة الشرقية ومن ثم بيعه إلى الخارج، إلا أن فائض الانتاج يبقى

مرتفعا مما يؤدي إلى تدني الأسعار خاصة إذا أخذنا بالاعتبار ما جاء في البند السابق.

جـ ـ ان الهجرة القسرية لأعداد كبيرة من سكان الضفة الغربية عقب الاحتلال عام ١٩٦٧م، بالإضافة إلى الهجرة المؤقتة والدائمة لأعداد كبيرة سنوياً وحتى الآن، أدت وتؤدي إلى تقلص الاستهلاك في الأسواق المحلية.

٦ ـ ارتفاع كلفة الانتاج بنسبة أعلى من ارتفاع الأسعار. مما أدى إلى خفض الأرباح، بل وإلى خسائر جسيمة يتحملها المزارعون، مما ادى إلى تخلي المزارعين عن مهنة الزراعة.

٧ ـ وتعود اسباب زيادة المساحة المزروعة بالزيتون لعدة أسباب منها:

أ ـ كونها من الأشجار المعمرة.

ب ـ صلاحيتها للزراعة في ظروف الضفة الغربية والقدس سواء من حيث المناخ ذو التباين الواضح في كمية الأمطار السنوية أو تضرس المنطقة ووعورتها، وانجراف تربتها. . الخ.

جـ ـ الاتجاه العام ولسنوات عديدة قبل الاحتلال نحو زيادة المساحة المزروعة زيتوناً.

د ـ استبدال اشجار اللوزيات والتفاحيات بأشجار الزيتون، حيث أن اعمار الأولى تعتبر محدودة بالنسبة للزيتون، كما ان قدرتها على تحمل الظروف الطبيعية والبيئية والأمراض أقل من الزيتون، عدا عن مشاكل تسويق انتاجها، وعدم قابليته للتخزين، بعكس انتاج الزيتون.

هـ ـ من أجل مقاومة الاحتلال قام المزارعون العرب بتشجير أراضيهم بالأشجار المثمرة وبأشجار الزيتون بصفة خاصة، لمنع أو عرقلة سلطات الاحتلال من الاستيلاء على أراضيهم.

و ـ قامت بعض الجمعيات الأجنبية بتقديم دعم لأسعار اشتال الزيتون بالإضافة إلى الكرمة واللوزيات رغم كل القيود التي تفرضها سلطات الاحتلال على هذه الجمعيات.

٨ ـ إن عدم تزايد مساحة الأشجار المثمرة بنسبة تتوافق مع تطور الزراعة، يعود إلى عدم سماح سلطات الاحتلال بزراعة الأشجار المثمرة، بل وتمنع زراعتها إلا

بعد الحصول على تصريح رسمي بذلك كما في الحمضيات والكرمة والبرقوق .

٩ ـ عدم توفر مؤسسات تقدم قروضاً أو هبات أو تشجيعاً للمزارعين العرب كما هو متوفر للمزارعين الاسرائيليين، وقامت السلطات بمنع وصول أي دعم للمزارعين العرب من جهات عربية، بل وقامت وتقوم بانفاق معظم المساعدات الأجنبية التي وردت وترد للضفة على المستعمرات الاسرائيلية في الأراضي العربية المحتلة، ولم تسمح بانفاق القليل المتبقي في رفع كفاءة وسائل الانتاج.

١٠ ـ تخضع الضفة الغربية والقدس خضوعاً تاماً لمخططات مركز التخطيط الاسرائيلي عند وضع السياسة الزراعية، ومن هنا تستعد كافة المحاصيل التي يمكن ان تنافس المحاصيل الاسرائيلية من خطة الزراعة في الضفة الغربية.

وفي نفس الوقت انخفضت اعداد الثروة الحيوانية (الأغنام والماعز والأبقار وغيرها) في محافظة القدس في نفس الفترة الى النصف تقريباً. ففي عام ١٩٦٦ بلغ عدد الثروة الحيوانية (٢٨٧٦٠٠) رأساً، انخفضت في عام ١٩٨٣ إلى (١٣٣٩٠٠) رأساً. ويرجع انخفاض الثروة الحيوانية إلى مصادرة الأراضي الرعوية بحجة الأمن وإقامة المستوطنات، وتدهور المراعي، والمنافسة الاسرائيلية في هذا المجال. إذ يتلقى مربو الحيوانات الاسرائيليون دعماً من الحكومة، في الوقت الذي يحرم فيه مربو الحيوانات العرب من أي دعم، مما جعل المنتجات الحيوانية الاسرائيلية منافساً خطيراً للمنتجات الحيوانية العربية، مما ترتب عليه خسارة في مشاريع الثروة الحيوانية. أضف إلى ذلك تناقص الأيدي العاملة الرعوية بسبب استقطاب سوق العمل الاسرائيلي لها، وعدم توفر روس الأموال الكافية، والخدمات البيطرية، والدراسات العلمية التي من شأنها رفع كفاءة قطاع الثروة الحيوانية في القدس والضفة الغربية ككل[1].

ب ـ الصناعة :

أسست في القدس خلال الحرب العالمية الثانية، عدة مصانع للغزل

---

١ ـ المركز الجغرافي الاردني، مرجع سابق، ص ١٦٤ ـ ١٧٣.

والنسيج، عربية واجنبية، إلى جانب الصناعات السياحية التقليدية التي اشتهرت بها المدينة المقدسة، مثل صناعة الشمع بأشكال جميلة مختلفة والذي يباع في الأعياد. وصناعة النقش والحفر في خشب الزيتون حيث يتم حفر المناظر التاريخية المتقنة، والأدوات المكتبية الدقيقة ولعب الأطفال. ومن الصناعات التقليدية الأخرى التي اشتهرت بها المدينة المقدسة، تطريز البيض بالرسوم والتعاريج والزهور التي تبهج النظر. ويذكر المقدسي بأن السبح كانت تصنع في بيت المقدس منذ القرن العاشر الميلادي. وفي عام ١٩٦٣ تأسست في القدس شركة سجاير القدس المساهمة المحدودة برأسمال قدره ٢٠٠ ألف دينار[1]. وقد بلغ عدد العاملين في الحرف والصناعة حسب تعداد عام (١٩٦١) ٢٨٣٠٣ فرداً منهم (٢٧٢٩٩) من الذكور و (١٠٠٤) من الإناث. وبعد الاحتلال الاسرائيلي للمدينة عام ١٩٦٧، توقف الكثير من الحرفيين عن العمل بسبب الاضطرابات، ولم يكن احد من مقاولي البناء العرب قادراً على استئناف اعماله، مما تسبب في تعطيل معظم عمال البناء، وكذلك تعطيل الورش المرتبطة بها كالنجارة والحدادة ومواد البناء، وهي التي كانت توفر العمل لعدد غير قليل من العمال، مما أدى إلى تفشي البطالة ووقوع المدينة في أزمة اقتصادية خانقة.

جـ ـ السياحة :

يلاحظ أن الصناعات الحرفية في القدس كان لها السيادة، وترتبط ارتباطاً وثيقاً بالسياحة، وترتبط مهنة الفندقة بالسياحة ايضاً، والتي كانت متطورة حتى عام ١٩٦٧ . إذ قامت السلطات الاسرائيلية بعد عام ١٩٦٧، باغلاق جميع فنادق المدينة التي تعتبر احد مصادر الدخل الرئيسة في اقتصادها، وفاق عدد العاطلين عن العمل ثلث القوة العاملة. واستمرت الفنادق مغلقة لفترة طويلة، سواء بسبب استمرار نظام منع التجول، اوبسبب امتناع السياح، وخصوصاً اليهود منهم عن النزول فيها. وقد كان عدد اسرّة الفنادق في القدس الشرقية ضعف مثيله في القدس

---

١ ـ مصطفى الدباغ، ١٩٧٦، مرجع سابق، ص ٣٣٣ ـ ٣٣٥.

الغـربيـة . وكـانت الفنـاذق العـربية ذات مستوى رفيع وخدمة افضل واسعار اقل . وبعـد ضم المـدينـة قررت وزارة السياحة الاسرائيلية رفع الأسعار بنسبة ٥٠٪ لتلافي حصـول المضـاربـة بينها وبين الفنادق اليهودية . وقد ادى هذا إلى هبوط عام في عدد نزلاء الفنادق العربية حتى في فترة عيدي الميلاد ورأس السنة . ولم يزد عن ثلث عدد الأسرة[١]، وبقي هذا الوضع المتدهور حتى الآن . وقامت سلطات الاحتلال بمنح رخص للتجـار اليهـود لفتح مكاتب سياحية ومحلات تجارية للتحف الشرقية ، بهدف السيطـرة على قطـاع السيـاحة والخدمات في المدينة ، الذي كان يعمل فيه عدد كبير من السكـان العـرب في المـدينـة . وفي الـوقت نفسـه فرضت القيـود على المـرشدين السيـاحيـين العـرب ، ومنـع تسجيـل أي مرشـد عربي جديـد بهدف تصنيفهم واستبدالهم باليهـود . وكـذلـك منعت سلطـات الاحتـلال ممثـلي المكاتب السياحية العربية من دخول مطار اللد لاستقبال الوفود السياحية بحجة الأمن .

د ـ المواصلات والنقل :

وبنفس الطريقة السابقة تم تصفية قطاع المواصلات والنقل في المدينة المقدسة بعد ضمها . إذ قبل الضم بأيام حصلت احدى شركات النقل التعاونية الاسرائيلية (ايغـد) على اذن يسمـح لها باحتـلال نصف مواقف الباصات في المحطة المركزية في القـدس الشـرقيـة ، إضـافـة إلى مكـاتب جميـع شركـات البـاصات العربية . وبدأ الاسـرائيليـون بتشغيـل تسعـة خطـوط للباصات يصل بعضها بين القدس الشرقية والقـدس الغـربيـة ، وسيـّر البعض الآخـر على خطوط المواصلات العربية العامة ، وبـالمقـابـل منعت شركات الباصات العربية من ممارسة نشاطها السابق في النقل بين القـدس والمنـاطق الأخرى في الضفة ، أو المناطق المحتلة منذ عام ١٩٤٨ . وواجهت سيارات الأجرة نفس مصير شركات الباصات ، وسيطر السائقون اليهود على قطاع النقل بسيارات الاجرة مما أضاف بعداً آخر في جمهرة العاطلين عن العمل[٢] .

---

١ ـ سمير جريس ، ١٩٨١ ، مرجع سابق ، ص ١٥٦ ـ ١٥٨ .

٢ ـ سمير جريس ، ١٩٨١ ، مرجع سابق ، ص ١٥٧ .

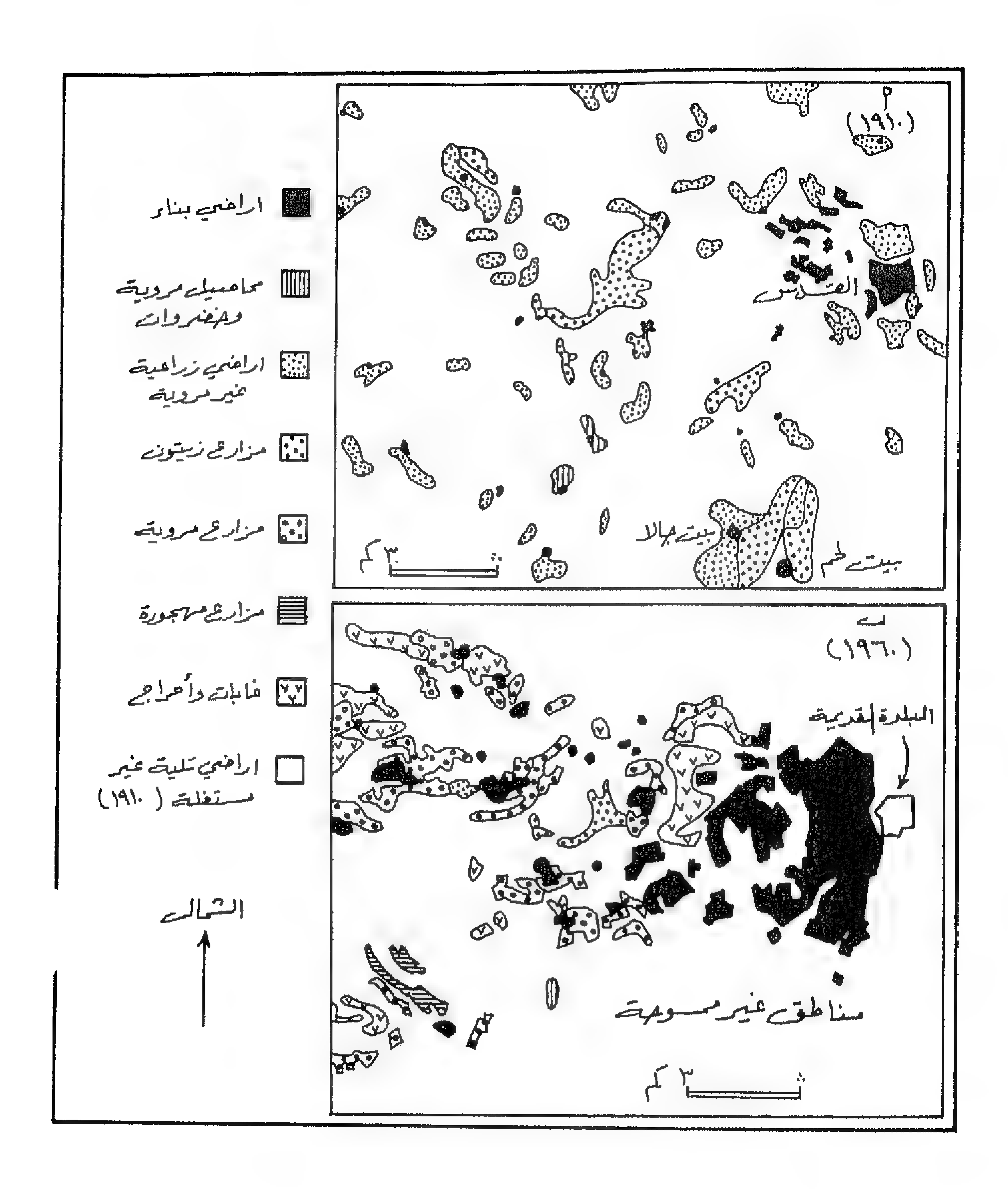
هـ ـ تغير استعمالات الأراضي:

لقد ادى توحيد القدس بعد حرب عام ١٩٦٧، والتغيرات الاقتصادية التي فرضت على المدينة والمحافظة في قطاعات الزراعة والصناعة، والسياحة، والنقل إلى احداث تغييرات جادة في استعمالات الأراضي. وقد خطط الصهاينة لاستعمال الأراضي وتغييرها بعد الاحتلال، كجزء من برنامج تصفية الطابع العام للمدينة والمناطق المجاورة من جهة، وتحطيم الاقتصاد بقطاعاته المختلفة من جهةأخرى.

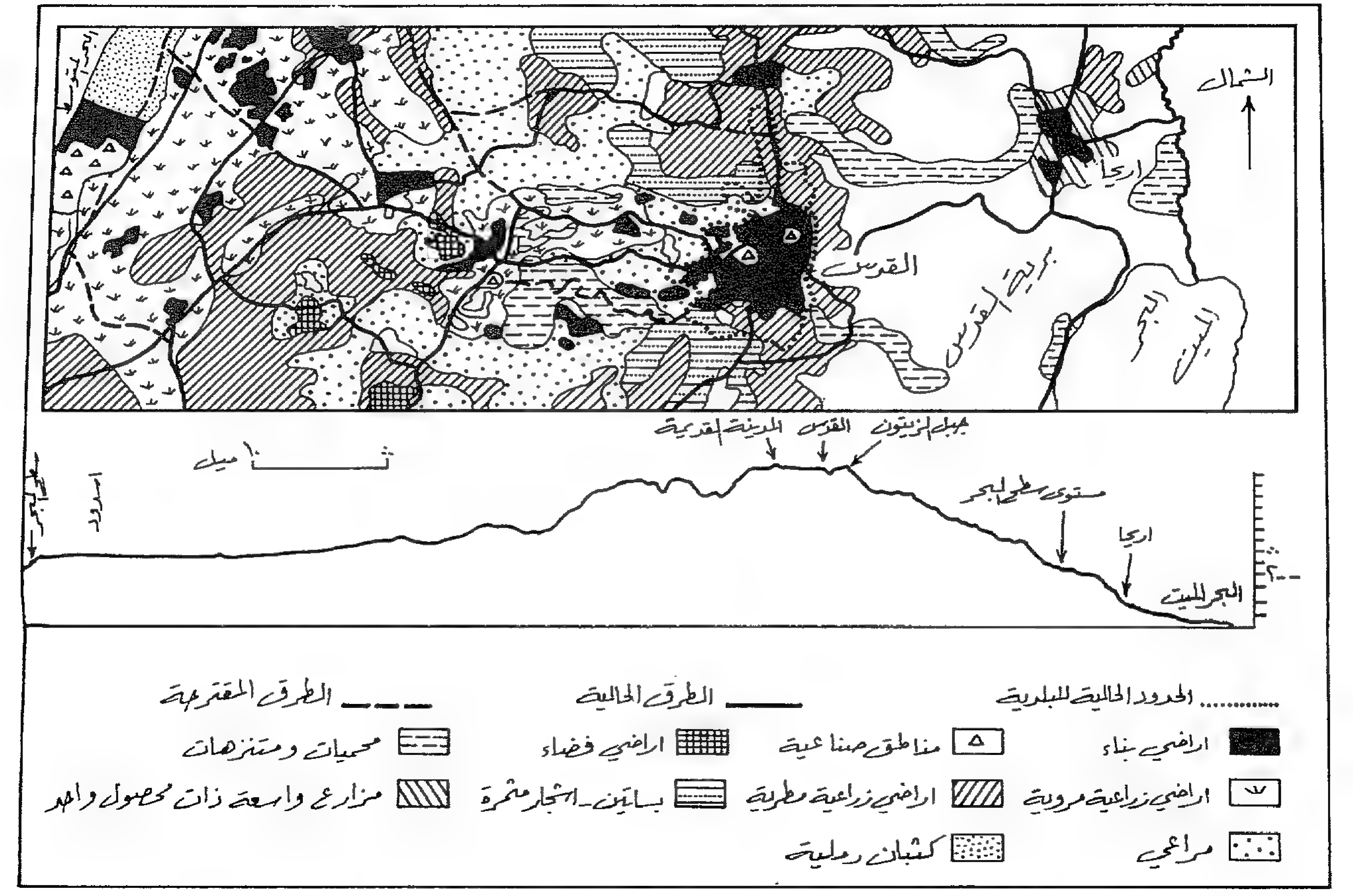
وعند مقارنة خرائط استعمالات الأرض لمدينة القدس والمناطق المجاورة لها لعام ١٩١٠، ١٩٦٠، ١٩٧٠ (أشكال ١٢، ١٣، ١٤) نلاحظ التغييرات الجوهرية التي أجراها اليهود على المنطقة بعد الاحتلال سنة ١٩٤٨، (شكل ١١ب)، وسنة ١٩٦٧ (شكل ١٣ وشكل ١٤). وكيف خطط لتوسيع مساحة الأراضي المخصصة للمؤسسات الدينية اليهودية، والاجتماعية اليهودية، والمتنزهات الوطنية، والابقاء على مساحات كبيرة من أراضي الفضاء بحجة الأمن، ولتوفير الأراضي للتوسيع الاستيطاني، وتقويض الاراضي الزراعية والرعوية العربية. ويتضح من خارطة استعمالات الأراضي في خطة القدس العربية بعد احتلال عام ١٩٦٧، ظهور نمط طاغ من الاستعمالات السكنية التي تمثل مناطق المستوطنات والتي تمثل اطواق الاستيطان التي سبق ذكرها. وكذلك تحويل مساحات كبيرة من برية القدس إلى محميات ومتنزهات بهدف الاستيلاء على المراعي وحصار الرعاة العرب شرقي القدس ومنعهم من الرعي في المنطقة (شكل ١٣).

ونستطيع التأكيد أن سياسة تخطيط استعمالات الأراضي التي وضعها المحتل بعد عام ١٩٦٧[٢] والتي قاموا بتنفيذها قد اسهمت في تغيير المظهر الخارجي للمدينة المقدسة والمناطق المحيطة بها، تغييراً جذرياً وفي فترة قصيرة كخطوة اساسية لتصفية المدينة حضارياً ومن خلال تغيير (المشهد) الحضاري للمنطقة.

٢ـ Sharon, 1973, Op. Cit., 211PP.

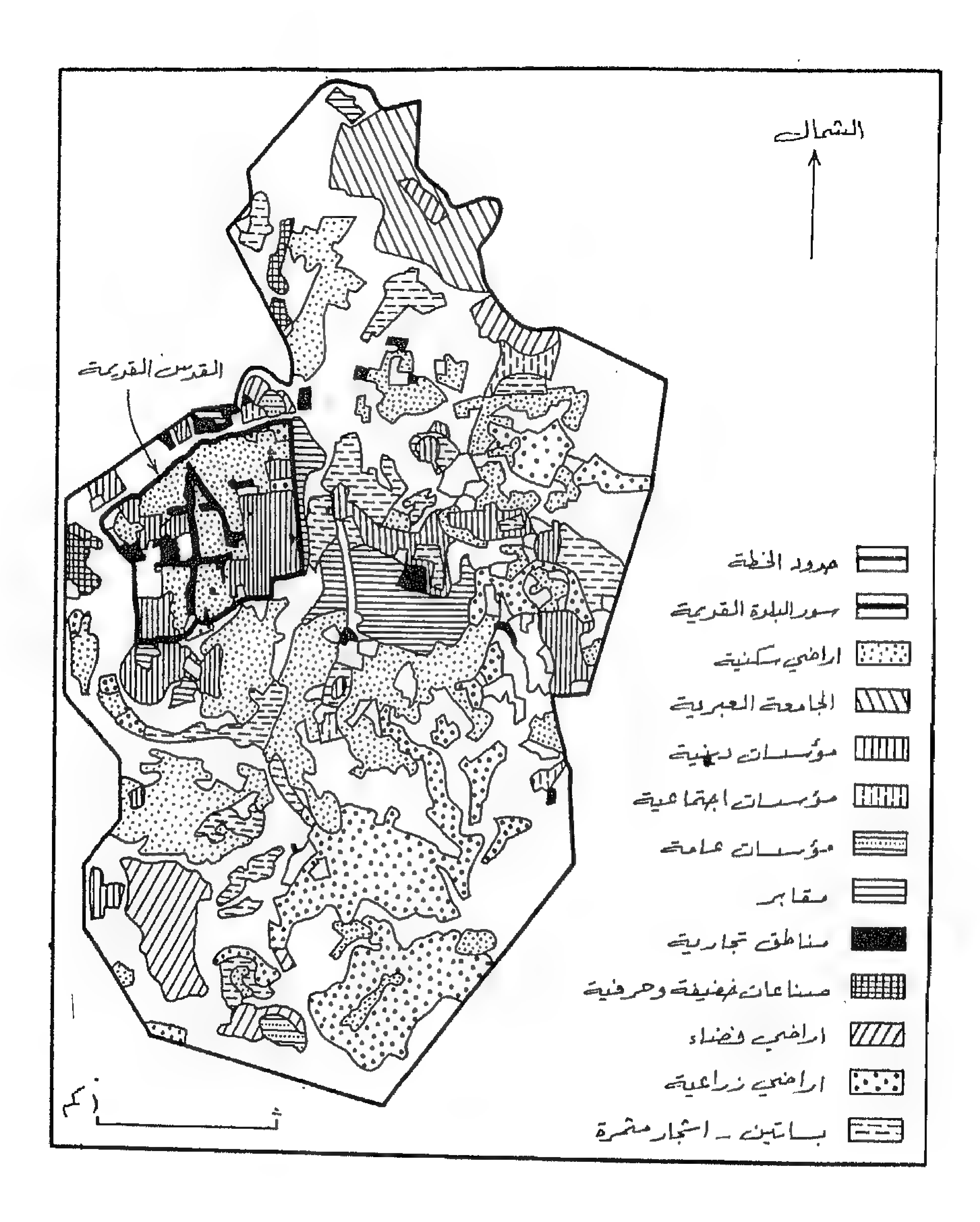


شكل - ١٢ - تغيّر استعمالات الأراضي في فجوة القدس (١٩١٠، ١٩٦٠).



شكل-١٣ - استعمالات الأراضي في المنطقة المحصورة بين البحر الميت والبحر المتوسط مع مقطع طوبوغرافي يبين التضرس في هذه المنطقة.

«عن شارون، ١٩٧٣»



شكل ـ ١٤ ـ استعمالات الأرض في القدس العربية بعد احتلال عام ١٩٦٧ .

«عن شارون، ١٩٧٣»

الفصل السابع

التصفية الحضارية وتهويد المدينة المقدسة

آ ـ نموذج التصفية الحضارية : منظور تاريخي :

أكد منظروا الحركة الصهيونية منذ منتصف القرن الماضي ، بأن هدف الحركة الصهيونية هو احتلال القدس وجعلها عاصمة (لاسرائيل) . وكان استيطان القدس من أهم ركائز الدعوة لدى زعماء الصهيونية الذين كانوا يردّدون أمام بسطاء اليهود في العالم باستمرار احد المزاعم اليهودية التي تقول : «ان اقدامنا كانت تقف عند ابوابك يا قدس، يا قدس التي بقيت موحدة»[1] .

ومما يسترعي الانتباه ان القوانين العثمانية كانت تنص بصراحة ووضوح ، على منع بيع الأراضي والعقارات في القدس وضواحيها لليهود، نظراً لأن القدس لها مكانتها المقدسة في التراث اليهودي وتستحوذ على مشاعر اليهود الدينية ، ولذلك مارست الإمبريالية البريطانية ضغطاً شديداً على الدولة العثمانية لتعديل القانون العثماني ، بحيث تصبح القدس مدينة مفتوحة لليهود، يحق لهم استملاك الأراضي والعقارات فيها، وقد تحقق ذلك في عام ١٨٤٩ حينما نجح مونتفيوري ، في الحصول على فرمان من السلطان عبد المجيد سمح بموجبه لليهود بشراء الأراضي ، وتمكن مونتفيوري عام ١٨٥٥ نتيجة تدخل بريطانيا ، من شراء أول قطعة أرض في القدس أقام عليها أول حي سكني يهودي في فلسطين ـ وفي القدس بالذات وعرف فيما بعد باسم «حي مونتفيوري» . وكان الهدف الذي تسعى إليه بريطانيا من وراء السماح

---

١ ـ الموسوعة الفلسطينية، مرجع سابق، ص ٥٢١

لليهـود بالتملك وشـراء الأراضي في فلسطـين، وبخـاصـة في القـدس، هوتشجيع اليهود على الهجرة إلى فلسطين[1].

ولـذلـك كانت بدايـة مواطىء القدم للصهاينة في فلسطين من القدس «قلب العقيدة»، ليمتد بعدها كالأخطبوط في أرجاء فلسطين. ومع انتهاء الحرب العربية - الاسـرائيليـة عام ١٩٤٨، تمكنت القوات الاسرائيلية من تحقيق الحلم الصهيوني في إقـامـة دولـة لليهـود، واحتلت بذلك ٨٤٪ من المساحة الكلية لمدينة القدس، حيث بقيت البلدة القـديمـة فقط بأيدي العرب. وقد ترتب على ذلك فقدان احياء عربية كاملة، وتهجـير سكـان القدس الفلسطينيين واحلال المهاجرين اليهود محلهم وإقامة احياء سكنية يهودية جديدة، وهدم القرى التابعة للمدينة.

واشتـدت عمليـات التصفيـة الحضارية والتهويد عقب حرب ١٩٤٨، حيث أصبـح التـوزيـع الجغـرافي للسكـان اليهـود والعـرب في القدس على النحو الآتي: ٨٤,٢٪ يهوداً و ٢,٩٪ عرباً. وعلى منحدرات القدس كان يتواجد (١٢) مستعمرة في عام ١٩٤٨، وارتفع عدد المستعمرات بسرعة كبيرة ليصل إلى (٦٤) مستعمرة في عام ١٩٦٧[2]. وقـد رافق ذلـك تدمـير (٢٩) قريـة من أصل (٣٣) قرية من القرى التـابعـة للقـدس عام ١٩٤٨[3]، وهـو مخطـط يؤكد على أهمية تغيير معالم (المشهد) الحضـاري والطبيعي لمدينـة القـدس وقـراهـا، بالنسبة للصهيونية، وبسرعة كبيرة، لخداع الرأي العام العالمي من جهة، وتأكيد سيطرتهم على المدينة المقدسة من جهة اخـرى. وأمـام الـوضـع الحسـاس للمـدينـة، ولادراك الاسرائيليين لحق العرب في القـدس الغـربية (القطاع اليهودي)، اقترح موشي ديان خلال حرب ١٩٤٨ عندما كان قائـداً لمنطقـة القـدس الغـربية، ان يتم تقسيم المدينة إلى احياء يهودية واخرى عربيـة، تتضمن اخـلاء اسـرائيـل للأحيـاء العربية في القدس الغربية (القطمون، الكـولـونيـة الألمانية، البقعة التحتا، البقعة الفوقا)، كذلك على أن يمر خط الحدود

---

١ - أمين محمود عبد الله، مرجع سابق، ص ٢٣.

٢ - مهـدي عبـد الهادي، ١٩٧٨، المستوطنات الاسرائيلية في القدس والضفة الغربية (١٩٦٧ - ١٩٧٧)، القدس، ص ١٥١.

٣ - عبد الرحمن أبو عرفة، ١٩٨١، الاستيطان: التطبيق العملي للصهيونية، دار الجليل للنشر، ص ٧٠، ٢٠٩.

من غرب قرية المالحة. بالإضافة إلى ذلك اقترح ان تقوم اسرائيل باخلاء المواقع العسكرية في جبل صهيون ودير ابو طور ورامات راحيل والطالبية ومكور حاييم، وذلك مقابل ان يصبح الحي اليهودي في البلدة القديمة تحت اشراف دولي. وضم جبل سكوبس والمنشآت اليهودية فوقه إلى القسم الذي تحتله اسرائيل. ونظراً لعدم الاتفاق في حينه على هذا الأمر ونتيجة للإحتلال الاسرائيلي لبقية المدينة عام ١٩٦٧ اصبح موضوع الأجزاء العربية في القدس الغربية متجاهلاً حتى الآن[١]. ومن هنا نجد ان الأهداف والادوات الصهيونية تتغير عما كانت عليه في نهاية القرن التاسع عشر، فالجيوبولتيكا الصهيونية هي نفسها: التغلغل والاحتلال والتوسع والطرد والاحلال بسكان يهود، والاستيطان المتسارع، وتغيير المعالم الحضارية والتاريخية.

راعت الصهيونية في جميع تلك المراحل نشر الدعايات الصهيونية الباطلة، والبحوث الزائفة التي تدعي بان فلسطين «أرض بلا شعب» ويجب ان تعطى إلى «شعب بلا أرض». وركزت في هذا المجال على منطقة القدس أيضاً وبالتحديد، حيث نشرت دراسات تدعي أن حوض وادي الصرار الذي يمتد بين القدس ويافا أرض غير معمورة، وتزداد معدلات القرى المهجورة كلما اتجهنا من الساحل باتجاه الجبل، وان السبب في ذلك سوء استعمال الأراضي من قبل السكان الفلسطينيين، وعدم قدرتهم على ادارة الأرض، وتسارع عمليات انجراف التربة وانخفاض القدرة الانتاجية الزراعية، مما ادى تدريجياً إلى اخلاء القرى الزراعية وهجرها. بحيث اصبحت المنطقة خالية من السكان[٢]. وللرد على هذه المقولة نؤكد بأن قرى جبل القدس وفلسطين التي وردت في دراسة هيتروت وعبد الفتاح عن الجغرافية التاريخية لفلسطين وشرق الأردن وجنوب سوريا في نهاية القرن السادس عشر كانت معمورة تماماً، وهي نفسها التي كانت معمورة عام ١٩٤٨ عند احتلال الصهاينة لفلسطين، مما يؤكد استمرار العمران الحضري والريفي في فلسطين وعدم

---

١ ـ عبد الرحمن أبو عرفة، مرجع سابق، ص ٢٢١.

٢ ـ Lowdermilk, W.C., 1943, Lessons from the Old World to the Americans in Land use. Smithsonian Report for 1943, pp. 413-28.

انقطاعه[1]، بالرغم من فقر الفلاح الفلسطيني بسبب موجات القحط والجفاف وزحف الجراد، واعباء الضرائب (وبخاصة في أواخر العهد العثماني)، والديون الباهظة الفائدة، وظلم الحكام، وسوء معاملة المتنفذين للفلاح. ثم جاءت الحركة الصهيونية نفسها لتزيد من افقار الفلاحين الفلسطينيين عندما استولت على أراضيهم وطردتهم منها، فاضطروا للعمل اجراء ومزارعين لدى اصحاب الاملاك. واضطرار بعض الفلاحين إلى الهجرة إلى اوروبا وامريكا بسبب سوء الاحوال الاقتصادية، في الوقت الذي زادت الهجرة اليهودية إلى فلسطين وتجريد الفلاحين من أراضيهم[2].

وبالمقابل نشر الجغرافي الاسرائيلي زفي رون (Zvi Ron) من جامعة تل ابيب دراسة حديثة يؤكد فيها بان قرى جبال القدس وغيرها من جبال فلسطين، قد استخدمت طرائق متطورة لاستغلال مياه الينابيع، حيث شيدت قنوات الري بأساليب متقدمة لاستعمال مياهها في الزراعة المروية. وقد ارجع فترة ظهور هذه الطرائق واستعمالها منذ بداية القرن الأول الميلادي (أي الفترة الرومانية). ولا تزال مياه الينابيع تستغل بنفس الطريقة حتى الآن، مما يؤكد وجود التقنيات المتقدمة في فلسطين، لأغراض جمع مياه الينابيع والاستفادة منها في الزراعة المروية على سفوح الجبال حيث شيدت المصاطب الزراعية. ومن ضمن القرى التي اوردها والتي تستخدم تلك الأساليب في جبال القدس: عين كارم، وبتير، وساطاف، وارطاسي، وابو غوش، والولجة وينابيع وادي فوكين، ونبع عين الخندق المعروف في عين كارم. كما اورد بيانات توضح معدلات التصريف المائي لتلك الينابيع (لتر/ثانية)، والمعدل السنوي للتصريف (متر[3])، واعتمد في تلك القياسات على القياسات التي اجريت عقب حرب حزيران ١٩٦٧. كما اورد اطوال الأنفاق،

---

١ - Hutteroth, W.D., and K. Abdulfattah, 1977, Historical Geography of Palestine, Transjordan and Southern Syria in the late 16 th Century. Erlangen, 225 PP.

٢ - عبد العزيز محمد عوض، فلسطين في أواخر العهد العثماني: ملامح اجتماعية واقتصادية، مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض، المجلد الرابع، ص ٤٠ - ٤١.

وقنوات الري، وطرائق توزيع المياه بالحصص، واماكن المصاطب الزراعية التي تقوم فيها الزراعة على الري[1].

وتؤكد هذه الدراسة من جديد زيف المقولة السابقة، وهي ان قرى جبال القدس كانت مهجورة بسبب انجراف التربة وسوء ادارة الأرض. كما تؤكد على عراقة الفلاح الفلسطيني وخبراته التراكمية في مجال الزراعة المروية والمطرية في جبال القدس وغيرها، ولذلك ليس هناك شك أيضاً في ان وادي البطوف، في شمالي فلسطين يعد من أوائل أقاليم الحضارات الزراعية القديمة. وللأسف سخرت الحقائق العلمية عن فلسطين لخدمة الجيوبولتيكا الامبريالية الصهيونية، وهو نفس الاتجاه الذي طغى على الجغرافيين الاوروبيين والامريكان اثناء الاستعمار الحديث. اذ قبل تكوين الدولة الصهيونية حاول الصهاينة اثبات (بالزيف) ان فلسطين «أرضاً بلا شعب»، وبعد تكوين الدولة اتجه الصهاينة إلى اثبات عراقة فلسطين «أرض الميعاد» وتقدمها التقني في المجالات المتعددة، وهو بالفعل بلد عريق ومعمور على مر العصور وبسكانه العرب وليس اليهود.

ثم جاءت حرب حزيران ١٩٦٧ لتمكن القوات الاسرائيلية من احكام قبضتها على الجزء العربي المتبقي من المدينة، ولتتعاظم بعدها عمليات التصفية الحضارية وتهويد المدينة المقدسة. ففي ٧ حزيران ١٩٦٧ احتلت القوات الصهيونية القدس. وفي اليوم التالي (٨ حزيران ١٩٦٧) كان الحاخام شلوموغورين ـ حاخام جيش الدفاع الاسرائيلي آنذاك ـ يقف على رأس شلة من الجيش بالقرب م الحائط الغربي للحرم القدسي الشريف أوحائط البراق (حائط المبكى)، ويقيم شعائر الصلاة اليهودية معلناً في ختامها ان حلم الأجيال اليهودية قد تحقق، فالقدس لليهود ولن يتراجعوا عنها وهي عاصمتهم الأبدية، وهذا ما أكده ساسة دولة اسرائيل لاحقاً. وفعلاً جاءت الاجراءات الاسرائيلية في مدينة القدس (بل وفي فلسطين جميعها)[2] لتؤكد هذه المقولة.

---

١ ـ Ron, Z.Y.D., 1985, Development and management of irrigation systems in mountain regions of the Holy land. Trans, Inst. Brit. Geogr., 10 (2), 149-169.

٢ ـ Brutzkus, E., 1972, The scheme for spatial distribution of 5 Million Population in Israel. Rural Sociology, 302-316.

وبعد أربعة أيام فقط من احتلال المدينة المقدسة بدأ الصهاينة برنامج التصفية الحضارية وتغيير التركيب الداخلي والخارجي للمدينة. وتمثل ذلك في اجراءات اعمال الهدم والنسف لاملاك عربية داخل السور وخارجه. وفي أقل من اسبوع تم تنفيذ ما يلي:

آ ـ هدم ١٣٥ منزلاً في حي المغاربة يسكنها ٦٥٠ شخصاً.

ب ـ هدم مسجدان في حي المغاربة.

جـ ـ هدم مصنع بلاستيك قرب حي الأرمن في داخل السور يعمل فيه ٢٠٠ عاملاً.

د ـ هدم ما يزيد على مئتي منزل ومخزن في المناطق المختلفة.

ثم اعلنت الحكومة الاسرائيلية ان العملة الاسرائيلية هي العملة المقبولة في المدينة المقدسة. وفي يوم الثلاثاء ٢٧/٦/١٩٦٧، اقرّ الكنيست ضم القدس العربية إلى القدس الاسرائيلية. وفي اليوم التالي نفذ وزير الداخلية قرار الكنيست اليهودي بتوسيع حدود بلدية القطاع اليهودي من القدس بحيث يشمل القدس القديمة وضواحيها التي تقع ما بين المطار وقرية قلنديا شمالاً وحدود الهدنة غرباً، وقرى صور باهر وبيت صفافا جنوباً، وقرى الطور والعيسوية وعناتا والرام شرقاً. وفي يوم الخميس ٢٩/٦/١٩٦٧ ابلغت الشرطة العسكرية روحي الخطيب أمين القدس (رئيس البلدية) وأعضاء المجلس البلدي أن البلدية والمجلس قد حلا، والحق موظفوها وعمالها ببلدية القدس المحتلة منذ عام ١٩٤٨. وفي هذا اليوم رفعت جميع الحواجز التي كانت تفصل بين قطاعي القدس، وبدأ سكان القطاعين يتنقلون من جانب إلى آخر بدون الحاجة إلى تصاريح رسمية[١].

كذلك أصدرت الحكومة الاسرائيلية ما يسمى «أمر القانون والنظام رقم ١ لسنة ١٩٦٧» واخضعت بموجبه منطقة تنظيم القدس للقوانين والنظم الإدارية الاسرائيلية[٢].

يتضح مما سبق ان حرب حزيران ١٩٦٧، قد تمخضت عنها في الأسابيع

١ ـ مصطفى مراد الدباغ، ١٩٧٦، مرجع سابق، ص ٣٠٤ ـ ٣١٠.

٢ ـ الموسوعة الفلسطينية، مرجع سابق، ص ٥٢٢.

الأولى تغـيرات حادة على أوضـاع السكـان العرب في المدينة المقدسة . ففي الوقت
١٣٠ الـذي توقف فيـه النمـو العمـراني بسبب الأحـوال الاقتصـاديـة السيئة التي اعقبت الاحتـلال والاجـراءات الاسـرائيلية المتمثلة في مصادرة الأراضي التابعة للمواطنين العـرب ، ومنـع اصـدار رخص جديـدة للبنـاء ، فقد احتل الوضع السكاني للمدينة نتيجـة لعـزل القـدس عن المنـاطق العربية المجاورة ، وعزل سكان الأراضي المحتلة ككل عن الأعداد الكبيرة من السكان التي كانت تقطن خارج هذه المناطق بحثاً عن الـرزق . وبـالـرغم من عمليـات شمـل العائلات التي شرع بها فيما بعد إلا أن عدة آلاف من السكـــان العـــرب وقسم كبـير منهم من القـدس لم تتمكن حتى الآن من الإقامة في المدينة (يقدر عددهم بثمانية آلاف مواطن) . كذلك فإن عمليات الإرهاب والضغط النفسي التي رافقت الاحتلال الصهيوني اسهمت في تخفيض عدد السكان منذ الأيام الأولى من الاحتلال[1] .

وفي ٣٠/٧/ ١٩٨٠ ، وبعد ثلاثة عشر عاماً من اجراءات التصفية الحضارية والضم والتهـويد ، اقرّت الكنيست الاسرائيلية ما سمي «القانون الأساسي للقدس المـوحـدة» الذي نصّ على اعتبار مدينة القدس بشطريها عاصمة موحدة (لاسرائيل) ومقراً لرئاسة الدولة والحكومة والكنيست والمحكمة العليا . ويدعو القانون إلى اتخاذ الاجراءات التي من شأنها تنفيذ نصوص هذا القانون[2] .

ب ـ ابعاد التصفية الحضارية :

ويمكن ايجاز اجراءات التصفية الحضارية وتهويد القدس فيما يلي :

١ ـ تغيير التركيب الداخلي لمدينة القدس العربية مع التركيز على المدينة القديمة ، وتغيـير هوامش المـدينـة . ووضـع خطة متكاملة عام ١٩٧٢ تحمل اسم «خطة التنمية الخاصة» لاعادة تخطيطها بهدف تغيير معالمها الحضارية . وقد اخذ بعين الاعتبـار عنـد وضـع الخطـة العـوامـل الطـوبـوغرافية والديموغرافية والمعمارية

---

١ ـ عبد الرحمن أبو عرفة ، مرجع سابق ، ص ٢٢٢ .

٢ ـ الموسوعة الفلسطينية ، مرجع سابق ، ص ٥٢٢ .

والتـاريخيـة والاقتصـاديـة والاجتـماعيـة والجغرافية . موضع اسقاطات تخطيطية مستقبليـة حتى سنـة ٢٠٠٠ ، لتغيـير معـالم مدينـة القـدس وهـوامشها تماماً ، وتخطيـط امـاكن الحفـريـات الأثـريـة ا' اهنة والمستقبلية بدعوة تدعيم التاريخ المزيف لليهود[١] .

وفي الحقيقـة بدأ التغيـير في الأسبـوع الأول من احتلال القدس العربية عام ١٩٦٧ . وتمثـل ذلـك بهدم «- ي المغـاربـة» واجلاء سكانه ، واجلاء قسم كبـير من سكـان «حـير الشـرف» وعـزل احياء عربية كاملة عن القدس نتيجة لحدود البلديـة الجـديـدة . وقد ادت هذه الاجراءات الفورية إلى مصادرة نحو ٢٠٪ من مساحة البلدة القديمة ، وطرد أكثر من ٧٥٠٠ فلسطيني خارج اسوار المدينة ، ومصادرة ٦٣٠ عقاراً ، وهدم ١٣٥ عقاراً . وقد ادى تعيين الحدود الجائر إلى جعـل عدة آلاف من المـواطنـين الفلسطينيين خارج حدود البلدية . واختل بذلك الميزان الديموغرافي وأصبح (٣ إلى ١) لصالح اليهود ضمن حدود البلدية[٢] .

وبـاختبـار التخطيـط قصـير الأمـد والتخطيـط بعيد المدى الذي وضعه الصهاينة ، يمكن ايجاز اهداف الاجراءات الصهيونية بالنقاط التالية :

آ ـ تركيز اغلبية سكانية يهودية في القدس ، بحيث تكون العامل الحاسم في أي اتفاق مستقبلي حول المدينة .

ب ـ خلق حقائق مكانية تمنع تقسيم المدينة مجدداً .

جـ ـ محاصرة القدس العربية بما فيها البلدة القديمة استراتيجياً ، وذلك بتوطين السكان اليهود بكثافة عالية تلغى عملياً أي اهمية لاحتمال اعادة تقسيم المدينة ، اوتسليم القسم الشرقي منها لسلطة اخرى .

د ـ عزل القـدس العـربيـة عن المـراكز العمرانية الحضرية والريفية الأخرى في الضفة الغربية ، من خلال تواجد تجمعات سكانية يهودية ضخمة .

هـ ـ دفع المواطنين الفلسطينيين إلى اقامة المساكن خارج الحدود البلدية .

---

١ ـ on, A., 1973, Planning Jerusalem: The Old City and its Environs, Weidenfeld and Nicolson, Jerusalem,311 PP.

٢ ـ عبد الرحمن بن عرفة ، مرجع سابق ، ص ٢٢٣ .

ولتنفيـذه هذه الأهـداف شرعت السلطـات الصهيـونية بعمليه مزدوجه ارتكــزت على السيطــرة الاجــرائيــة على أراضي المواطنـين الفلسطينيـين واستهـدفت اقامة تجمعات استيطانية ضخمة مستفيدة من الوضع الطوبوغرافي للأراضي المحيطـة بالمـدينـة، وكـذلـك منـع العـرب من بناء المساكن بتضييق مساحة الرقعة المسموح بالبناء فوقها، وتعقيد اجراءات الحصول على الرخص للبناء ومنعها في أغلب الأحوال[1].

ـ تهويد المرافق والخدمات العامة: وذلك بالغاء الادارات العربية ونقل قسم منها إلى خارج مدينة القدس، وربط شبكتي المياه والهاتف بالقدس الغربية المحتلة منذ عام ١٩٤٨. والحاق الدوائر العربية بالدوائر الاسرائيلية مثل عمال وموظفي بلديـة القـدس العـربيـة. وسن تشـريـع يفـرض على اصحاب المهن العرب الالتحاق بالمؤسسات الاسرائيلية حتى يسمح لهم بمزاولة مهنهم.

٢ ـ تركيز المؤسسات السياسية والادارية الصهيونية في مدينة القدس العربية وذلك بنقـل عدد من الـوزارات والـدوائـر الـرسمية الاسرائيلية إلى القدس العربية. ومنهـا محكمـة العـدل العليـا، ووزارة العـدل، ومقـر رئاسة الشرطة، ومكاتب الهستـدروت، ووزارة الاسكـان، ومكـاتب المؤتمـر الصهيـوني، ومقـر رئـاسة الـوزراء. كما طلبت الحكـومة الاسرائيلية من الدول الأجنبية نقل سفاراتها إلى القدس المحتلة، وقد نفذت بعض الدول الامبريالية هذا الطلب.

٤ ـ طمس الثقافة الوطنية وتهويد التعليم والثقافة. وتمثل ذلك بالغاء مناهج التعليم العـربيـة في المـدارس الحكـوميـة بمـراحلهـا الثـلاث، وتطبيق منهـاج التعليم الاسـرائيـلي. والاستيلاء على متحف الآثار الفلسطيني، وحظر تداول الآلاف من الكتب الثقـافيـة والعلميـة العـربيـة والاسلامية، ومراقبة النشر والصحافة مراقبة صارمة، واطلاق الاسماء اليهودية على الشوارع والساحات في القدس العربية[2].

٥ ـ تهويد القضاء بنقل مقر محكمة الاستئناف من القدس إلى رام الله. وفك ارتباط

---

١ ـ عبد الرحمن أبو عرفة، مرجع سابق، ص ٢٢٣.

٢ ـ الموسوعة الفلسطينية، مرجع سابق، ص ٥٢٢.

القضاء النظامي في مدينة القدس عن الضفة الغربية، والحاق مواطني القدس بالمحكمة الشرعية في مدينة يافا المحتلة منذ عام ١٩٤٨. وتطبيق القوانين الاسرائيلية الجزائية والضريبية على مواطني القدس العربية واخضاعهم للقضاء الاسرائيلي.

٦ - تحطيم البنية الاقتصادية الوطنية للقدس. وعزل القدس جمركياً واقتصادياً وعمالة عن الضفة الغربية، واخضاع المرافق الاقتصادية والتجارية العربية لنظم الضرائب الاسرائيلية، ولاسيما ضريبة القيمة المضافة تمهيداً لتصفيتها والاستيلاء على شركة كهرباء القدس وتصفيتها باعتبارها المرفق الاقتصادي العربي الأكثر اهمية في القدس.

٧ - محاولات تدمير المقدسات والتراث الديني الإسلامي والمسيحي في القدس القديمة. وقد تمثل ذلك في القيام بعدد من الاجراءات اللا أخلاقية ضد الأماكن المقدسة الاسلامية والمسيحية بهدف تدميرها وتشويه الطابع الحضاري لمدينة القدس وازالة الأماكن المقدسة، والقضاء على ما تمثله هذه الأماكن من ارتباطات اسلامية ومسيحية بالمدينة المقدسة. ومن الأمثلة التي يمكن ايرادها في هذا المجال:

آ - اقامة الحفريات حول المسجد الأقصى المبارك وتحته بحجة العثور على الهيكل الذي تدّعي (اسرائيل) وجوده في منطقة المسجد الأقصى. وقد بدأت الحفريات عقب حرب ١٩٦٧ مباشرة ولا تزال مستمرة حتى الآن. وقد مرت هذه الحفريات بمراحل ادت إلى هدم وتصديع الكثير من المباني والعقارات الاسلامية المجاورة للمسجد الأقصى.

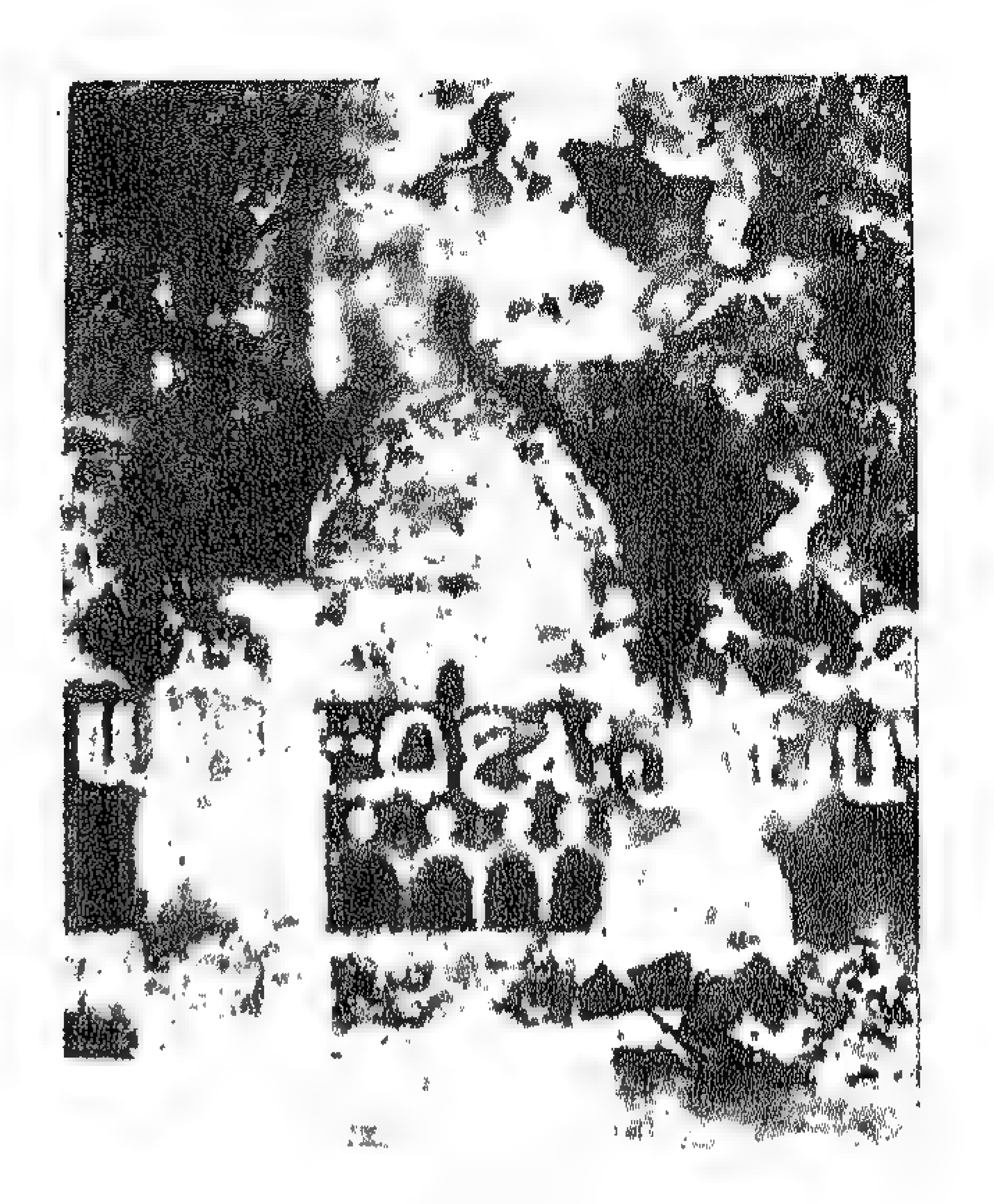
ب - احراق المسجد الأقصى المدبر من قبل سلطات الاحتلال في ١٩٦٩/٨/٢١، وتدبير محاولات نسفه كما حدث في مطلع عام ١٩٨٠ على يد العنصري الحاخام مئير كاهانا، واطلاق النار على المصلين عدة مرات كما حصل عام ١٩٨٢[1].

جـ - الاعتداءات على الأماكن المقدسة الاسلامية والمسيحية، ومحاولة اقامة

---

١ - المركز الجغرافي الاردني، ١٩٨٤، قضية فلسطين في خرائط، ص ٣٢.

الصلوات في ساحة المسجد الأقصى ، وسرقة بعض محتويات كنيسة القيامة ، واستملاك الأراضي التابعة لبعض الأديرة المسيحية في القدس ، والاعتداء على المقابر الاسلامية وتحطيمها كما حصل في مقبرة ماملا .



حرق الأقصى
لوحة لعبد القادر ارناؤوط



الحفريات تحت المسجد الأقصى

«لقد عاش ابناء الديانات السماوية الثلاث في مدينة القدس منذ مئات السنين دون تعصب أو اعتداء على حرمة الاماكن المقدسة لكل ديانة ، ابتداء من الفتحين العمري والصلاحي للمدينة المقدسة وحتى حرب حزيران ١٩٦٧» .

ولا تزال عمليات التخطيط الاسرائيلي ضد المسجد الأقصى المبارك ، مع استمرار محاولات تطويقه والحرم الشريف من الخارج بمصادرة الأراضي المحيطة به ، بحجة إقامة متنزهات واماكن ترفيهية عليها ، تنفيذاً للخطة التي وضعت للمدينة عام ١٩٧٢ . كذلك تتوالى الدعوات اليهودية لاباحة الصلاة وإقامة كنيس يهودية داخل

الحرم الشريف[1]. وتخطط بلدية القدس لمصادرة أرض وقف الامام الملاصقة للمسجد الأقصى المبارك وللقسم الجنوبي من الحرم القدسي الشريف. كما باشرت سلطات الاحتلال في منتصف عام ١٩٨٥ بانشاء متنزه اسرائيلي حول اسوار القدس يهدد باختراق المقابر الاسلامية الواقعة شرقي السور. من جهة اخرى تقوم تلك السلطات بتعزيز الملكية الاسرائيلية جنوبي المسجد الأقصى المبارك، بانشاء بستان على أرض عربية كانت مسرحاً للحفريات غير الشرعية فوق نبع سلوان.

وقد اثارت مخططات سلطات الاحتلال بشأن طمس الحضارة الاسلامية للمدينة المقدسة، واستمرار اعمال الحفريات في القدس علماء الآثار والمعماريين الاجانب كالانجليز والايطاليين. ومن هؤلاء نذكر عالمة الآثار البريطانية كثلين كنيون، مديرة مدرسة الآثار البريطانية في القدس، وعميدة كلية الآثار في جامعة اكسفورد سابقاً، إذ قامت بزيارة مدينة القدس خلال شهر حزيران ١٩٧٢، وزارت مواقع الحفريات فيها، وراعها ما شاهدته من تعمد اسرائيلي من استعمال الحرفيات لا للكشف عن التاريخ كما يدّعون، بل لطمس الحضارة الاسلامية وتاريخ العرب والإسلام في المدينة المقدسة. وإثر ذلك قامت بإرسال رسالة سريعة إلى جريدة التايمز اللندنية نشرتها الجريدة لها في عددها الصادر بتاريخ ١٩٧٢/٨/١٧، جاء فيها:

«كتب في عدة صحف ان السلطات الاسرائيلية قامت بحفريات بجانب السور الغربي للحرم الشريف في القدس. ولقد عدت لتوي من القدس واستطيع التأكيد بان التقارير لم تبالغ فيما كتب. وهناك دلائل تؤكد على استمرار الحفريات على طول سور الحرم حيث تنتشر اروع الأبنية الاسلامية التي بنيت في القرون الوسطى خارج القاهرة. ان اتلاف هذه الابنية يعتبر جريمة كبرى»[2].

١ - روحي الخطيب، ١٩٨٥، من زوايا الصحف الاسرائيلية، مجلة القدس الشريف، العدد الثامن، ص ٥٦ - ٥٧.

كامل العسلي، ١٩٨٦، الأطماع الصهيونية في الحرم القدسي الشريف منذ العهد العثماني وحتى اليوم، جريدة الشعب، ١٦ كانون الثاني.

٢ - روحي الخطيب، ١٩٨٥ المماليك في القدس: حمايتهم ورعايتهم لها وحضارتهم فيها، مجلة القدس الشريف، العدد الثامن، ص ٦٨ - ٦٩.

واوعـزت الاستاذ كنيون إلى مساعديها في مدرسة الآثار البريطانية بالقدس، بتصوير ومسح الممتلكات الاسلامية القائمة، وجمع المعلومات التاريخية عن كل منها. والمبـاشـرة بطبعهـا واعدادها للتوزيع على نطاق واسع. واستعانت المدرسة المذكورة بدائرة الأوقاف الاسلامية في القدس. وتمكنت بعدها من اصدار النشرات التالية:

أ ـ «بعض الأبـواب المملوكيـة في القـدس»، نشر في المجلد الثالث من مجلة المدرسة عام ١٩٧١.

ب ـ «طـريق باب الحـديـد» وهـو البـاب الـذي يثوي في احد عقاراته جثمان الملك حسين بن علي. نشر في المجلد الخامس من المجلة نفسها عام ١٩٧٣.

جـ ـ «المكتبة الخالدية»، نشر في المجلد السادس من المجلة ذاتها عام ١٩٧٤.

د ـ «استمـرار مسـح مركب ربـاط الكرد والمدرسة الجوهرية في باب الحديد «نشر في المجلد السادس أيضاً.

هـ ـ «تربة الأمير الكيلاني» نشر في المجلد السابع من المجلة سنة ١٩٧٥.

و ـ «الهنـدسـة المعـمارية في القـدس الاسـلامية «وقد عرض في معرض المدرسة في المهرجان الاسلامي الذي انعقد في لندن عام ١٩٧٦.

٨ ـ استمرار مصادرة الأراضي:

منـذ ان وقـع الاحتـلال عام ١٩٦٧، قامت السلطـات الاسـرائيليـة مباشرة بمصادرة الأراضي سواء في القدس القديمة، أو في المناطق المحيطة بالقدس العربية وهـذه المنـاطق هي: منطقة الحي اليهودي وحي المغاربة في القدس القديمة، منطقة جبل سكوبس، أراضي قرية بيت صفافا وشرفات وبيت جالا، أراضي منطقة النبي يعقـوب، أراضي منطقـة الشيخ جراح، أراضي منطقة شعفاط، أراضي قرية صور باهر، أراضي منطقة قلندية.

واستمرت عمليات مصادرة الأراضي في مراحل لاحقة. وتمثل ذلك في زيادة المساحات المصادرة في منطقة بيت جالا، والنبي يعقوب، وعناتا، والعيزرية، والنبي صمـويـل. وسن الاسرائيليون قوانين بمنع البناء في مساحات واسعة شملت مختلف منـاطق المـدينـة، وأعلن عن مناطق اخرى كمساحات خضراء يمنع البناء بها. وقد

تربب على هذه الاجراءات مصادرة الأراضي ومنع البناء في جميع الأراضي العربية التي كانت تشكل الاحتياطي لتوسع المناطق السكنية العربية في ضوء الزيادة السكانية المحلية. ولم يتبق لهؤلاء المواطنين سوى بعض قطع الأراضي الصغيرة المتناثرة ضمن المناطق السكنية المقامة عام ١٩٦٧. وقد بلغت مساحة الأراضي المصادرة (٥٦٠٠٠) دونماً من أصل (٦٣٠٠٠) دونماً هي مساحة القدس العربية حسب الحدود البلدية التي خططت عقب عام ١٩٦٧. اما في القدس القديمة فمن مجموع ٤٠ دونماً مملوكة لليهود قبل عام ١٩٤٨ قامت سلطات الاحتلال بمصادرة ٢٥٠ دونماً تمثل نحو ٢٦٪ من مجموع مساحة البلدة القديمة. يضاف إليها ٣٠ دونماً من الاحياء الاسلامية الملاصقة للمسجد الأقصى ومن مجموع الـ ٧٠٠٠ دونم التي لم تصادر يمكن تصور المساحة الباقية للعرب بعد اسقاط المساحات الخضراء والحدائق والمرافق العامة الأخرى، علماً بأن المساحة المخصصة للسكن في شطري القدس حسب مشروع المخطط الهيكلي هي (٤١٠٠٠) دونماً تحتل المباني السكنية اليهودية الجزء الأكبر منها[1].

وإذا ما أخذ بعين الاعتبار جميع الأراضي المصادرة في القدس والمناطق المحيطة بها، نجد انها قد بلغت (حتى منتصف عام ١٩٧٩) ٩٧٨٦٤ دونماً. كما بلغ عدد المستوطنات في القدس والمناطق المجاورة لها سبع عشرة مستوطنة. وعدد المستوطنين (٧٦٠٠٠) يهودياً. وبلغ عدد الوحدات السكنية التي تم بناؤها (٢٧١١٨) وحدة سكنية، والعمل جار لانجاز بناء (٤٥٠٠٠) وحدة سكنية[2]. ويعد هذا الوضع تنفيذاً للمشروع الصهيوني الخمسي والهادف إلى تخطيط التوزع المكاني لخمسة ملايين يهودي في الأراضي المحتلة، مع التركيز على الاسراع بزيادة عدد سكان مدينة القدس الكبرى ووضع اسقاطات لعدد سكانها عام ١٩٩٢م. ويبين الجدول (١٣) تطور عدد سكان مدينة القدس الكبرى منذ عام ١٩٦١ وحتى عام ١٩٩٢، حيث تتضح مخططات السلطات الصهيونية في الاسراع بتهويد المدينة ديموغرافياً[3].

---

١ ـ عبد الرحمن أبو عرفة، مرجع سابق، ص ٢٢٣ ـ ٢٢٥.

٢ ـ Abu Ayyash, A. I.1981, Israel planning policy in the occupied territories, Jour. of Palestine Studies, Vol. XI (1), P. 117.

٣ ـ Brutzkus, 1972, Op. Cit., p. 313.

جدول ١٣ ـ تطور عدد سكان مدينة القدس الكبرى (بالآلاف)

	١٩٦١	كانون ٢ ١٩٦٥	كانون ٢ ١٩٧٠	١٩٨١	١٩٩٢
عدد السكان	١٦٦,٣	١٩١,٧	٣١٤,١	٤٥٠,٠	٥٦٠,٠
النسبة المئوية من عدد سكان فلسطين	٧,٧	٧,٤	٩,٧	١١,٢	١١,٢
	عن (Brutzkus,1972)				

وبمقارنة الدراسات الآنفة الذكر مع تصريحات الزعماء الرسميين الاسرائيليين نجد ان الرسميين الاسرائيليين يطمحون إلى اكثر من ذلك، وهو اسكان مليون يهودي في القدس الكبرى، في غضون العقود الثلاثة القادمة للحفاظ على أغلبية يهودية باستمرار. ولتأكيد ذلك، ارتفع عدد اليهود الذين يقطنون القدس عام ١٩٧٦ إلى (٢٥٦٠٠٠)، بالمقارنة مع (١٩٦٠٠٠) يهودي عام ١٩٦٧. بينما ارتفع عدد العرب من (٦٦٠٠٠) نسمة إلى (٩٦٠٠٠) نسمة خلال الفترة نفسها. ويلاحظ ان عدد السكان العرب المسيحيين بلغ فقط (١١٠٠٠) نسمة مقابل (٢٩٣٥٠) نسمة عام ١٩٤٥. ولأجل تهويد المدينة ديموغرافياً وبسرعة، دعا وزير الاسكان الاسرائيلي في آب ١٩٧٧ إلى تحقيق زيادة سكنية يهودية بنسبة ٧,٣٪ سنوياً للحفاظ على أغلبية يهودية بنسبة ٧٣٪، وبالرغم من التزايد الطبيعي العالي للسكان العرب في المدينة، فإن نسبة تزايدهم انخفضت من ٤,٤٪ عام ١٩٧٦ إلى ٤,٣٪ عام ١٩٧٧ ولا تزال بانخفاض مستمر نظراً لتزايد تدهور الاوضاع الاقتصادية وهجرة اعداد كبيرة من السكان[1].

٩ ـ التخطيط المستمر لاخلاء السكان العرب وعرقلة النمو العمراني في المناطق العربية:

قامت السلطات الاسرائيلية مباشرة بعد الاحتلال بعمليات تهجير للمواطنين

١ ـ عبد الرحمن أبو عرفة، مرجع سابق، ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧.

العرب من خلال تدمير ومسح بعض الأحياء كحي المغاربة وحي الشرف. وكذلك من خلال شركة «اعمار الحي اليهودي» الحكومية. وقد اخذت هذه الشركة على عاتقها عملية تهجير السكان العرب باتباع جميع أساليب الترغيب والترهيب، التي وصلت إلى حد ضرب اساسات المباني وتصديع جدرانها، وبالتنسيق مع بلدية القدس اليهودية. وقامت البلدية بتوجيه انذارات رسمية إلى السكان العرب باخلاء مساكنهم بحجة «السلامة العامة». وبالرغم من رفض السكان العرب اخلاء مساكنهم فقد اجبرت البلدية وبالقوة اخلاء الكثير من هذه المساكن، التي اعيد تصليحها فيما بعد، وسكنت من قبل سكان يهود. ولم يفسح المجال امام المواطنين العرب الرجوع الى المساكن التي تركوها أو حتى شراءها ثانية.

من جهة اخرى قامت السلطات الاسرائيلية بمصادرة اراضي المواطنين العرب في مناطق واد الجوز والعيزرية، لاقامة مساكن بحجة تطوير المناطق السكنية العربية. وقامت ببيع الأرض وما عليها لمواطني من غير ملاك الأراضي مستغلة ذلك الأمر لأغراض الدعاية.

إضافة لما سبق، فرضت بلدية القدس اليهودية اجراءات معقدة لمنح رخص البناء للمواطنين العرب، وكذلك رفض الترخيص في أغلب الأحوال، وفرض رسوم باهظة على رخص البناء، بهدف عرقلة النمو العمراني أو ايقافه في الأحياء السكنية العربية. وقد دفع هذا الوضع المواطنين العرب إلى بناء بعض المساكن بدون ترخيص بعد ان اكتظت مساكنهم. واتهمت الصحف الاسرائيلية، واعضاء البلدية من حزب الليكود بأن العرب يقيمون مستوطنات محصنة دفاعية. واشاروا إلى ٧٠٥ مساكن تمكن العرب من بنائها في القدس فيما بين ١٩٦٨ و١٩٧٤، أي بمعدل يقرب من مئة مسكن سنوياً، وقد طالبوا بهدم تلك المساكن بحجة انها غير قانونية. وبالرغم من تزايد الطلب على المساكن لمواجهة النمو السكاني الطبيعي للمواطنين العرب، إلا ان السلطات الاسرائيلية تمنع بناء أي مسكن في المنطقة[1].

١٠ ـ استمرار التخطيط الاستيطاني وتنفيذ مشاريعه:

يختلف النموذج الاستيطاني في المدينة المقدسة عن سائر الاستيطان في

١ ـ عبد الرحمن أبوعرفة، مرجع سابق، ص ٢٢٦.

الأراضي المحتلة، نظراً لأهمية القدس التاريخية والدينية والحضارية للمسلمين والمسيحيين واليهود. ولذلك بدأت مشاريع الاستيطان والتخطيط لها مباشرة بعد احتلال القدس العربية في حرب حزيران ١٩٦٧. وقد بدأ النموذج الاستيطاني في القدس بمرحلتين هما:

أ ـ مرحلة التمهيد للإستيطان والذي بدأ بعد أربعة أيام من احتلالها (كما ذكرنا آنفا) وتمثل ذلك في هدم احياء سكنية عربية بكاملها وتهجير سكانها، ومصادرة معظم مساحات الأراضي الخلاء في المناطق المتطورة من القدس وهوامشها. وقد وضعت خطة خبيثة لاعادة استعمالات الأراضي تلك تتفق وعمليات التصفية الحضارية والتهويد. كما اوقفت سلطات الاحتلال النمو العمراني في المناطق المتطورة من المدينة سواء قلب المدينة القديم، أو المناطق المحيطة بها. وقام المخططون الصهاينة بوضع خطة طبيعية (Physical Plan) تهدف إلى تغيير معالم المدينة الحضارية بناء على معطيات الواقع البيئي والسياسي ـ وكذلك تغيير استعمالات الأراضي السائدة وتخطيط استعمالات الأراضي الخلاء في المدينة والهوامش، وتحديد المواضع الطوبوغرافية اللازمة لتنفيذ الاستيطان المكثف برتبه المختلفة ابتداء بالاحياء السكنية، والمستوطنات الصغيرة، وانتهاء بالقرى والمدن الاستيطانية بوظائفها المختلفة.

ب ـ تخطيط شبكة الاستيطان بمستوياتها الآنفة الذكر، بحيث تخدم اهداف التغلغل في احياء المدينة المقدسة، وبين القرى المحيطة بها، وتطويقها وعزلها عن مدن الضفة الغربية الأخرى، مع مراعاة التغيير السريع في المدينة وهوامشها، وادخال طراز معماري مصمم وفق اسس الهندسة المعمارية العسكرية، حيث تشكل المباني وبخاصة واجهاتها المطلة على الأحياء والمناطق العربية ليس سوراً محصناً فحسب، بل قلاعاً يمكن استعمالها لأغراض الدفاع والهجوم.

وتمشياً مع أهداف الاستيطان وهو تغيير معالم (المشهد) الطبيعي والحضاري للمدينة وتجذر الاستيطان والمستوطني، فقد تم تنفيذه وفق نظام مدروس من العمليات السياسية المنسقة. كما أخذ بعين الاعتبار في السياسة الاستيطانية التأثيرات والتدخلات الداخلية والخارجية. ويتضح مما سبق بان سياسة الاستيطان

تقوم على أساس معرفة مدخلات البيئة المحلية للمدينة المقدسة وهوامشها بدقة، وتحديد العناصر البيئية التي يجب تغييرها جذرياً[1]. ويشارك في صياغة قرارات الاستيطان النظام السياسي والاحزاب السياسية المختلفة والمؤسسات الصهيونية المحلية والعالمية، والامبريالية (من خلال الدعم المادي والعسكري والبشري)، والجماهير الصهيونية الحاقدة، ومؤسسات الجيش الاسرائيلي. وتؤكد التغيرات الجذرية في (المشهد) الطبيعي والحضاري التي احدثتها سلطات الاحتلال في المدينة المقدسة، تعاظم عملية التصفية الحضارية وتهويد المدينة ومحيطها.

ويتم تخطيط الاستيطان وفق نظام (كرستيلر) المعروف والذي يقوم على اساس انشاء سلسلة من المستوطنات ذات الرتب الوظيفية المختلفة، تربط بينها علاقات وظيفية ايضاً. إذ تقام أربع إلى ست مستوطنات صغيرة حول مستوطنة من رتبة أعلى بشكل بلدة أومركز ريفي. ويقوم هذا المركز بتزويد المستوطنات ذات الرتبة الأدنى بالخدمات الضرورية. وتحيط أربعة أو خمسة مراكز ريفية (أو أكثر) بمستوطنة أكبر وذات رتبة أعلى وتكون مدينة في الغالب. وتقوم المدينة بتقديم خدمات من رتبة أعلى للمراكز الريفية والمستوطنات التوابع (شكل ١٤). وتجدر الاشارة إلى ان شبكة الاستيطان في مدينة القدس وهوامشها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالمتروبول الاسرائيلي المتمثل بالقدس المحتلة.

١١ ـ الاجراءات الاستيطانية[2]:

أولاً ـ الاستيطان في البلدة القديمة: اخذت السلطات الاسرائيلية فور الانتهاء من عمليات المصادرة والهدم داخل البلدة القديمة تقيم تجمعاً أو حياً سكنياً يهودياً فيها. وقد تم حتى عام ١٩٨١ إقامة وترميم ٤٦٨ وحدة سكنية يقدر عدد سكانها بحوالي ١,٨٠٠ نسمة، وبناء سوق تجارية وكنيس للصلاة، أقيمت

١ ـ Harris, W.W., 1980, Taking Root: Israeli Settlement in the West Bank, the Golan and Gaza-Sinai 1967- 1980. Research studies Press, New York, 223 PP.

٢ ـ الموسوعة الفلسطينية، مرجع سابق، ص ٥٢٣ ـ ٥٢٧.

كلهـا على انقـاض أربعة احياء عربية هي حي الشرف وحي الباشورة وحي المغاربة وباب السلسلة .

وقـد جاءت عمليـات الاستيطـان العـاجلة داخـل البلدة القـديمـة مصـاحبـة لاجـراءات التصفيـة الحضـارية والتهويد الأخرى، وعلى رأسها توسيـع ساحـة حائـط الـبراق على حسـاب العقـارات الـوقفية الاسلامية، والشـروع في عمليـات الحفـر تحت الحـائطـين الغـربي والجنـوبي للمسجـد الأقصى، وترحيل الأسر العـربيـة من المنـاطق المجـاورة للحي اليهـودي، واصـدار مختلف التعليمات والقوانين لتجريد العرب من املاكهم، ومصادرة المـزيـد من الأراضي والعقـارات في البلدة القديمة وخارج الاسوار وفي نطاق حدود امانة القدس لعام ١٩٦٧ .

ثانياً ـ الاستيطان في حدود امانة القدس لعام ١٩٦٧ : أما المرحلة الثانية من مراحل استيطـان المـدينـة المقدسة فقد بدأت خلال عام ١٩٦٨ بالشروع في إقامة حزام من الأحياء السكنية اليهودية يحيط بالقدس من الناحيتين الشمالية والجنوبية . وقـد تم حتى الآن إقـامـة تسعـة من هذه الأحيـاء، أحاطت القدس العربية بجـدران من القـلاع الاسمنتيـة الصـماء التي شوهت طابع المدينة الحضاري ومعـالمهـا الجـمالية، الأمـر الـذي حدا باليـونسكو إلى تشكيل لجنة هندسية لدراسـة هذه المسألـة، ومطـالبـة (اسرائيل) بالتوقف عن تشويه طابع المدينة الحضاري بهذه السلاسل من القلاع الاسمنتية .

وفيما يلي الأحياء السكنية التسعة التي تمت إقامتها حتى ١٩٨١ (جدول ١٤) في حدود امانة القدس وعلى مشارف البلدة القديمة (شكل ١٤) :

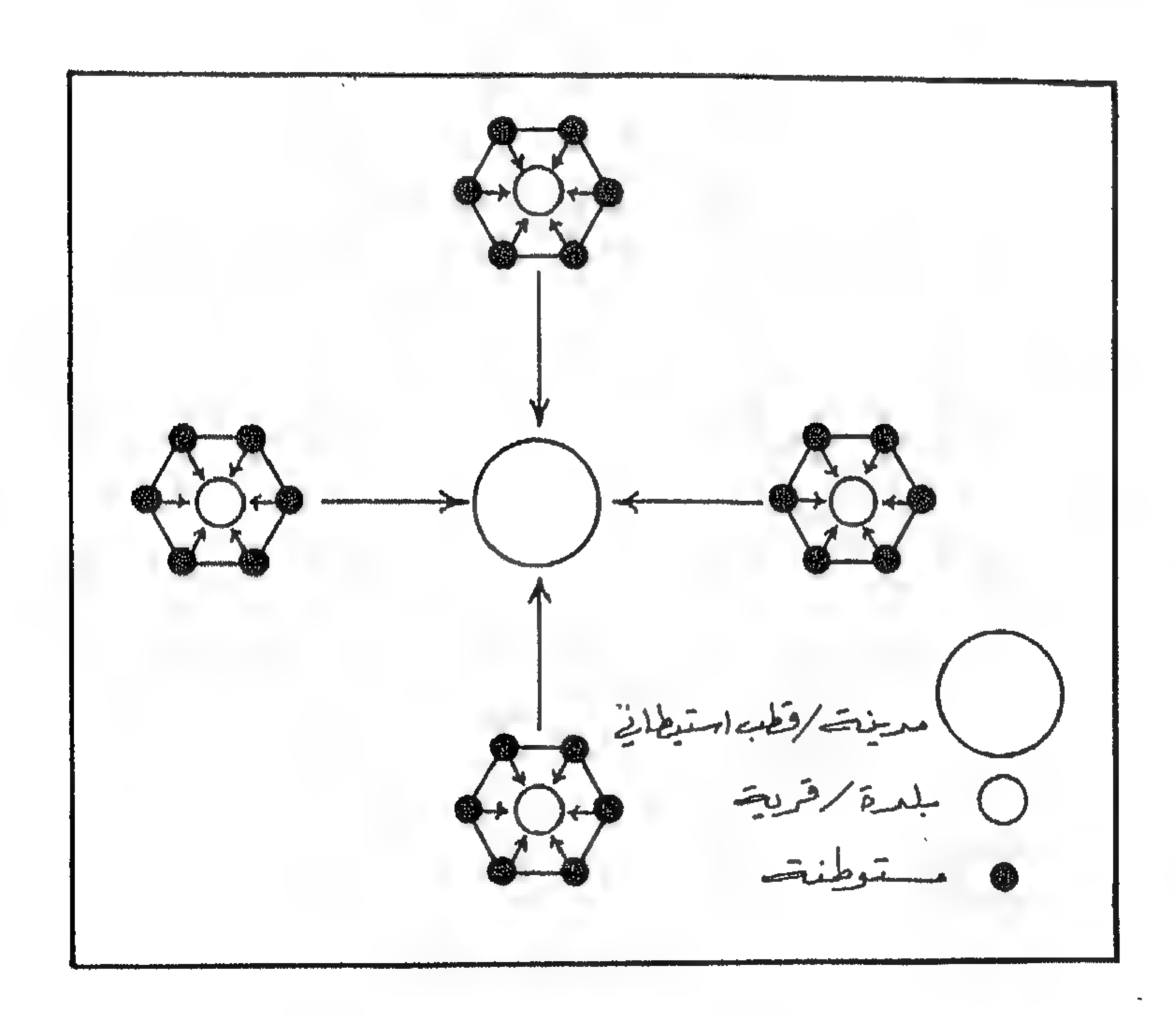
١ ـ حي رامـات اشكـول : بدىء باقـامتـه عام ١٩٦٨ على أراض صودرت من المواطنين العرب وتبلغ مساحتها ٦٠٠ دونماً . ويقع في منطقة الشيخ جراح شمالي غرب القـدس ويضم (٢٠٢٠٠) وحـدة سكنية . ويقدر عدد سكان هذا الحي بحوالي ٧,٥٠٠ نسمة .

٢ ـ حي معلومـات دفنـا : ويعـد امتداداً لحي رامات اشكول من الناحية الشمالية . وقد أقيم عام ١٩٦٨ على أراض في الشيخ جراح تعود ملكيتها لعدد من الأسر العربية ووقف امينة الخالدي وعارف العارف . وتقدر مساحة الأراضي بـ ٢٧٠

دونماً. وقد أقيم في هذا الحي ٢,٤٠٠ وحدة سكنية، ويقدر عدد سكانه بحوالي ٤,٥٠٠ نسمة.

٣ ـ حي سانهدريا: وهذا الحي امتداد آخر لحي رامات اشكول. وقد بدىء بانشائه عام ١٩٧٣ على أراض عربية مصادرة، وأقيم فيه ١,٠٠٠ وحدة سكنية يقدر عدد سكانها بحوالي ٣,٢٠٠ نسمة.

٤ ـ حي جبعات همفتار: وهو أيضاً امتداد آخر لحي رامات اشكول من الناحية الشمالية الغربية. فقد اقيم في منطقة موقع تل الذخيرة على أراض عربية مصادرة ومستملكة، وتم فيه انشاء ٥٠٠ وحدة سكنية. ويقدر عدد سكانه بحوالي ١,٥٠٠ نسمة.



شكل ـ ١٥ ـ تطبيق نظام كريستيلر في تخطيط شبكة الاستيطان الصهيوني في فلسطين.

جدول ١٤ ـ الأحياء السكنية الاسرائيلية التي أقيمت في القدس العربية وضواحيها ١٩٧٦ ـ ١٩٨٠

اسم الحي	الموقع	المساحة (بالدونم)	تاريخ الانشاء	الوحدات السكنية	عدد المستوطنين
الحي اليهودي	داخل البلدة القديمة	١١٦	١٩٦٨	٤٦٨	١,٨٠٠
تل بيوت	أراضي صور باهر	٢٠,٠٠٠	١٩٧٣	٢,٣٤٢	٧,٨٢٠
رامات اشكول	قرب الشيخ جراح	٦٠٠	١٩٦٨	٢,٢٠٠	٧,٥٠٠
معلوت دفنا	امتداد لرامات اشكول	٦٠٠	١٩٦٨	٤,٢٠٠	٤,٥٠٠
التلة الفرنسية	شرق جبل المشرف (سكوبس)	١٥,٠٠٠	١٩٦٩	٥,٠٠٠	١٢,٥٠٠
جعبات همفتار	تل الذخيرة	-	١٩٧٧	٥٠٠	١,٥٠٠
تل عناتوت	أراضي عناتا ـ شعفاط	٣,٦٥٠	١٩٧٤	٥٠٠	٢,٠٠٠
النبي يعقوب	أراضي بيت جنينا	٣٠,٠٠٠	١٩٧٣	٤,٠٠٠	١٢,٠٠٠
سانهدريا	طرف القدس من الجهة الشمالية	-	١٩٧٣	١,٠٠٠	٣,٢٠٠
الجامعة العبرية	-		١٩٦٩	١٠٩	؟
المجموع		٦٩,٦٣٦		١٨,٥١٩	٥٢,٨١٠

٥ - حي النبي يعقوب: وهو حي سكني ونواة المستعمرة، وقد بدىء بإقامته عام ١٩٧٣ على الطريق بين القدس ورام الله في الأراضي التي تقع الى الشمال الشرقي من بيت حنينا.

وقدرت مساحة الأراضي العربية التي صودرت لإقامته بحوالي ٣٠ ألف دونم. وقد تم حتى ١٩٨١ انشاء (٤,٠٠٠) وحدة سكنية، والعمل جار لإقامة (١,٠٠٠) وحدة سكنية أخرى يسكنها في المستقبل ١٧ ألف نسمة. ويقدر عدد السكان اليهود فيه الآن بحوالي ١٢,٠٠٠ نسمة.

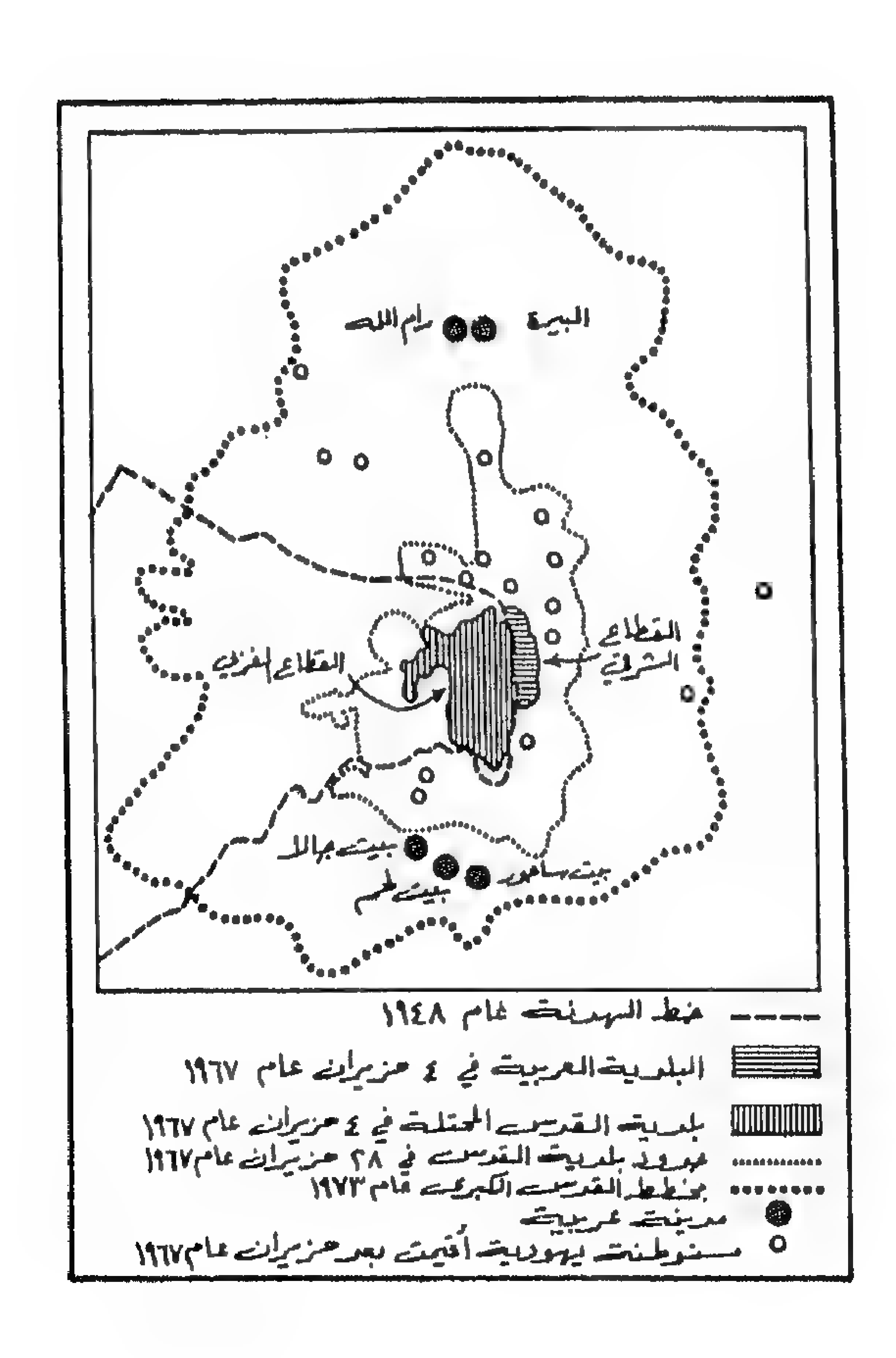
٦ - حي التلة الفرنسية، أوحي شابيرا: بدىء هذا الحي عام ١٩٦٩ شرقي جبل المشرف (سكوبس) على طريق القدس - رام الله. وتبلغ مساحة الأراضي العربية التي صودرت لإقامته ١٥ ألف دونم تعود ملكيتها لمواطنين عرباً وللدولة الأردنية ولدير اللاتين. وقد انشىء في هذا الحي ٥,٠٠٠ وحدة سكنية يزيد عدد سكانا على ١٢,٥٠٠ نسمة.

٧ - حي الجامعة العبرية: بدىء بإقامته عام ١٩٦٩ على جبل المشرف (سكوبس) لتوسيع الجامعة العبرية القديمة ومشفاها. وقد أقيم فيه سكن للأساتذة والطلاب ومكاتب جديدة وقاعة للمحاضرات ومشفى للجامعة. وتستوعب الأبنية الجديدة ٣١,٥٠٠ طالباً وموظفاً جامعياً. ويبلغ عدد الوحدات السكنية التي أقيمت فيه ١٠٩ وحدات. وقد أقيمت هذه الأبنية على أراض تقع ضمن المساحات العربية المصادرة على جبل المشرف (سكوبس) لإقامة حي شابيرا.

٨ - حي تل بيوت الشرقية: أقيم هذا الحي عام ١٩٧٢ على أراضي جبل المكبّر وصور باهر إلى الجنوب من مدينة القدس. وتبلغ مساحات الأراضي العربية التي صودرت لإقامته ٢٠ ألف دونم تعود ملكية معظمها لأهالي صور باهر وجبل المكبّر والقدس. وقد أقيم فيه حتى الآن ٢,٣٤٢ وحدة سكنية عدد سكانها

٧,٨٢٠ نسمــة. ويبلغ مجمــوع الوحدات السكنيه المقرر انشاؤ ها خمسة آلاف وحدة تستوعب ١٥ ألف نسمة.

٩ - حي تل عنـاتـوت: يقـع شمالي شرق القدس على أراضي قريتي عناتا وشعفاط العربيتين. وقد أقيم عام ١٩٧٤ على أرض مصادرة مساحتها ٣,٦٥٠ دونماً. ويبلغ عدد الوحدات السكنية فيه ٥٠٠ وحدة يقيم فيها ٢,٠٠٠ صهيوني..



ثالثاً ـ مشروع القدس الكبرى : لم تقف الأطماع الصهيونية في مدينة القدس عند حدودهما التي كانت قائمة في حزيران ١٩٦٧ بل تعدتها إلى أن تضم المدينة بعد اعلانها عاصمة موحدة (لاسرائيل) .

وكانت أول تفاصيل تنشر حول هذا الموضوع تلك التي نشرتها جريدة معاريف الاسرائيلية في ١٩٦٩/٣/٢٦ تحت عنوان «القدس الكبرى عاصمة لاسرائيل» وجاء فيها ان لجنة هندسية اسرائيلية بدأت منذ حزيران ١٩٦٧ تضع المخططات اللازمة لمشروع القدس الكبرى وانتهت من وضعها خلال عام ١٩٦٨ .

وفي آذار ١٩٧١ أعلن الدكتور ميرون بنفستي نائب رئيس بلدية القدس الاسرائيلي، انجاز مشروع مشابه عرف باسمه ، وفيه يقترح توسيع حدود بلدية القدس لتشمل المناطق الممتدة من مدينة رام الله شمالاً إلى بيت لحم جنوباً. وقد اطلق على هذا المشروع اسم «مشروع الأب»، وفي اطاره أقيمت حتى الآن ١٥ مستعمرة تشكل الحزام الاستيطاني الثاني حول مدينة القدس، وهو الحزام الذي يحيط بطوق الأحياء السكنية المجاورة التي أقيمت ضمن حدود امانة القدس لعام ١٩٦٧ .

وفي ١٩٧٤/٢/٨ نشرت جريدة عل همشمار الاسرائيلية في ملحقها تفاصيل مشروع آخر وضعه الدكتور رافل بنكلر، وقال انه يشبه إلى حد كبير مشروع بنفنسي ولكنه يتجاوزه إلى طرح وجهات نظر سياسية وتصورات عامة لمستقبل المدينة السياسي . ويتضمن مشروع بنكلر النقاط التالية :

١ ـ ابقاء مدينة القدس موحدة تحت السيادة الاسرائيلية .
٢ ـ توسيع حدود المدينة وتقسيمها إلى ثمانية احياء لكل حي منها مجلس بلدي فرعي ، وتخضع كلها لهيمنة المجلس البلدي المركزي الذي يضم ٥٥ عضواً بينهم ٣٨ عضواً من اليهود .

٣ ـ اعطاء الأحياء العربية نوعاً من الحكم الذاتي.
٤ ـ ضمان حرية العبادة والوصول إلى الأماكن المقدسة لجميع الديانات.
٥ ـ تحديد نسبة السكان العرب بحيث لا تتجاوز ٢٥٪ من مجموع السكان ابتداء من عام ١٩٦٧ حتى عام ٢٠١٠.
٦ ـ شمول التوسع المناطق العربية الممتدة شمالاً حتى مدينتي رام الله والبيرة، وشرقاً حتى أبو ديس والعيزرية، وغرباً حتى اللطرون، وجنوباً حتى بيت لحم.

وفي هذه الأثناء شكلت الحكومة الاسرائيلية لجنة لوضع مخطط لتوسيع القدس أطلق عليها اسم «لجنة جفني». وقد وضعت هذه اللجنة توصياتها التي نشرتها جريدة هآرتس الاسرائيلية في ١٤/١٠/١٩٧٥ ودعت فيها إلى اقامة ٢٨,٦٠٠ وحدة سكنية خلال السنوات الخمس ١٩٧٥ ـ ١٩٧٩. ولكن اللجنة حصرت عمليات البناء في إطار حدود امانة القدس لعام ١٩٦٧ لاحكام طوق الاستيطان حول البلدة القديمة كخطوة أولى قبل التوسع الاستيطاني في نطاق القدس الكبرى.

وفي ٣٠/٩/١٩٧٥ نشرت جريدة دافار الإسرائيلية خبراً نقلت فيه عن مسؤول اسرائيلي كبير قوله، ان الموافقة قد تمت على خريطة القدس الموسعة التي تمتد فيها حدود بلدية القدس ما بين الخان الأحمر شرقاً، واللطرون غرباً، ودير ديوان وبيتين شمالاً، وضواحي مدينة الخليل (مستعمرة كريات أربع) جنوباً. ويقضي هذا التوسيع بضم ٩ مدن و ٦٠ قرية عربية وما يقارب ٣٠٪ من مجموع المساحة الكلية للضفة الغربية.

وكان هذا المشروع هو التوسيع النهائي لحدود مدينة القدس الكبرى. وهو بحد ذاته المشروع الذي تم تنفيذه على الطبيعة بإقامة ١٥ مستعمرة أخرى تشكل الحزام الثالث من الأحزمة الاستيطانية حول القدس ويضم هذا الحزام المستعمرات التالية:

١ ـ في الشمال: المستعمرات التي أقيمت حول مدينتي رام الله والبيرة، وتضم كوخاف هشاحر وعفرة وبيت أيل وكفار روش ونيفي تسوف وبيت أيل (ب).

٢ ـ في الجنوب: المستعمرات التي أقيمت في المنطقة الممتدة من شمال مدينة الخليل إلى مناطق بيت لحم وبيت ساحور، وتضم مستعمرات تكواع وكفار عصيون وتكواع (ب) واليعازر (أ) و(ب) وافرات ومجدل وروش تسوريم وآلون شيفون ومتسبي جوبرين.

ولم يكن الهدف من إقامة هذه الأحزمة الاستيطانية الثلاثة[1] حول مدينة القدس عزل المدينة نهائياً عن الضفة الغربية بسياجات من القلاع والمستوطنين فحسب. بل كانت هناك أهداف أخرى منها:

١ ـ تجزئة الضفة الغربية وتقطيع أوصالها جغرافياً وديمغرافياً، والقضاء على الوجود العربي الكثيف حولها (٢٥٠ ألف نسمة) والذي يشكل رافداً يغذي الوجود العربي فيها باستمرار.

٢ ـ احداث خلخلة سكانية في وسط الضفة الغربية تمهيداً لتمزيقها إلى منطقتين معزولتين تماماً، ومحاصرتين بالاستيطان اليهودي، وهما منطقة الخليل جنوباً ومنطقة نابلس شمالاً.

٣ ـ ضم مساحات واسعة من أراضي الضفة الغربية تتراوح ما بين ٤٠٠ و ٥٠٠كم٢ بالإضافة إلى المساحات التي جرى الحاقها بالقدس وفقاً للمخططات الهيكلية التي كان آخرها إضافة ٦٣ كم٢ على حساب الضفة الغربية لآخر مخطط هيكلي اقرته بلدية القدس في تموز ١٩٨٠.

٤ ـ جعل مدينة القدس الكبرى العاصمة التي تتركز فيها كل عوامل جذب واستقطاب النشاطات الاستثمارية والسياحية والصناعية والزراعية لليهود من جميع انحاء العالم. فالمساحات الشاسعة من الأراضي التي تقع في نطاق القدس الكبرى ستمكن المخططين اليهود من توفير المناخات اللازمة للاستثمار والتوطن اليهوديين في هذه المنطقة.

---

١ ـ سمير جريس، ١٩٨١، مرجع سابق، ص ١٣٣ ـ ١٤٦.

وتنص الخطط الاسكانية التي رافقت مشروع القدس الكبرى على جعل سكانها في عام ٢٠٠٠ قرابة المليون نسمة ٧٥٪ منهم يهوداً، أي ألا يزيد عدد العرب المسموح لهم ان يعيشوا في نطاق المشروع على ٢٥٠ ألف نسمة في حين ان عددهم حالياً (في هذا النطاق) يتجاوز ٣٥٠ألف نسمة. ويعني هذا ان خطة القدس الكبرى ترمي إلى تهجير حوالي ١٨٠ ألف عربي إذا وضع في الحساب التكاثر المتوقع للعرب خلال هذه المدة.

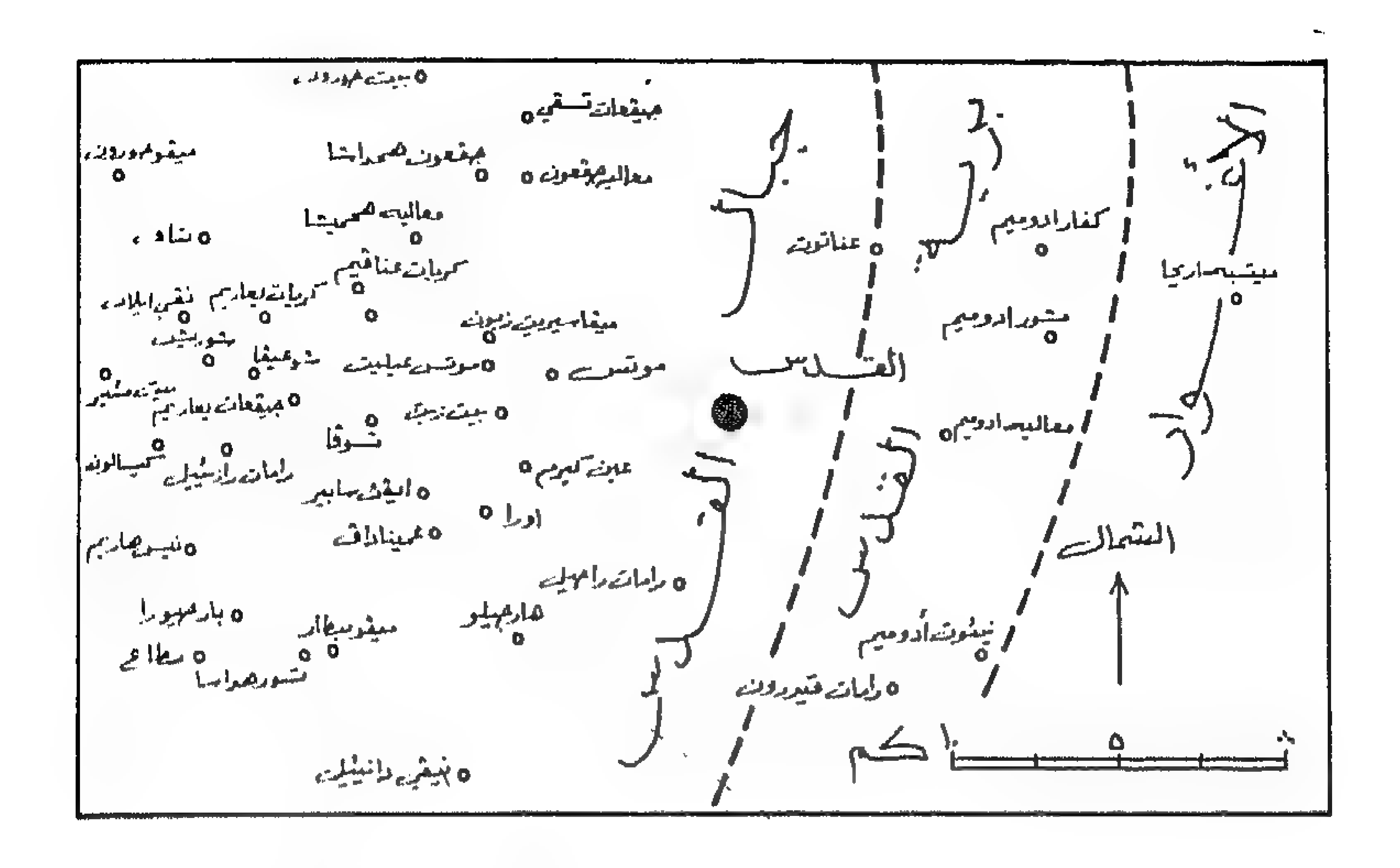
إن خطة القدس الكبرى كما هو واضح لا تستهدف التهويد النهائي لمدينة القدس وتدمير طابعها الحضاري وتحويل العرب في إطارها إلى أقلية فحسب، بل تستهدف الاستمرار في احتلال الضفة الغربية نهائياً وخلق حقائق بشرية وجغرافية جديدة حول مدينة القدس وفي قلب الضفة الغربية.

وقد بلغ عدد المستعمرات التي أقيمت حتى الآن في نطاق المرحلة الأولى من مراحل القدس الكبرى ١٥ مستعمرة، علماً بأن ما أقيم حتى العام ١٩٨١ في نطاق المرحلة الثانية والأخيرة من خطة القدس الكبرى هو ١٥ مستعمرة أيضاً، عدا الأحياء السكنية العشر التي أقيمت في البلدة القديمة وفي حدود أمانة القدس لعام ١٩٦٧ . وبذلك يكون عدد الأحياء السكنية والمستعمرات الجديدة التي أقيمت في إطار القدس الكبرى ٤٠ مستعمرة وحياً سكنياً.

أما المستعمرات الخمس عشرة التي أقيمت في نطاق المرحلة الأولى من مراحل القدس الكبرى (شكل ١٧) فهي تطروت، وجيلوها، رجيلو، وروش جيلو، وجبعون وجبعون (ب) ونيفي حورون ومعالية ادوميم، ومعالية ادوميم (ب)، ومعالية ادوميم (ج)، وراموت، وبيت حورون، وجبعا حداشا، ومخميس، وتلة زئيف، وجلميش (جدول ١٦).

د ـ الزحف التدريجي بالمخططات الهيكلية:

ومما يؤكد ان سلطات الاحتلال ماضية في اخراج مشروع القدس الكبرى إلى حيز الوجود على الصعيد التنظيمي ـ في حين تم تنفيذ المشروع على صعيد



شكل ـ ١٧ ـ توزيع المستوطنات اليهودية في منطقة القدس
«عن خارطة الاستيطان الصهيوني في فلسطين تحت الطبع»

الاستيطـان بصـورة أولية ـ ذلك الزحف التدريجي لحدود بلدية القدس على حساب الأراضي العربية المجاورة .

ففي تموز ١٩٨٠ صادقت بلدية القدس المحتلة على المخطط الهيكلي الجديد لمدينة القدس كما اقرته اللجنة اللوائية للتنظيم والبناء في بلدية القدس . وسيحل هذا المخطط الهيكلي الجديد بدل المخطط الهيكلي القديم لمدينة القدس لعام ١٩٥٥ .

كانت مساحـة القدس بشطريها حسب مخطط عام ١٩٤٧ (٣٨كم٢) . إلا أن (اسرائيل) قامت بتوسيع هذا المخطط عام ١٩٥٥ بإضافة ٧ كم٢ جديدة إلى القسم المحتل منذ عام ١٩٤٨ في حين ظلت مساحة القدس العربية عام ١٩٦٧ كما هي .

أمـا المخطـط الهيكـلي الجـديـد الـذي أقر عشيـة اعلان قانون ضم القدس (١٩٨٠/٧/٣٠) فيقضي بإضافة ٥٠ كم٢ إلى المدينة من الأراضي العربية المحتلة بعـد عام ١٩٦٧ . ويتضـح من تفـاصيـل هذا المخطـط ان المسـاحة الاجمالية لمدينة القـدس ستكـون ١٠٨ كم٢ يخصص منهـا ٤١كم٢ للسكن و٣٨ كم٢ للحـدائق والسـاحـات العـامـة و١١ كم٢ للمنـاطق المفتوحة و٣,٦كم٢ للمؤسسات العامة و ٤,٦ كم٢ للتجارة والصناعة . .

جدول ـ ١٥ ـ المستعمرات التي أقيمت حول مدينة القدس في نطاق المرحلة الأولى من مشروع القدس الكبرى ١٩٦٧ ـ ١٩٨٠

اسم المستوطنة	الموقع	المساحة (بالدونم)	تاريخ الانشاء	الوحدات السكنية	عدد المستوطنين
راموت	أراضي بيت اكسا ـ بيت حنينا ـ النبي صاموئيل	٣٠,٠٠٠ + ٤٥٠	١٩٧٣	٣,٠٠٠	٧,٥٠٠
معالية أدوميم	الخان الأحمر	٧٠,٠٠٠	١٩٧٢	٥٠٠	٢,١٠٠
معالية أدوميم (ب)	الخان الأحمر	٦,٧٠٠	١٩٧٢	٢٥	منطقة صناعية
معالية أدوميم (ج)	الخان الأحمر	٣٥٠ + ٤٠٠	١٩٧٩	٢٥	منطقة صناعية
جبعون	أراضي الجيب	٦٥٠ + ٨٠٠	١٩٧٧	٢٥٠	٧٥٠
جبعون (ب)	أراضي الجيب	٦٥٠	١٩٧٩	٢٠٠	٧٦٥٠
نيفي حورون	عمواس ـ يالو	٧٠,٠٠٠	١٩٦٩	٥٠	٢٥٠
بيت حورون	بيت عور الفوقا	١٥٠ + ١٥٠	١٩٧٧	٢٠٠	٥٠٠
جيلو ـ هارجيلو	جنوب غرب القدس	٤,٠٤٤	١٩٧٣	٣٤٠	١٠,٢٠٠
مخيمش	أراضي قرية مخماس	١٦٠	١٩٨٠	٤٥	١٥٠
تلة زئيف	١٠ كم شمال غرب القدس		١٩٨١		
حلميش	النبي صالح		١٩٨١		
روش جيلو	رأس بيت جالا	٢٥٠	١٩٧٦	٣٠٠	٩,٠٠٠
عطروت	أراضي قلنديا	١٠,٠٠٠	١٩٧٠	١٨١	منطقة صناعية
جبعا حداشا	أراضي قرية الجيب	١٨٠ + ٨٥	١٩٧٩	١٥٠	٥٠٠
	المجموع	١٩٥,٠١٩		٥,٢٦٦	٣١,٦٠٠

سلسلة المدن الفلسطينية

القدس
الخليل
نابلس
غزة
يافا
حيفا
عكا
الناصرة
رام الله والبيرة
طولكرم

خان يونس
أريحا
بئر السبع
اللد
صفد
الرملة
المجدل والعسقلان
بيسان
طبريا
بيت لحم
جنين

صدر عن سلسلة المدن الفلسطينية

١ ـ يافا
٢ ـ عكا
٣ ـ نابلس
٤ ـ الرملة
٥ ـ رام الله والبيرة
٦ ـ القدس

حين يكون الوطن بعيداً أو أنت مبعد عنه. . . .

وحين تستمر أجيال الوطن في التوالد بعيدا عن أرضه دون أن تلمس ترابه أو تشم ثراه المجبول بالدم والمعطر برائحة البرتقال والزيتون. . .

وحين يكون الحنين لفلسطين مدننا وقرى وبحرا وسهلا وجبلا يتردد صداه غناء وبكاء في كل بيت وصدر فلسطيني. . .

وحين يعمد العدو الغاصب ـ وبعد أن اقتلع الشعب من وطنه ـ إلى اقتلاع حجارة الوطن وأشجاره ليمحو مدنه وقراه وآثاره بهدف تغيير معالم الوطن ورسم صورته على هواه. . . .

وحتى تظل فلسطين تاريخاً وتراثاً وحضارة ونضالا حية في عقل كل فلسطيني وعربي. . .

وحتى تظل فلسطين مجسّدة بجبالها وسهولها ومعالمها في عيون كل الأجيال الفلسطينية والعربية وهي تناضل من أجل تحريرها واستعادتها. . كان علينا أن نقرّبها، أن نقرّب الوطن البعيد من الأجيال التي لم يكتب لها أن تراه حتى الآن، فكانت هذه السلسلة من الكتب التي جاءت ثمرة تعاون بناء بين المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ودائرة الثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية.

عبد الله الحوراني

الثمن: الأردن ١ دينار، الإمارات العربية المتحدة ١٠ درام، المملكة العربية السعودية ١٠ ريال، قطر ١٠ ريال، الكويت ١ دينار، سورية ولبنان ٢٥ ل.س، والبلدان الأخرى ٢ دولار.